أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الأول — السنة الرابعة والثلاثون — المحرم سنة ١٣٨٢ هـ — يونية ١٩٦٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

عام جديد على أزهر جديد

بقلم : أحمد حسن الزيات

التجدد والتقدم والاتساع والشمول من طبيعة الرسالة المحمدية لأنها رسالة الدهر كله والناس كلهم. تضمن أصلها السماوي الخالد سر المجتمع البشري المثالي كما تتضمن النواة سر النخلة السحوق، والنطفة معنى الإنسان الكامل، فهي تسير مع الزمن، وتتطور مع الناس، وتتسع مع العمران، وتتعمق مع العلم، ليكون فيها لكل غاية منهج، ولكل أمة دستور، ولكل علة علاج، ولكل قضية حكم.

تفطرت هذه النواة عن سرها الإلهي على يد غارسها الأعظم بالمدينة، فغذاها الوحي، وسقاها الإيمان، وتعهدتها النبوة، حتى قام في ظلها البادئ مجتمع الأنصار والمهاجرين على الوحدة والأخوة والتعاون. ثم انبسط هذا الظل في بوادي الجزيرة كلها، فجعلها واحة للعدل والإحسان على قدر ما تتقبله الحياة البدوية والطبيعة الجافة، ثم امتدت الرسالة مع خلافة الراشدين إلى مشارف الشام وأرياف العراق وجنات مصر، فنفخت في الحضارتين الرومية والفارسية من روح الله فنفت عنهما الخبيث، وأبقت

ب ، وساستهما على نظام فريد من
ة الروحية المسلمة . ثم أدركت
الخلافة المدمرة في دمشق وهي تمد عينيها إلى
أبهة البلاط الكسروي وترفه فكسرت من
نظراتها الرغيبة ، وشغلتها بالفتح الزاحف ،
وأسعفتها بالتشريع المقيد ، وأقرتها على
اقتباس النظم السياسية والإدارية والاجتماعية
مما لا يخالف أصلا من أصول الإسلام ،
ولا يجافي خلقا من أخلاق العروبة .

ثم انتقل سلطانها مع بني العباس إلى العراق
وكان العرب قد فتحوا أكثر المعروف يومئذ
من الدنيا القديمة ، فامتد ملكهم من الهند
والصين شرقا إلى جبال البرانس غربا ، فآوت
إلى ظلها الوارف وكنفها الرحب أجناس
الناس وحضارات الأمم وثقافات الشعوب ،
فلم تضق بعلم ولا فن ، ولم تبرم بحضارة
ولا عمارة ، ولم تتجهم لزخرف ولا زينة ،
ولم تعي عن جواب ولا حل ، ولم تصد عن
تطور ولا تقدم ، وإنما أخرجت مما خلفته
القرون من العادات والاعتقادات والمذاهب
والنظم مزاجا من العقلية العربية والمدنية
الإسلامية كرّم الإنسان وعدّل الميزان
ومدّن العالم .

وما هي ذي تتقبل اليوم النظام الاشتراكي
العربي في مصر كما يتقبل الأصل فرعه الذي
اشتق منه لاتنكره ولا تزور عنه ، وما كان
لرسالة محمد أن تتنكر للاشتراكية العادلة
المعتدلة وهي التي جعلت للفقير حقاً معلوما
في مال الغني لا يكمل دينه إلا بأدائه ، وعالجت
الفقر علاج من يعلم علم الاضطرار أنه أصل
كل داء ومصدر كل شر . وقد أوشك هذا
العلاج أن يكون بعد توحيد الله أرفع أركان
الإسلام شأنا وأكثر أوامره ذكرا وأوفر
مقاصده عناية .

ولو ذهبت تستقصي ما نزل من الآيات
وورد من الأحاديث في الصدقات والبر ،
لحسبت أن رسالة الإسلام لم يبعث بها الله
آخر الدهر إلا لتنقذ الإنسانية من غوائل
الفقر وجرائر الجوع . وحسبك أن تعلم
أن آي الصيام في الكتاب أربع ، وآي
الحج بضع عشرة . وآي الصلاة لا تبلغ
الثلاثين . أما آي الزكاة والصدقات فإنها ترقى
على الخمسين .

فأنت ترى أن هذه الرسالة التي نزلت على
جبل النور في واد غير ذي زرع لم تلبث
بفضل ما استكن فيها من نور الله وعلمه أن
سارت مسير الشمس من مشرقها تتدرج مع
طاقة العقل وحاجة الناس في الارتفاع
والاتساع حتى أضاءت كل مكان وأحيت كل
هامد . تدرجت من خلافة عمر في المدينة إلى
ملكية معاوية في دمشق ، ومن امبراطورية
الرشيد في بغداد إلى جمهورية عبد الناصر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى القاهرة ، لم يخفت لها نور ، ولم يفتر لها حرور ، ولم تسكن لها حركة . وإذا حدث فى بعض العصور المتخلفة أن احتجبت أشعتها الهادية المحيية عن النفوس فأصابها البرود والهمود والغفلة ، فذلك لأن فساد الزمان وذهاب السلطان واستعجام اللسان تنشىء سحابا ثقالا من الجهل والشك تحول بين الأبصار والهدى ، وتفصل بين البصائر والحكمة .

فى عصر من هذه العصور التى غامت فيها الآفاق الإسلامية بهذا الركام انقطع الأزهر وهو وريث النبوة عن دنيا الناس فلم يتصل بها منه إلا أعلام قلائل كانوا كالصوى فى هذه المفازة يصطفيهم الله من حين إلى حين ليجددوا دعوته ويعلنوا كلمته .

كان الأزهر يعيش حينئذ على بعض التراث الإسلامى من فقه وحديث وتفسير وما يعين عليها من نحو وصرف وبلاغة . ولم يكن يعنى من الفقه إلا بالعبادات وهى مناط الصلة بين العبد وربه . أما المعاملات وهى مناط الصلات بين المرء وغيره فلم يكن يعنى بها ويتفقه فيها إلا رجال القضاء والحكم فى الدولة . ولا تسل بعد ذلك عن علوم الدنيا من طب وفلك ورياضة وزراعة وكيمياء وفيزياء وصيدلة ، فقد كانت من الفضول الذى لا يعبأ به أحد ولا يفرغ له بال .

زار القاهرة فى عهد محمد على مستشرق أوربى فطلب أن يجتمع بعالم أزهرى له دراية بعلم الفلك فلم يجدوا له بعد طول البحث إلا شيخا واحدا درس هذا العلم على نفسه هو الشيخ عبد الرحمن الجبرتى .

كان ذلك ولا ريب ميلا عن طريق الرسالة المحمدية التى جاءت لتصل الأرض بالسماء ، وتنظم الدنيا بالدين ، وتحيى المادة بالروح ، وتكشف الجهالة بالعلم ، وتمحو الضلالة بالهدى ، ولكنه كان ولا ريب أيضا عرضا زائلا ومرضا موقوتا لا تلبث علته أن تزول متى انجابت تلك السحب وتجلى من ورائها دين الله نور السموات والأرض لجمع المتفرقين على الوحدة ، وحفز المتخلفين على التقدم ، لذلك لم تكد عواصف الثورة تبدد السحب عن وجه الشمس حتى عاد الأزهر إلى مداره من فلك الرسالة وقد بلغت عصر الذروة ، يقتبس منها أشعة الهدى والعلم ليسهم فى بناء الاشتراكية العربية التى وضع قواعدها (ميثاق عبد الناصر) على أسس ثابتة من الدين والخلق والعلم والعمل والعدل والكفاية والحرية والسلام والوئام والوحدة ، وهى أسس كانت فى كل عهد مضى وفى كل جيل خلا أحلاما لا تحقق ومبادئ لا تطبق حتى جمعها الله فى رسالته وأوحاها إلى رسوله فصلح عليها الناس ما داموا على طريقها المستقيم الواضح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلما توقع المنكر واستهتر البغي واستحكم الجهل انطفأت أضواؤها السماوية فى نفوسهم فآمنوا بها إيمانا أثريا ظاهريا لا يتعدى تحريك الألسنة والجوارح بالآيات والصلوات للتبرك أو العادة !

ولكن الثورة التى أطاحت بالطغيان وبطشت بالإقطاع وبشرت بالديمقراطية ودانت بالاشتراكية واتخذت سندها وهداها من كتاب الله وسنة الرسول وإرادة الشعب لن تدع بعد ذلك سبيلا إلى علة تصيب الحكم ولا آفة تفسد المجتمع .

* * *

قال الأزهر للثورة يوم دخلت عليه المحراب تستنهضه ليتبوأ الصدر من قيادة الإصلاح وإمامة النهضة : نعم ونعام عين ! إن الثورة من طبعى ، وإن الاشتراكية من روحى ، وإن الهداية من واجبى ، وستجدينى فى طورى الجديد إن شاء الله مظهرا لرسالة الشاعر الأعظم فأكون كما كنت طباقا من العلم والعمل ، ونظاما من الدين والدنيا ، أخرج العالم المجتهد الذى يجعل من فقهه رسالة ومن بيانه دعوة ، والطبيب الروحى الذى يجعل من عيادته عبادة ومن مرضاه إخوة ، والمهندس التقى الذى يجعل من عمله جهادا ومن خلقه قدوة ، والموظف المتدين الذى يؤثر رضا ربه على رضا نفسه فى كل نزعة أو نزوة ، وهذا هو الإصلاح الجوهرى الشامل الذى تمنى بعضه المصلحون فلم يجدوا من أرباب السلطان والحكم معينا عليه ولا سبيلا إليه .

إن (ميثاقك) الذى عاهدت الله على الوفاء به، وعاهدك الشعب على اللقاء عليه ، حروف من كلمات الله لم يؤلفها أحد من قبلك فى أى عهد ، لا فى القديم والحديث ، ولا فى الشرق والغرب . لم يبق شىء فى نفوس المعذبين فى الأرض والمستضعفين من الناس إلا وجدوه فيه . ولو كان واضعه ممن جرب عليه الكذب وعرفت عنه الخديعة لقلنا سراب ولا ماء ، وقعقعة ولا طحن ، ودوحة فينانة من شجر الصفصاف : خضرة فى العين ، ولا ثمر فى اليدين ! ولكنه عبد الناصر الذى عود العالم فى عشر سنين ألا يقول إلا بعد أن يعمل ، ويجتهد وألا يعمل إلا بعد أن يعلم ويعتقد !

فسيرى أيتها الثورة على بركة الله وأنا أسعى بين يديك بكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ؟

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

معنى الهجرة ودواعيها

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

إذا كان تاريخ الدعوة الإسلامية عامراً بالمعانى العظيمة ، والأحداث الجليلة ، فإن هجرة محمد صلى الله عليه وسلم من أجل الأحداث قدراً وأعظمها أثراً فى حياة الرسالة المحمدية ، والدعوة إلى توحيد الله والعمل من أجل حياة أفضل للبشر جميعا .

فالهجرة كانت فيصلا قاطعا بين التخفى بالدعوة والجهر بها ، بين التستر عليها والإفصاح عنها ... كانت انتقالا بها من النطاق المحدود والحصار المضروب ، والاضطهاد القاسى ، إلى الآفاق الرحبة والانطلاق الفسيح ، والنصير الفدائى .

والهجرة من الهجر وهو الترك ، وعند العقلاء أن المتروك يكون دائما أقل حظا من المطلوب المهاجر إليه .

ولقد هاجر محمد وصحبه من مكة إلى المدينة يوم كانت مكة تموج بالشرك وعبادة غير الله يحكم سلوكها آثار العقيدة الفاسدة ، من ظلم وطغيان ، وعبودية واستغلال ، وأكل للحقوق ... وإراقة الدماء وهتك للأعراض وسلب الأموال ، واستهانة بالقيم ... وكثير غير ذلك مما تستمرئه الوثنية ، ويدفع إليه الإشراك بالله .

ومن أجل القضاء على تلك المفاسد وإعلاء شأن الإنسان كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن أجل الارتفاع بمستوى البشرية وتمكين المثل الرفيعة من نفوس الناس وقلوبهم كانت هجرة محمد صلى الله عليه وسلم ، طلبا للاطمئنان ، وتمكينا للدعوة ، وتعاونا مع الأيدى المتكاتفة على إنقاذ البشرية من الهوة التى تردت فيها ، وذلك بالتقاء المؤمنين من أهل مكة برجال المدينة : رجال البيعة على الصدق والوفاء ، والمعاهدة على النصرة والتأييد والتفانى فى سبيل تطهير الأرض من عبادة غير الله ، والقضاء على معالم المجتمع الجاهلى لتعلو كلمة الله ، كلمة الحق والعدل والمساواة ...

وإذن فالهجرة نوع من محاولات الإصلاح والتهذيب والتقدم فى الحياة . وهى كذلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عمل إيجابي لرفع مستوى الإنسانية والنهوض بها من كبوتها التي حرمتها كل كمال وكل شرف، وأفقدتها الإحساس بجلال الحق، وجمال العدل ونعمة السلام ...

هذا ما هاجر إليه محمد وصحبه، وهناك ائتلفت القلوب وتشابكت الأيدي، وتعانقت الأرواح وتأكدت المواثيق، واتسع نطاق النصرة ...

وهذا هو معنى الهجرة في صدر الإسلام، وقد كانت في ذلك الحين واجبا دينيا، لمن يؤديه حظ المثوبة ووافر الأجر، ولمن يهمله سوء العاقبة وشر المنقلب.

وقد أعلى القرآن من شأن المهاجرين، ونكل بالمعرضين عن الهجرة والمتخلفين.

فقال جل شأنه: «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها أبدا، إن الله عنده أجر عظيم».

وما أروع قول الله في عاقبة المهاجرين المخلصين الصابرين على الأذى: «والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون».

واعتبرها بعد هذا وذاك نصرا وتأييدا لرسوله وللمؤمنين معه فقال: «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا».

والمهاجر على هذا النحو لا يلتزم جهة معينة يتجه إليها إنما يتجه حيث يرى مرماه في إزالة المنكرات خصيبا، وظروفه مهيئة، وقد نعى الله في كتابه على من قعد عن الهجرة مع قدرته عليها فقال: «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا».

وإن مضمون هذه الآية لهو حظ البلاد الإفريقية والآسيوية الآن من هجرة المخلصين وأصحاب الدعوة السليمة إليها، يهاجرون إلى ربوعها بقلوبهم إذا لم تسعفهم أبدانهم، بآرائهم إذ لم تمكنهم أجسامهم، بكل ما يستطيعون به تبديل شرهم خيرا، وذلهم عزا وضعفهم قوة، وشتاتهم جمعا. وتخلفهم تقدما وزحفا ...

والهجرة بهذا المعنى رسالة كل قادر بنفسه، أو فكره: بلسانه أو قلمه، برأيه، بتجربته، يبعث بها إلى المواطن التي تحتاجها والأقاليم التي تنشد الخير والإصلاح فيها.

وقد ضمن الله للمهاجرين العز والنصر كما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ضمن لهم التوفيق والتأييد ، واعتبر الهجرة التى تقع موقعها وهى المصحوبة بنية إنقاذ الضعفاء ونشر الخير ، وإشاعة البر ، بجلبة للثواب ورضا الله ، وقد جاء ذلك فى الحديث المشهور « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

والهجرة بنوعيها : قلبية وبدنية ، شأن طبيعى لمن عضه الظلم وأذله الطغيان... أدرك ذلك فى نفسه ورآه فهاجر ... ثم رآه فى غيره فعمل على الهجرة إليه بقلبه أو بدنه ، بفكره أو ماله .

والهجرة بهذين المعنيين سنة من سنن الأنبياء والمرسلين ، وشأن من شئون الدعاة المخلصين فما من نبى أو رسول أو داع إلا وهاجر إلى الأرض التى تنبت بذرتها ، وأعرض عن الأرض الجدبة تطبيقا لقول الله عز وجل : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذى خبث لا يخرج إلا نكدا » .

هذه هى الهجرة ، وتلك فلسفتها .

* الانتقال من حال إلى حال أصلح وأعظم ، هجرة .

* تغيير حياة الأمة تغييراً أساسيا وعميقا فى اتجاه آمالها الإنسانية الواسعة هجرة .

* نقل الأمة من ظلمات الجهل إلى نور العلم هجرة .

* وقاية الأمة من الأمراض ، وعلاجها من العطل هجرة .

* رفع مستوى الشعب وتحقيق الرفاهية له هجرة .

* تحقيق الكفاية وضمان العدل ... هجرة .

* الإنفاق فى سبيل الله وتفريج الكروب وقضاء حاجة الفقراء والمساكين ... هجرة .

وهكذا ... تبديل كل شر خيراً هجرة ، للقائمين به ثواب المهاجرين .

وإذن فشعب الجمهورية العربية المتحدة يكون له ثواب المهاجرين فيمن ساعدوه بالقوة البدنية وفيمن ساعدوه بالقوة الفكرية ، وفيمن ساعدوه بالرأى والمشورة ...

والحمد لله ، فقد أصبح للجمهورية العربية المتحدة فى كل عام هجرة أو هجرتان فى محيطها الداخلى وهجرات فى محيطها الخارجى العالمى ، تسهم بها فى مستقبل البشرية ، وتشارك فى دعم السلام ...

سدد الله خطانا ، وحقق آمالنا ، ورعا خطا القائد الموفق « جمال عبد الناصر » وأخلص له النيات والضمائر .

محمود شلتوت
شيخ الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عوامل الإعراب في اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

عاد بعض المشتغلين باللغة إلى البحث في مسألة «العامل» في لغتنا العربية، وهي مسألة من أهم مسائل النحو في هذه اللغة، بل هي مسألته الكبرى أو مسألته الأولى والأخيرة لأنها ترتبط بأسباب الحركة على أواخر الكلمات، وتلك هي أسباب الإعراب والبناء.

وقد كان من أسباب العودة إلى مسألة العامل تعليق المؤبنين على آراء العالم النحوي الكبير الأستاذ ابراهيم مصطفى رحمه الله وطيب ذكراه.

ورأيه المشهور - كما يعرف قراء كتابه في إحياء النحو - إنه ينكر على النحاة الأقدمين إفراطهم في تقدير العامل الذي ينسبون إليه تغيير الحركة في آخر الكلمة، ويجعلون لكل حركة من حركات الإعراب عاملا ظاهرا أو مستترا يوجب الفتح أو الكسر في آخر الكلمة، ولا يذكرون الضم عاملا غير امتناع الحركتين الأخريين، فيقولون: إن الكلمة مرفوعة لامتناع الناصب والخافض، وهو فيما رأى بعض الأقدمين تعليل غير معقول، لأن امتناع سبب من الأسباب لا يكون سببا موجبا لشيء كما قالوا وشايعهم على قولهم العالم الفقيد، وقد بنى على هذا الاعتراض مذهبه كله في إحياء النحو، لأنه أقام لحركة الضم في آخر الكلمة سببا موجبا سماه «الإسناد»، ورأى أن الفتحة هي الحركة التي تأتي بغير عامل ولا تعتبر علما من أعلام الإعراب.

والأستاذ ابراهيم - رحمه الله - لا ينكر أن أواخر الكلمات المعربة تختلف في اللغة العربية باختلاف المعنى أو باختلاف العلاقة بين معاني الجملة ودلالة كلماتها، ولكنه ينكر أن يتحول العامل من «معنى مفهوم» إلى لفظ محدود يقيد ذلك المعنى بلوازمه اللفظية، لأن اللفظ قد يرمز إلى المعنى المقصود من إحدى نواحيه على سبيل المجاز ولا يتابعه في جميع لوازمه ومصاحباته وتفريعاته على جميع الأحوال، ولا مناص من الخلط في التقدير والتأويل إذا جعلنا الرفع - مثلا - مساويا للمفهوم من الارتفاع في اللغة على جميع الوجوه، أو جعلنا الجزم مساويا للمفهوم من القطع، أو جعلنا الجر مساويا للمفهوم من السحب، أو جعلنا الكسر مساويا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للمفهوم من البتر ، إلى أشباه ذلك من المفاهيم التي تتفق من ناحية واحدة مجازية ولا تتفق من نواحيها الحقيقية كل الاتفاق .

فلا شك في وجاهة الاعتراض على إفراط النحاة في التقديرات التي يوجبها نقل السبب من معنى ملحوظ إلى لفظ محدود ، ثم تقييد المعنى بهذا الحد اللفظي في جميع تفريعاته وتصريفاته على غير موجب لذلك التقييد .

لكن هذا الخطأ يلازم المعترضين على النحاة في تقديراتهم وتأويلاتهم كما يلازم النحاة في تلك التقديرات والتأويلات ، بل نرى من الإنصاف أن نقرر هنا أن أخطاء المعترضين أكبر وأكثر من أخطاء المقدرين ، وأمثلة ذلك كثيرة جدا في الشواهد التي استند إليها الأستاذ إبراهيم مصطفى أو ابتدأ بها ابتداء من عنده في كتاب « إحياء النحو » وفي غيره من دراساته اللغوية ، وفيما يلي قليل من ذلك الكثير :

روى الأستاذ قصة الإمام أبي علي الفارسي مع عضد الدولة فقال : إن عضد الدولة سأله : « لماذا ينصب المستثنى في نحو قام القوم إلا زيدا ؟ فقال الإمام : بتقدير أستثني زيدا . قال عضد الدولة : لم قدرت أستثني ؟ هلا قدرت : امتنع زيد ، فرفعت ؟ فلم يحر الفارسي جوابا وقال : هذا الذي ذكرته لك جواب ميداني ، فإذا رجعت ذكرت الجواب الصحيح » .

والظاهر من سياق القصة أن الإمام أبا علي الفارسي تجنب اللجاجة عمداً مع الأمير في ذلك المجلس لسبب رآه وهو يرجئ الجواب الصحيح إلى موضعه من البيان . وإلا فإن الجواب يسير لو أراده أبو علي لترجيح تقديره في هذا المقام ، فإن الأفعال التي تستخدم للاستثناء تدل على معنى الحرف الذي ينوب عنها ، فيأتي معنى « إلا » موافقا لمعنى حاشا وما خلا وما عدا وكل فعل يستثنى ما بعده على هذا القياس ، ولا موجب لإعطاء الحرف هنا معنى غير معنى الفعل الذي يدل مثل دلالته ، إلا أن يكون حرفا من حروف الجر في حكمه المعروف .

ومن الخطأ في تطبيق القياس أن يحسب الأستاذ ابراهيم كثرة الفتحة على أواخر الكلمات بحساب العدد وهو في مقام النظر إلى « حكم » الكلمة بين أحكام سائر الكلمات .

فإذا كان حكم الفعل الماضي مثلا أن يبنى على الفتح فإن سريان هذا الحكم على فعل واحد كاف لاستغراق جميع المواد في اللغة العربية على وجه التقريب ، لأن كل مادة لفظية قابلة للاشتقاق لا تخلو من فعلها الماضي المجرد والمزيد ، ثم يأتي الفعل المضارع المعرب بالنصب فيضاف إلى هذا العدد الوافر من أواخر الماضي المفتوحة ، ويأتي بعد ذلك عدد المنصوبات من الأسماء بعوامل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النصب فلا يكون في هذه الزيادة دليل على أصالة حركة الفتح بين سائر الحركات ، وإنما هي حكم واحد على آخر فعل ماض واحد ينتهي بنا إلى هذا العدد الكثير .

يقول الأستاذ ابراهيم : « إن الفتحة أخف من السكون أيضا وأيسر نطقا ، خصوصا إذا كان ذلك في وسط اللفظ ودرج الكلام » .

ثم يذكر من شواهده على ذلك : « أن العرب قد فروا في بعض المواضع من الإسكان إلى الفتح ، ومن ذلك صنيعهم في جمع المؤنث السالم لمثل : فترة ، وحسرة ، ووعد . فإن العين في المفرد ساكنة ومن حقها في جمع المؤنث السالم أن تبقى ساكنة أيضا ، لأن الجمع السالم لا يبدل فيه بناء مفرده ، ولكن العرب أوجبت في مثل هذا فتح العين فيقولون : فترات ، وحسرات ، ووعدات ، ولا يجوزون الإسكان إلا في ضرورة من الشعر » .

وهذا أيضا من خطأ القياس عند المعترضين على طريقة النحاة في التقدير ، لأن السكون هنا لا يستثقل وإنما يستثقل الانتقال من التحريك إلى التسكين ثم من التسكين إلى التحريك ، ولا فرق في ذلك بين الفتحة والضمة لأنهم يقولون : الحجرات والغرفات والقبلات والظلمات بدلا من تسكين الجيم أو الراء أو الباء أو اللام ، وكذلك يقولون القطن والغصن والعمر والكتب والأسد ، إلى كثير من أمثالها لأن الاستمرار في حركة واحدة أيسر من الانتقال منها إلى تسكين ثم للعودة بعد التسكين إلى التحريك .

* * *

قال الأستاذ : « إذا رجعت إلى علم مخارج الحروف واستشهدت طبيعة الفتحة في نطقها ، وقستها إلى غيرها من الحركات ، وجدت البرهان الجلي على خفة الفتحة والشهادة لذوق العرب في استحبابها ، وذلك أن الفتحة القصيرة أو الفتحة الطويلة — وهي الألف — لا تكلف الناطق إلا إرسال النفس حرا ، وترك مسرى الهواء أثناء النطق بلا عناء في تكييفه » .

ونرجع إلى النحاة في اعتبارهم أن الضمة غنية عن التعليل فنرى أنهم أقرب إلى الصواب لأن الضمة لا تكلف الناطق شيئا على الإطلاق إذا كانت الفتحة — كما قال الأستاذ — تكلفه إرسال النفس حرا وترك مسرى الهواء أثناء النطق بلا عناء . فإن الضمة هي حالة انطباق الشفتين عند انتهاء كل كلام ، وهي كذلك حالة الشفتين قبل كل كلام .

فإذا احتجنا إلى تعليل الحركة فإنما نحتاج إليه في حالة غير حالة إطباق الشفتين وهي إما حالة الفتح أو حالة الكسر ، ولا نذكر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السكون لأنه هو حالة قطع الحركة ولا يحسب من أجل ذلك فى عداد الحركات ، ولهذا كان موقعه الغالب موقع البناء حيث لا تتغير أواخر الكلمة بالإعراب .

وليس من الميسور الآن تعليل معنى الفتح أو معنى الجر فى مواقع الإضافة ، ولكن المحقق أن الفتح والجر لا يطردان فى مواضعهما جزافا لغير سبب دعا إليه عند وضع اللغة بين أوائل المتكلمين بها ونعنى بهم أولئك الذين كانوا يتكلمون ويقرنون الكلمات بحركات يدوية أو شفوية مصطلح عليها لدفع اللبس بينها وبين ما عداها .

ونقول على سبيل الظن الذى تعززه إشاراتنا فى هذا الزمن إن الفتح كان علامة على الابتعاد بحركة من الفم تؤكدها حركة من اليد إلى الفضاء ، وراقب المتكلم وهو يقول عن أحد أو عن شىء إنه ذهب وانقضى ... فإنه سواء تكلم بالفصحى أو العامية يقول : راح ، وفات ، وانتهى ، ويدفع يده مرتفعة إلى الفضاء ، كأنما يشير إلى شىء غاب عن العيان .

وقد نجد من قرائن المقابلة بين اللغات السامية ما يؤيد هذا الظن أو هذا التخمين ، فقد نقل الأستاذ ابراهيم أقوال بعض العارفين بالحبشية من أمثال بروكلمان ورايت فقال : « إنه يمكن أن يرى أن الفتحة أصلها (ها) Ha وهى ضمير إشارة مستعمل فى اللغات السامية ، ولم يزل فى الحبشة يلحق بالأعلام فى حالة النصب إذا وقع عليها فعل ذو اتجاه . مثل : أقبل وقصد ، وأصل معناها فى هذا الاستعمال الاتجاه إلى شىء أو شخص معين ... » .

فإن لم يكن هذا سبب الفتح فى كلمات اللغة العربية ففيه إشارة إلى بعض أصولها فى لغة من اللغات السامية ، وهى قرينة من قرائن التطور فى أقدم هذه اللغات وأجمعها لقواعد الإعراب ، وهى اللغة العربية .

على أن الأستاذ ابراهيم قد بنى مذهبه كله فى إحياء النحو على الحاجة إلى تعليل الضم وعدم الحاجة إلى تعليل الفتح فأصبح المذهب كله مرتهنا بثبوت هذا الرأى وذهاب الشك فيه ، وأول ما يتطرق إليه من دواعى الشك القوى أن « الإسناد » لا يصلح لتعليل الضمة لسبب يسير ، وهو أن الضمة أو انضمام الفم فى نهاية الكلام لا حاجة بها إلى سبب ، سواء كان هو الإسناد كما سماه صاحب إحياء النحو رحمه الله أو كان له سبب سواه .

وحسبنا مثل واحد نختم به هذا المقال لبيان الفارق فى دقة التقدير بين طريقة النحاة الأقدمين وطريقة المعترضين عليهم فى مسألة من ألصق المسائل بالإسناد والمسند إليه وهما

(البقية على الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القوانين التي وضعها الإسلام ضمانًا وتنفيذًا للحقوق الطبيعية

للأستاذ محمد محمد المدني

قلنا في مقالنا السابق : إن الإسلام يكفل الحقوق الطبيعية للمواطنين ، وهي : حق المواطن في المساواة ، وفي الحرية ، وفي اعتبار كرامته الإنسانية ، وفي أن يأمن على حياته ، وفي أن يعيش عيشة كريمة .

وقلنا : إن الإسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقوق تقريراً نظريا ، ولكنه شرع مع ذلك من النظم والقوانين ما يضمنها عمليا ، ويكفل تنفيذها على أحسن وضع .

ونريد الآن أن نبين القوانين التي وضعها الإسلام في هذا الشأن :

١ — فأول ذلك أنه ضمانا لحق المساواة ، وتنفيذاً له ، قرر قانون العدل أو القسط .

والعدل من أهم الأركان التي يقوم عليها المجتمع الصالح ، وكل مجتمع لا يقوم على أساس من العدل هو مجتمع فاسد صائر إلى الانحلال ثم الزوال .

وقد جاءت جميع تعاليم الإسلام متمشية

(بقية مقال عوامل الإعراب)

دعامة النحو الجديد كما يسميه المعترضون على النحاة المتقدمين .

يسأل الأستاذ ابراهيم : « ما الفرق بين كسر الإناء وانكسر الإناء إلا ما ترى بين صيغتي كسر وانكسر ، وما لكل صيغة من خاصة في تصوير المعنى ؟... أما لفظ الإناء فإنه في المثالين مسند إليه ، وإن اختلف المسند » .

فهذا تقدير يلاحظ عليه ما لاحظه الأستاذ الفاضل رحمه الله على النحاة وهو يأخذ عليهم نقل العامل من معناه المفهوم إلى لفظ محدود يقاس عليه في جميع الأحوال .

فإذا كان معنى الإسناد هو موضوع الكلام ولم يكن معناه هو اللفظ في موضع الفاعل أو نائب الفاعل ، فالفرق كبير بين « انكسر الإناء » وكسر الإناء ؛ لأن الموضوع في قولنا انكسر الإناء هو موضوع الكسر بغير نظر إلى فاعل معلوم أو مجهول ، ولكن صيغة الفعل « كسر » مبنيا على المجهول تشغل الذهن بمعنى غير معنى الكسر ، وهو النظر إلى الفاعل والعلم بعد ذلك بأنه غير معلوم ، وهو معنى من معاني الإسناد أو التكلم عن الموضوع لا يتساوى عند التعبير بالكلمتين .

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القوانين التي وضعها الإسلام ضمانًا وتنفيذًا للحقوق الطبيعية

للأستاذ محمد محمد المدني

قلنا في مقالنا السابق : إن الإسلام يكفل الحقوق الطبيعية للمواطنين ، وهي : حق المواطن في المساواة ، وفي الحرية ، وفي اعتبار كرامته الإنسانية ، وفي أن يأمن على حياته ، وفي أن يعيش عيشة كريمة .

وقلنا : إن الإسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقوق تقريراً نظريا ، ولكنه شرع مع ذلك من النظم والقوانين ما يضمنها عمليا ، ويكفل تنفيذها على أحسن وضع .

ونريد الآن أن نبين القوانين التي وضعها الإسلام في هذا الشأن :

١ — فأول ذلك أنه ضمانا لحق المساواة ، وتنفيذاً له ، قرر قانون العدل أو القسط .

والعدل من أهم الأركان التي يقوم عليها المجتمع الصالح ، وكل مجتمع لا يقوم على أساس من العدل هو مجتمع فاسد صائر إلى الانحلال ثم الزوال .

وقد جاءت جميع تعاليم الإسلام متمشية

(بقية مقال عوامل الإعراب)

دعامة النحو الجديد كما يسميه المعترضون على النحاة المتقدمين .

يسأل الأستاذ ابراهيم : « ما الفرق بين كسر الإناء وانكسر الإناء إلا ما ترى بين صيغتي كسر وانكسر ، وما لكل صيغة من خاصة في تصوير المعنى ؟... أما لفظ الإناء فإنه في المثالين مسند إليه ، وإن اختلف المسند » .

فهذا تقدير يلاحظ عليه ما لاحظه الأستاذ الفاضل رحمه الله على النحاة وهو يأخذ عليهم نقل العامل من معناه المفهوم إلى لفظ محدود يقاس عليه في جميع الأحوال .

فإذا كان معنى الإسناد هو موضوع الكلام ولم يكن معناه هو اللفظ في موضع الفاعل أو نائب الفاعل ، فالفرق كبير بين « انكسر الإناء » وكسر الإناء ؛ لأن الموضوع في قولنا انكسر الإناء هو موضوع الكسر بغير نظر إلى فاعل معلوم أو مجهول ، ولكن صيغة الفعل « كسر » مبنيا على المجهول تشغل الذهن بمعنى غير معنى الكسر ، وهو النظر إلى الفاعل والعلم بعد ذلك بأنه غير معلوم ، وهو معنى من معاني الإسناد أو التكلم عن الموضوع لا يتساوى عند التعبير بالكلمتين .

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع العدل ، فكل ماشرعه الله تعالى من أحكام المعاملات ، وقواعد السلوك الاجتماعى ، وتفصيل العلاقة بين المؤمنين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين غيرهم ، كل ذلك يقوم على العدل ويرمى إلى تحقيق العدل ، حتى العقائد الإلهية والمبادىء الاجتماعية :

فاعتقاد الوحدانية مثلا عدل فى الاعتقاد ، وفيه إنصاف للعقل ؛ لأن العقل يحكم بأن للكون صانعا واحدا تبدو آثار قدرته وربوبيته فى كل ماخلق على طراز واحد من الاستقامة والإتقان واطراد السنن والخواص ولذلك جاء فى وصية لقمان لابنه : « يابنى لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم » ، وإذا كان للشرك ظلما لأنه إخلال بما يقتضيه العقل والنظر ، فإن الوحدانية عدل لأنها هى التعبير الصحيح عن واقع الأمر فى هذا الكون المتناسق فى وضعه وفى قوانينه ، الدال بتناسقه على وحدة خالقه .

والتضامن الاجتماعى كذلك عدل ، لأنه لا يمكن أن يتحقق التوازن بين الناس على وجه يكفل الاستقرار إلا به ، ولا يمكن أن يقبل فى العقول أن يكون أحد أعضاء المجتمع متخما بالمال والنعيم ، وبجانبه من هو مستحق بعض ذلك ليعيش ثم يمنع هذا المترف المنعم من أن يعاون أخاه وزميله فى المجتمع بشىء من ماله .

وهكذا ...

وهناك آيتان متميزتان بينهما كثير من أوجه التشابه تتحدثان عن العدل وترسمان قانونه :

إحداهما فى سورة النساء ، وهى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » .

والثانية قوله تعالى فى سورة المائدة : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » .

وقد توافقت هاتان الآيتان فى كثير من جزئيات هذا القانون الإلهى ، وإن اختلف التعبير بعض الاختلاف :

فنرى كلا منهما تطلب من المؤمنين أن يكونوا « قوامين لله » أو « قوامين بالقسط » الذى هو العدل والتوازن .

و « القوّام » هو المبالغ فى القيام بالشىء ، المضطلع به اضطلاعا قويا ، فهو شديد الحرص عليه ، شديد الوفاء له ، شديد الغيرة على تمامه وصلاحه .

هذا هو « القوّام » بالشىء ، وهذا هو الذى يطلب الله إلى المؤمنين أن يكونوه ، له وللعدل ، فهو يريد أن يكونوا « قوامين لله »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« قوامين بالقسط » مضطلعين بهذا وذاك على نحو قوى ظاهر القوة ، لا أن يكونوا صوراً ضعيفة هزيلة يرضون بأيسر الأمور ، وأدنى الآمال ، ولا يبذلون أكرم الجهود ، ويلتمسون المعاذير عن ضعفهم وتخاذلهم ، فكل الناس مطالبون بأن يكونوا ذوى شخصيات قوية مضطلعة بما تضطلع به من القوامية على العدل فى ثبات وعزم وشجاعة ، واضطلاعها بذلك لله ، فهو قصدها ، وهو باعثها ، وهو ملهمها ، وهو غايتها — عندئذ يكون الحاكم « قواما لله » ، « قواما بالقسط » ، ويكون المحكوم « قواما لله » ، « قواما بالقسط » ، ويكون الناصح كذلك ، والمنتصح كذلك ، والمتعامل كذلك ، والموظف كذلك ، كل فيما خوله الله ، قوام لله ، قوام بالقسط وعندئذ تكون الأمة بناء قويا ، من لبنات قوية ، وتكون فى حصانة من أن تهضم أو تهدم أو تهزم ، أو تظلم أو تهمل .

وقد اختلف التعبير بين آية النساء وآية المائدة فى أول مادة من هذا القانون ، إذ تقول سورة النساء « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » وتقول سورة المائدة « كونوا قوامين لله شهداء بالقسط » .

وفى هذا الاختلاف إيحاء بأن كلا منهما يصح أن يوضع موضع الآخر ، وأن « القوامية لله » هى عين « القوامية بالقسط » ، ولا شك أن ذلك تنويه عظيم بشأن القسط والشهادة لله .

ثم إن سورة النساء تقول « ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » فتنهى عن ملاحظة عوامل التعصب للنفس ، أو التحيز للقرابة ، مما يبعث على تلوين العدل بغير لونه ، وإعطاء المشهود له ما لا يستحقه ، وذلك هو الإخلال بالعدل عن طريق محاباة النفس أو من تميل إليه النفس .

ويقابل هذا فى سورة المائدة « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » وهو نهى عن ملاحظة عوامل الكراهية ، التى من شأنها أن تلون العدل بغير لونه أيضاً ، وأن تحمل على التحيف وإضاعة الحق ، وذلك هو الإخلال بالعدل عن طريق الإجحاف بصاحب الحق ، والحيلولة بينه وبين الوصول إلى حقه .

هذا وفى الآيتين أسرار أخرى كثيرة حسبنا منها ما تقدم .

وقد طبق الخلفاء الراشدون هذا العدل على أدق وجه ، وحسبنا ما يروى فى ذلك عن عمر بن الخطاب ، فهو يقول بعد توليه الخلافة : « إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » . ويقول فى رسالته لأبى موسى الأشعرى : « آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » ، ويقول فى وصيته للخليفة من بعده : « اجعل الناس عندك سواء ،

لا تبال على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والأثرة والمحاباة ».

هــذا هو عدل الإسلام الذي شرعه في سبيل تحقيق المساواة وهي أول حق طبيعي مشترك بين الناس

وفي سبيل تحقيق هذه المساواة أيضاً يعمل الإسلام على تحقيق ما نسميه (تكافؤ الفرص) ويشرع لذلك أحكاما من شأنها أن تؤيده وتثبته:

منها الحيلولة دون تضخم المال ، وأن يكون دولة بين الأغنياء خاصة ، بتحريم الاحتكار وإغلاء الأسعار وتلقي الركبان ، ونحو ذلك .

ومنها تحريم الرشوة أخذاً وإعطاء لئلا يكون الغني أقدر على تحقيق منافعه من الفقير .

ومنها تشريع المواريث الذي لوحظ فيه توزيع التركة على الأولاد والأقارب بنسب مقابلة وملائمة لمراكزهم وواجباتهم بما يجعل الفرص متكافئة في الحقيقة ، وإن اختلفت الأنصباء في الظاهر .

٢ — وفي الحرية والكرامة الإنسانية شرع الإسلام نظاما من شأنه تصفية الرق البشري ، وذلك بأن ضيق الموارد المؤدية إلى العبودية وحذر من التوسع فيها تحذيراً شديداً ووسع المخارج المؤدية إلى الحرية ، ورغب فيها ترغيبا عظيما .

والإسلام لا يرضى عن الإكراه الديني ، ولا يرى إيمان المكره صحيحا ، كما لا يرتب أثرا على الإكراه على الكفر ، ما دام القلب مطمئنا بالإيمان .

والإسلام يفتح باب الاجتهاد احتراماً للحرية العلمية والتفكير العقلي ، وقد وضع لذلك قانونا مشجعا ، هو أن المصيب له أجران ، والمخطىء له أجر واحد ، وهذا هو أعظم ما يتصور من تشجيع للحرية الفكرية ، وكأنه يقول لأصحاب العقول : فكروا ولا تخافوا من عواقب التفكير ، فقد أبحت لكم أن تخطئوا غير متعمدين ، بل جعلت لكم مكافأة من ثواب إن أخطأتم أضاعفها لكم إن أصبتم !

* * *

٣ — وفي سبيل الاحتفاظ بحق الحياة للمواطنين ، وبحق الأمن والطمأنينة على النفس في المجتمع ، شرع القصاص ، واعتبر أن قتل النفس الواحدة بغير الحق بمثابة قتل الناس جميعا ، وإحياء النفس الواحدة بالمحافظة عليها ، وإقرار حقها في الحياة بمثابة إحياء الناس جميعا : « أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » .

وكذلك شرع كل ما يحفظ الحياة للحي : فنهى عن الانتحار بقتل النفس أو ما هو بمثابة قطعة من النفس : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » ، « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » ، « ولا تقتلوا أولادكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من إملاق » ، « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

وشرع كل ما يحفظ الصحة من النظافة والوضوء والغسل وعدم الإسراف فى الطعام والشراب، وعدم تناول المسكرات والمخدرات والمحافظة على صحة الأجنة والأطفال بإباحة الفطر للحامل والمرضع ، والنهى فى أوقات الوباء عن الخروج من الأرض الموبوءة بالنسبة لمن فيها ، والدخول إليها بالنسبة لمن هم خارجها .

٤ — وفى سبيل الارتفاع بالمستوى الإنسانى ، حث على العمل والتشمير والاتجار والضرب فى الأرض وإثارتها بالحرث التماسا للنبات ، وأباح التمتع بالزينة والطيبات من الرزق ، وطلب من المرء أن يعمل على أن يكون غنيا ليعطى ، لا أن يكون فقيرا ليأخذ. فإن اليد العليا خير من اليد السفلى.

وفصل قواعد التعامل والبيع والشراء ، والأخذ والعطاء . على وجه يجعل الناس متعاونين ينتفع بعضهم من بعض ، وينفع بعضهم بعضا ، كل ذلك بالمعروف دون ضرر ولا ضرار ، ولا تربص ولا احتكار .

فبينما نرى الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن تلقى الركبان ليتيح للناس فرصا متكافئة حين ترد البضائع إلى السوق فيتسارى الناس فى التقدم لشرائها ؛ نراه ينهى عن أن يبيع الحاضر للبادى ، فيقول « لا يبيع حاضر لباد ، دعوا الناس فى غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض » ، وذلك لأن الحاضر أى المقيم فى الحضر أخبر وأقدر على أن يبيع بسعر أعلى ترويجا للسلعة التى جاء بها البادى أى المقيم بالبادية ، فيترتب على ذلك ألا تتهيأ فرص الرزق التى يجب أن تترك حرة بين الناس، فربما غفل أهل البادية فانتفع بذلك أهل الحاضرة ، وليست الغفلة حينئذ معيبة منهم بل هى مسايرة للسهولة واليسر وعدم المغالاة نتيجة لأنهم عادة يكسبون مكاسب طبيعية مما تنبت الأرض ، وتخرج الماشية ونحو ذلك، فلا يفسدهم أن يتسامحوا ويغلبوا بعض الغلب إذا قيس أمرهم فى البيع والكسب بسكان المدن والحواضر .

• • •

وهكذا يتبين أن الإسلام يكفل الحقوق الطبيعية للمواطنين ، ولا يكتفى بهذه الكفالة نظريا ، بل يشرع من القوانين والنظم ما يجعلها مضمونة نافذة قوية .

وصدق الله العظيم إذ يقول « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة
بجامعة الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

سلطان الأمة منوط باستقامتها ودوام النعمة رهين بصيانتها

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم : . وأن الله سميع عليم .

١ — الله سبحانه - يضفى على الأمة جانبا من تأييده ، ويمنحها حظا من سلطانه . فتكون لها شخصية ومهابة ، ويعز شأنها ، وتستقر سيادتها فى رعاية الله ما دامت على الجادة ، وغير ملتوية فى مسالكها عما رسم الله من شئون دينه ودنياه فى محيط الأمة . وفى علاقاتها مع الغير . والله سبحانه يمنح الأفراد كذلك من فضله ، ويحفظ عليهم نعماه ما دامت النعمة فيهم مرعية الجانب ، ومحفوفة بالتقدير ، والحمد وحسن التصرف .

وقد عاهد الله خلقه على أنه لا يسلبهم نعمته ، ولا يبدل من عطائه إلا إذا كانت الإساءة منهم إلى أنفسهم .

فحينذاك يكونون رافضين لما منحهم ، ومعرضين عما نصحهم ، فلا يكونون أهلا لما تفضل به عليهم . . وهذا هو قوله سبحانه : « لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . فمن نكث فإنما ينكث على نفسه » .

ونحن فى عالم فسيح الأرجاء ، تتناوبه صروف القدر ، وتتماوج فيه أحداث الزمن ، وهو فى طريقه يستقبل جديدا ، ويودع قديما ، إلى أن يستقر الركب على أى نحو يشاء الله .

والله تعالى - يحبب إلينا دائما أن نعيش على الهدى ، وأن نلتمس الخير من سبله عامة ، لندرك حظنا من دنيا ، وليكون الخير بعدها موصولا بما هو خير منه ، وأبقى فى حياة الخلود .

٢ — وكان من فضل الله على الناس أن يمنحهم العقل ليفكروا ، والوعى ليتدبروا ، وأضفى عليهم نعمة العلم ، والرزق ، والصحة ليسلكوا سبلهم عن بينة إلى خير ما دعاهم إليه وبين لهم أن الإحسان منهم إحسان إلى أنفسهم . . وأن الإساءة منهم إساءة إليها ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأن ما يصيبهم من سوء فهم الكاسبون له ، وما ينالهم من جزاء فما ظلمهم الله فيه .

وهذه شرعة الله مع عباده قديما وحديثا .. فماذا كان ؟ .

٣ ــ كانت للناس مسالك متباينة ، وتقلبات مضطربة ، وعلاقات غير رحيمة فيما بينهم وخصومات لدينهم ، ومقاومة كريهة لدعوة رسلهم .

وهكذا ضلت فيهم عقول ، وعميت منهم بصائر ، فتجاهلوا ما عرفوا من شرائعهم ، وانحرفت بهم النعمة ، ومرحوا على شقاق وضلالة .

وماذا يستحق الماكر غير هوان به ، وسلب نعمته بعد توافرها ، وكسر شوكته بعد قوتها ؟ ؟ وإذلال نفسه بعد جبروتها ؟ .

هكذا كانوا ، وهكذا صنع الله بهم .

نجى الله من بينهم أنبياءه وأتقياءه ، ثم سلط على الآخرين بلاءه ، فأهلكهم بالصيحات ، والصواعق المحرقات ، وبالخسف ، والمسخ ، وبالريح العاتية ، والإغراق المبيد ، وأذاقهم من بأسه ما لم يكن لهم فى حساب .

وتلك عدالة الله مع خلقه ، وحكمته فى تدبير ملكه .

ثم ماذا يستحق من الله من أحسن الله إليه فأساء ، ووعده بالخير فكذب وعده ؟ وأوعده بالشر فاستهان بوعيده ؟ ؟ ذهبت ريحهم ، وخلت منهم ديارهم ، وباءوا بشر ما يبوء به من دخل دنياه رابحا ، ثم خرج منها خاسراً ، واندحر على هوان ، وليته لم يكن فى الدنيا شيئا مذكوراً .

تلك أمم : انفرجت لهم حياتهم واتسعت بفاج دنياهم ، وكان لهم سلطان ومتاع ، فما بقى لهم غير ذكريات سيئات ، وما ورثنا عنهم سوى العبرة بهم ، والتخويف من عقباهم إذا غيرنا ما بأنفسنا كما غيروا ، فإن سنة الله قائمة ، وقدرته متمكنة .

ونحن عباد مثلهم ، وليسنا أعز على الله منهم إلا بتقواه ، وباتخاذ سبلنا فى الحياة على هداه .

ورحمة الله لمن يهتدى بهديه ونعمته تدوم مع من يرعاها بالأمانة عليها ، وحسن تصرفه فيها ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

٤ ــ والدنيا عند الله هينة ، وهو يعطيها لمن يحبه ولمن لا يحبه ولا يضيره ــ سبحانه ــ أن تظل نعمته عند من يعصيه ويبقى السلطان عند من لا يتقيه .

ولكن حكمة الله تترك الدنيا لمن لا يستحقها ناعما فيها ، حتى يتم اختباره بها ، ثم يكون زوالها وبالا عليه ، وحسرة له .

ومن أجل ذلك التدبير تراها دولة بين الناس ــ ويغير الله من حال إلى حال ... فقوم كانوا على صلاح ثم أفسدوا ، وعلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عدل ثم جاروا ، وعلى تناصح ثم جحدوا وعلى حياء ثم تبجحوا . وعلى قناعة ثم جشعوا، وعلى اجتهاد فى حياتهم ودنياهم ثم تواكلوا هؤلاء جميعا غيروا ما بأنفسهم ، فغير الله ما بهم من صنوف نعمائه .

ورب قوم على فساد وضلال ثم ازدادوا وتمادوا ، فهم كذلك غيروا ما بأنفسهم من قبيح إلى أقبح وإن كانوا من قبل فى مهلة من وعيد الله ، فإن الله لا يطيل إمهالهم بل يلاحقهم بما يزعزع أمنهم وينتقص من راحتهم . ويهز من كيانهم ، ويسلط عليهم من غصص الحياة وأكدارها ما يبدلهم سوءا بعد حسن ، وشرا بعد خير . وشؤما بعد رجاء .

وكذلك كانت قريش ... عاشوا فى رخاء وتمجدوا بعصبية وأنساب ، وتمتعوا فى شموخ وأنفة ، وكان فيهم كفر ووثنية ، غير أنهم كانوا فى مهلة ، وفى شبه معذرة ، لأن رسولا لم يأتهم ، ولأن دعوة لم توجه إليهم ، وكانت لهم مع الكفر والضلالات مبرات خلقية كريمة ، كصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد وحماية الجار ، وإغاثة الملهوف ، وسجية الكرم . والإيثار .

وإزاء هذه المبرات مع وثنيتهم كانوا فى مهلة من تغير الحال بهم ، وفى هدوء من التهديد والتشنيع وافتضاح أمرهم .

• — فلما جاءهم رسول منهم ، ووجهت إليهم دعوة ، وقامت عليهم حجته غدروا بالقرابة . واحتقروا الرحم التى بينهم وبينه وتخلفوا عن عصبيتهم للحق ، فى سبيل اعتصامهم بالباطل ، وأنكروا محمداً وهو من صميمهم ، وأكرمهم نسبا فيهم ، بل هو كما هتف فيهم أرحم بهم من أنفسهم ، وهو أصدق من عرف بالصدق فيهم ، وأوفى من عرف بالأمانة بينهم .

نكلت قريش عن دعوته ، ولم يشكروا نعمة الله بهدايته .

فكان هذا مناقضا لما عرف عنهم من مؤازرة العصبية ، ومنافيا لما عهد فيهم من عرفان الجميل . طاشت عقولهم ، وضلوا سبيلهم فبدل الله أمنهم خوفا ، وراحتهم شقاء ، وأصبحت كثرتهم فى تقلص ، وسيادتهم فى أفول ، وصارت تلاحقهم الهزائم ، وتهز من كيانهم الثابات ، وتطفىء من وجاهتهم فضائح سيرتهم مع خير رسول بعث منهم وإليهم . وإلى الناس جميعا .

أولئك قوم أتيح لهم أن يهتدوا بهدى رسول الله ، وأن يسودوا فى ظل دين الله ، وأن يعظموا بالعلم ، ومدنية الإسلام ، وأن تدوم لهم المكانة المرموقة لهم وزيادة ، وأن يتصل مجد عروبتهم فى الجاهلية بمجد عروبتهم فى الإسلام ، وفى ظلال القرآن .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلم يكن منهم إلا نكوص ، وإعراض ، ولجاج وعناد ، وطغيان وجلاد فى سبيل الباطل والسير فى جند الشيطان .

وما كان رسولهم يسألهم على دعوته لهم أجرا غير المودة منهم فى القربى التى تجمعهم .

قوم نبذوا ما كان يليق بهم ، وآثروا ما كان قبيحا منهم ، لا يستحقون إلا أن تتجهم لهم الحياة ، ويكون الدين الجديد حربا على جموعهم ، وشؤما على مطامعهم ، وناعقا لسلطانهم ، ونذيراً لهم بالعذاب فى أخراهم .

٦ - وهذا جانب من تغيير الله لما كانت تحظى به قريش قبل تمردها على ربها وهكذا رسم الله للأمم فى تعاقبها أن تعتبر بمن سبقها ودعاها أن تدرك نفسها من مفاتن دنياها ، وأن تتفادى العاقبة التى ترى فيها غيرها .

ولم يكن باقيا بعد أولئك سوى أمة دعاها محمد بن عبد الله ، وليس بعده من داع جديد .

ونزل عليه القرآن من عند الله ، وليس بعد القرآن من مزيد .

فآمنت به طائفة ، وبقيت طوائف أخرى كذبته ، وعاشت فى غير استجابة له ، فهل يفلت المخالفون له من هوان الله وإن أغراهم الإمهال ؟ ؟ لا ! !

إن لله موعداً لن يخلفه ، وما يغيب عن وعينا اليوم سيصبح أمراً مقضيا .

ثم انظر : تجد أن الأمة المستجيبة لمحمد أصابت خيراً كثيراً يوم كانت على عهدها مع الله ورسوله .

ولكنها تراخت من بعد ، وتلهت عن مناهج دينها ، وانغمست فى جهالة ، وركنت إلى كسل فى شئونها ، وأرخصت مجدها فنزلت لغيرها عما كان بيدها من سلطان بالدين ، وتسابق فى العلم ، واعتزاز بالخلق .

وأخيراً تهافتت أمم مسلمة على السير فى ركاب المخادعين ، طواعية للأهواء .

وبقدر ما تساهلت فى مقوماتها كان تخلفها عن مكانتها حتى أصبح الإسلام غريبا فيهم ، ومحاربا منهم .

ولا يزال القرآن ينادى فيهم ، ويستنهض هممهم ، ولعل الله يعفيهم من هذا الامتحان ، ويوفقهم لخير ما يكون .

ولعلهم يدركون أن أجدر الناس بالحرص على مجدهم ، وإحياء تراثهم هم الذين تنطوى قلوبهم وتلهج ألسنتهم - بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، فتلك أصدق كلمة تجرى على لسان .

وهى أقوى عهد بين الله والإنسان .

وهى شعار الحياة البالغة منتهى الكمال .

وفى طيها رموز واضحة لكل ما يبتغيه الدين والدنيا من الآمال - وفق الله الجميع .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شيخ تهابه الملوك

للأستاذ محمود الشرقاوى

ولد فى عصر كان جديرا به ، وعاش فى عهد من الفتن والمحن كان الناس فيه يحتاجون إلى إخلاصه وإيمانه وشجاعته ، ليضرب لهم المثل ويضع أمام أبصارهم وبصائرهم القدوة .

خلع عليه معاصروه لقب : «سلطان العلماء» وكان جديرا بأن يسمى « سلطان السلاطين » فقد كانوا يهابونه ويخشون بأسه . ولم يكن له من بأس ولا سطوة إلا عرفانه حق الدين وأمانة العلم وسلطان الضمير ، وما كان له - بسبب هذا كله - من غلبة على الناس يقودهم بها ، وحب من الناس يملأ قلبه بالثقة والإيمان والصبر ، وقلوبهم بالتضحية والشجاعة والطاعة

سماه أهله : « عبد العزيز » فعاش عمره كله لا يعرف لغير الله عزة ، ولا يحس بأن لغير « العزيز القهار » فى نفسه وقلبه عبودية ولا تبعية ولا مهابة ولا خشية ، وكان اسم أبيه : « عبد السلام » ولكنه عاش فى عصر لا يعرف السلام ، بل لم يعرف أهله غير الحرب والخصام والرمح والحسام وتفليق الهام .

كان ، فى ضميره وروحه ، زاهدا عابداً يتصوف وينقطع للعلم ، فإذا جد الجد وأحاطت بالوطن الإسلامى الزعازع والخطوب ترك صومعة الزاهد إلى سيف المجاهد ، وخلى بينه وبين التحرير والبيان ، ليحمل الرمح والسنان ، فإذا شارك فى الجهاد وفرح بالنصر عاد إلى كتابه وبيانه وشهر قلمه ولسانه فى وجه الظلم والظالمين ، من حكام المسلمين ، فلم يكن فى شجاعته هذه معهم ، أقل قسوة ولا إخلاصا ولا عنفاً منه فى حربه وتحريضه على حرب أعداء الإسلام .

كان داعية للتضحية والفدائية ، فى العلم وفى الحرب ، يضرب المثل من نفسه فيعمل ، ويضرب المثل من منطقه فيقول : « إن الجهاد ضربان : ضرب بالجدل والبيان ، وضرب بالسيف والسنان ، وسلاح العالم علمه ولسانه كما أن سلاح المالك علمه وسنانه ، وكما لا يجوز للملوك إغماد أسلحتهم لا يجوز للعلماء إغماد ألسنتهم ... والمخاطرة بالنفوس مشروعة فى إعزاز الدين ، وذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمر فى صفوف المشركين ، وكذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن قال بأن التغرير بالنفوس لا يجوز فقد بعد عن الحق ، ونأى عن الصواب » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويحرص أصحاب القلوب السليمة والضمائر المستقيمة على أن يبذلوا - حتى حياتهم ونفوسهم - فى سبيل الله والحق فيقول : « إننا نزعم أننا من جملة حزب الله، وأنصار دينه ، وجنده وكل جندى لا يخاطر بنفسه فليس بجندى » . وكذلك كانت حياته - كما قلنا - مصداق منطقه ودعوته .

حياة ووفاء :

كانت بلاد الإسلام : « مصر والشام ، يحكمها بحكم القرون الوسطى ملوك وسلاطين وأمراء ، يعرفون الشجاعة ويقتحمون على الموت، ولكنهم لا يعرفون الحرية ولا الحق ولا العدل فى الرعية، وكانت حروبهم يصلاها أهلوهم وإخوانهم، وشجاعتهم يبلوها أعمامهم وإخوتهم وأبناؤهم . بينما يغزو بلاد الإسلام الغزاة القساة الفجرة من التتار والصليبيين ، فيستعين بعضهم بهؤلاء الغزاة البغاة الفجرة على إخوته وأهل دينه ، كما فعل الملك الصالح إسماعيل .

فى هذا الظلم والإثم ، وبين هذا الظلام والعدوان ، عاش « عبد العزيز » الذى ولد فى سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١) م فى عهد الملك البطل صلاح الدين الأيوبى ، فى مدينة دمشق ، وعاصر بقية سلاطين الدولة الأيوبية ، ونفراً من سلاطين المماليك البحرية وله مع كل واحد منهم مشاهد ومواقف .

لا نعرف عن طفولته شيئا كثيرا ولكنا نعرف من حياته بعد ذلك أنه ولى التدريس والقضاء والإفتاء فى دمشق ، وأن « فتنة » عن « مسألة كلامية » - كما يقول صاحب طبقات الشافعية - ثارت فى دمشق جهر فيها الشيخ برأى لم يرض عنه الملك الأشرف ، ولكن الشيخ لم يجزع لغضب السلطان ، ما دام قد أرضى دينه وضميره ، واستطاب غضب السلطان ، فى سبيل رضاء الله . ثم رجع الأشرف بعد ذلك فطلب الشيخ وقربه ، وترضاه ، وطلب رأيه ونصحه . ونعرف من سيرته أنه خدم ، بعد الأشرف ، أخاه الملك الصالح ، والملك الكامل ، الذى اختاره مدرسا فى زاوية الغزالى وقاضيا على دمشق . وأن الملك الصالح لقى من خصومة الشيخ وحربه ما أزعجه وأثار عليه سخطه فلما سلط عليه الصالح سوط غضبه . ترك الشيخ دمشق - بعد أن هيج الناس وأثارهم على السلطان - ونزح إلى بيت المقدس فأخذه صاحبها إلى السجن . وأرسل له الصالح يستصلحه ، ولكنه نفر وأبى ، فأسره الصالح . ورحل الشيخ إلى القاهرة فولاه سلطانها الصالح نجم الدين خطاباتها وقضاءها وعمارة المساجد فيها وفى بلاد مصر كلها . ثم عزل الشيخ نفسه ، ورجا من السلطان أن يعفيه ، فقبل رجاءه وأعفاه . ومات نجم الدين ثم جاء ابنه « توران شاه »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فأكرم الشيخ ورعا منزلته وأحسن معاملته. ثم صارت الدولة إلى الأتراك بعد بنى أيوب فأكرم سلاطينهم الشيخ أعظم إكرام. وبخاصة « الظاهر بيبرس » الذى كان - كما يقول مؤرخوه « منقمعاً تحت كلمة الشيخ لا يستطيع أن يخرج عن أمره.

ومات الشيخ : « سلطان العلماء » فى عهد الظاهر بيبرس ، فأمر جنده وخاصة مملكته أن يحملوا نعشه ويسيروا فى جنازته . ووقف هو يشهدها تحت القلعة ويرى أفواج الناس وأمواجهم تودع الشيخ وقبره وترحم عليه وتبكيه . ثم نزل السلطان نفسه بعد ذلك فحضر دفنه . ثم قال بعد ذلك كلمتين تدل أولاهما على ما كان للشيخ من منزلة كريمة فى قلوب الناس وإدراك السلطان نفسه واعترافه بهذه المنزلة ، وهى : « اليوم استقر أمرى فى المملك، لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لا تنزع الملك منى » .

و الكلمة الثانية تدل على ما كان يشعر به السلطان نحو الشيخ من كرامة وتقدير ، رغم هذه الخشية منه على عرشه ، وهى حزنه الذى عبر عنه فى هذه الكلمات القوية : « لا إله إلا الله . ! ما اتفقت وفاة الشيخ إلا فى دولتى . . ؟ .

ومات الشيخ فى سنة ٦٦٠ هـ : (١٢٦١ - ١٢٦٢ م) .

مات الشيخ « عز الدين بن عبد السلام » بعد حياة اعتز فيها بالدين فلم يخش فيه سلطانا ولا ملكا ، بل هابته الملوك والسلاطين وخشيت بأسه ، وعز فيها الدين وعز رجاله وأهله وكلمته . فقد جعل الشيخ من حياته ، منذ كان إلى الآن ، وعلى طول الزمان ، مثلا مضروباً وقدوة متبوعة لمن يتبع .

يا ليتنا ندرك ، فنقتدى ونحتذى ونفيد .

منزلته وكرامته :

يقول السبكى ، صاحب طبقات الشافعية ، عنه : « شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى زمانه ... لم ير مثله علما وورعا ، وقياما فى الحق ، وشجاعة ، وقوة جنان ، وسلاطة لسان » .

ويقول عنه شيخ الحنفية فى عصره - والمعاصرة حجاب كما يقولون بحق - : « هذا رجل لو كان فى الهند أو فى أقصى الدنيا ، كان ينبغى للسلطان أن يسعى فى حلوله فى بلاده لتتم بركته عليه وعلى بلاده ، ويفتخر به على سائر الملوك » .

وبلغ من منزلة الشيخ وكرامته أن الملك الظاهر بيبرس عندما أثبت قاضى قضاة مصر نسب الخليفة المستنصر ، لم يتقدم لبيعته إلا بعد أن بايعه الشيخ ، ثم تقدم السلطان فبايع ، ثم القضاة والأمراء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مشاهد ومواقف :

كانت حياة الشيخ كلها ، كما قلنا ، عزة بالدين والدين . فلم يخش سلطانا ولا ملكا ، بل هابته الملوك والسلاطين وخشيت بأسه . وهذه مشاهد ومواقف من عزته بالدين وعزة الدين به ، وكيف خذل بعزته الملوك والسلاطين ، واستطال عليهم بكلمة الحق وسلطان الكرامة والخلق والدين .

١ - كان الملك الأشرف يحكم دمشق ، وأخوه الملك الكامل يملك مصر . وعاد للملك الأشرف عقله فسعى إلى الشيخ فى أن يرضى عنه ويزوره - بعد الجفوة التى أشرنا إليها من قبل - ورضى الشيخ أن يزور الملك ، ولكنه أضمر فى نفسه شيئاً أكبر من الزيارة وملاقاة السلطان : هى أن يسعى لخير الإسلام ويجمع شمل الأخوين المتخاصمين على حرب عدو الإسلام والمسلمين وعدوهما . فقد كان الشيخ يعرف أن خصومة قائمة بين الأشرف وأخيه الكامل ، وأن الحرب توشك أن تقع بينهما .

ذهب الشيخ ليزور السلطان ، فوجده قد « نصب دهليزه صوب مصر » . وتلك ، فى اصطلاح ذلك العصر ، أمارة على رغبة السلطان فى غزوها ، وإشارة بإعلان الحرب عليها . وأنه لابد أن يفتحها ويدخلها ، سلما أو حربا ، مادام وجه دهليزه صوبها ، كما يدخل صاحب الدار داره .

وبدأ الشيخ حديثه مع السلطان فقال : إن الملك الكامل أخوك الكبير ، ورحمك . وأنت ملك عظيم عرف الناس كلهم شجاعتك وفتوحاتك . وتعرف أن التتار - أعداء الله والإسلام - يغزون بلاد المسلمين ويفتحونها . ومع ذلك تتركهم يحاربونهم ، ويفتحون بلادهم ويقتلون نساءهم وصبيانهم ، ويهدمون مساجدهم ، لو أمكنهم الله منهم ، وحاشا لله .

تترك - يا سلطان المسلمين - أعداء الإسلام يصنعون ذلك بالمسلمين ، لتحارب أخاك الملك المسلم

ثم قال الشيخ : دع ذلك أيها السلطان ، فما فيه إلا قطع الرحم ، وخذلان الدين ونصر أعداء الإسلام ، وقم لنصرة الله وحرب أعدائه وأعدائك وإعزاز كلمة الحق .

وكان السلطان مريضا ، فقال الشيخ : إن شاء الله لسلطاننا وسلطان المسلمين الشفاء والعافية ، رجونا من الله أن ينصرك على عدوه وعدوك ، وكانت لك بذلك الحسنة فى الدنيا والآخرة . وإن شاء الله لك أمراً آخر جازاك الله بحسن قصدك وإخلاصك وسعيك وإنما الأعمال بالنيات .

وتأثر الملك الأشرف من حديث الشيخ وإخلاصه فأمر ، والشيخ حاضر ، بنقل دهليزه من ناحية مصر ، صوب التتار ، وأعلن الحرب عليهم . ثم طلب إلى الشيخ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يزيد فى نصحه ، فطلب اليه أن يبطل المحرمات ، وأن يرفع عن الناس المظالم . فأمر الملك بذلك ، وطلب إلى الشيخ أن يتولى بنفسه الإشراف على رعاية الحق والعدل فى الرعية . ثم أمر للشيخ بألف دينار مصرية جزاء إخلاصه ونصحه . فاعتذر الشيخ من قبولها وهو يقول للسلطان : لقد حضرت إليك لنصحك ولخير المسلمين ، وكان اجتماعنا فى الله ولله ، فلا تكدر على صفاء نفسى بعد ذلك بشىء من متاع الدنيا .

ولم يمض يسير زمن حتى قدم الملك الكامل بجيوشه من مصر لحرب أخيه ـ ثم تصالحا ـ ولو وجد الكامل فى مصر شيخا مثل عز الدين ينصحه ويزجره ويقومه ، ما فعل ، وقد أكرم الكامل الشيخ واستدعاه فأجلسه على بساطه ، وأخو الكامل ، الصالح إسماعيل ، واقف يشهد ويعجب .

٢ ـ فى هذه الفتن السود خاف الملك الصالح إسماعيل على نفسه وعرشه فى دمشق ، من هجوم الملك نجم الدين أيوب ، سلطان مصر الذى حالفه الملك الصالح ثم خانه ، فلم يجد الصالح سبيلا لأمنه وسلامته إلا فى أن يخون دينه ووطنه ... ! فتصالح مع الصليبيين على أن يسلمهم « صيدا » وقلعة « الشقيف » وبعض الحصون الأخرى . وأن يبيح لهم دخول دمشق ليشتروا منها ويبيعوا فيها . ودخل الصليبيون دمشق يشترون السلاح ... ! وأوشك الشيخ أن ينشق صدره من الغيظ والغضب . فأمر الناس ألا يتعاملوا مع أعداء الإسلام وأعدائهم ، ولو أباح لهم السلطان ذلك ، ولم يذكر اسم الملك الصالح فى خطبة الجمعة ، إيذانا بخلعه والخروج على طاعته ، وكان الصالح ولاه خطابة دمشق بل ذكر الصالح فى خطبته بشىء من السوء . والناس من ورائه تهلل وتكبر . وأخذ رجال الملك الصالح الشيخ إلى السجن[1] فلما قدم الصالح أخرجه منه ومن دمشق كلها ، خوفا منه . فسار الشيخ يقصد بيت المقدس ، ولكنه وقع فى أسر حاكم نابلس ، وكان من رجال الملك الصالح .

وتكاثر الصليبيون وقوادهم وملوكهم على الشام ، ويدون النزول منها إلى مصر ، ووقع الصالح فى حرج بالغ ، والشيخ لا يكف عن مهاجمته والتحريض عليه . وجلس الصالح فى خيمته يفكر فى الحرب وفيما جره على نفسه ، بخيانته من الخزى وعلى وطنه ودينه من الشر . وفى هذا الشيخ الذى يثير عليه من الحرب وتهييج الناس مالا يستطيع أن يصنع إزاءه شيئاً . ورأى أن يطلب الشيخ ليصالحه ، أو ليرشوه ويشتريه .

وطلب السلطان رجلا من خاصته فبعث به

---

[١] أنكر ذلك أيضا من الملك الصالح الفقيه المالكى الكبير أبو عمر بن الحاجب ، فحبس مع الشيخ عز الدين .

رسولا إلى الشيخ . ووصاه : تلطف بالشيخ وأكثر من ملاينته ، وعده عني بأني سأرجعه إلى مناصبه وأزيد في إكرامه ، فإن قبل فهاته إلي وأسرع . وإن أبى فأحضره سجينا في خيمة تجاور خيمتي .

وكان رسول الملك منافقا مماذقا من عباد الدنيا وخدام السلاطين ، فظن أنه ، عن طريق الجاه والمال ، يستطيع أن يعود بالشيخ إلى سلطانه وسيده ، وأن يرضيه ولو هان وذل ، كما هان غيره وذل .

قال الرسول المنافق المماذق للشيخ المؤمن الجسور : إنك شيخ جليل وعالم كبير من حقك أن تنال أعظم المال وتحوز أرفع المناصب ، وأن تعيش حياتك كلها معززاً مكرما ينال الناس من بركاتك وينتفعون بعلمك .

وليس أمامك لتحوز ذلك وتناله وتعود إلى ما كنت عليه وزيادة ، إلا أن تخضع للسلطان وتدخل عليه فتقبل يده ... ! لا شيء أكثر من ذلك ... ! .

وهنا نسمع عجبا ونرى عجبا : نرى الشيخ يهيج ويصرخ في رسول الملك ويقول : إنك لمسكين . . . ! إني لا أرضى أن يقبل السلطان يدي وأنت تريد مني أن أقبل يده . إنك وسلطانك وقومك في واد وأنا في واد . إنكم عبيد المال والجاه والشهوة . وأنا لا أعبد إلا الله ولا أعرف ولا أخشى سواه . والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به .

وبهت الرسول المنافق المماذق . وقال للشيخ أمرني السلطان — إن لم توافق — أن أعتقلك . فقال الشيخ : حبا وكرامة .

وحبس الشيخ في خيمة تجاور خيمة الملك الصالح . فكان يكثر من الصلاة والتلاوة يرفع صوته بها حتى يسمع السلطان .

وجاء إلى الملك يوما جماعة من حلفائه الصليبيين يتحدثون إليه في أمر الحرب . وأراد الخائن أن يظهرهم على مقدار ما قدم لهم من العون ، وما لقي في سبيلهم من الإنكار فقال لهم : هل تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن ... ؟ قالوا : نعم . قال : هذا أكبر علماء المسلمين

وقد حبسته لإنكاره على تسليم حصون المسلمين لكم ، فعزلته عن جميع مناصبه وأخرجته من دمشق ، فجاء إلى بيت المقدس يحاربني ويتحداني ، ويفسد عليّ وعليكم الناس ، فجددت حبسه واعتقاله لأجلكم .

عند ذلك جبهه جلساؤه الصليبيون وأخزوه بهذا الجواب : لو كان هذا الشيخ قسيسا عندنا لقمنا بين يديه فغسلنا رجليه ، وشربنا ماء غسلهما . . !

وفي مقال آخر نجد مشاهد أخرى ومواقف للشيخ الذي أعز الدين واعتز به فأعزه الله وذل له الناس وهابته الملوك والسلاطين .

محمود الشرقاوي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من رحاب الحرم :

شحنة للمشاعر الإنسانية

للأستاذ فتحي عثمان

« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات » .

أما المنافع المادية المباشرة ، فهى بارزة للعيان ... رواج للتجارة ، وتعارف على الخير ، وتعاون على الحق بين الأفراد والشعوب والحكومات ! .

وإنما أتناول هنا الشحنة الشعورية الضخمة التى يسكبها الحج فى نفوس الحجاج ... شحنة من أجل المشاعر الإنسانية والقيم النبيلة ! .

* * *

فى الحج تربية للإحساس المرهف النبيل ...

فالحاج فى بساطة ثياب الإحرام ، محظور عليه العدوان ... حتى على الطير والحيوان ! « غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد » .

« يأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ، ليعلم الله من يخافه بالغيب ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره . عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام . أحل لكم صيد البحر وطعامه ، متاعا لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ، واتقوا الله الذى إليه تحشرون » .

وعلى هذه التربية النبيلة للشاعر الرقيقة ، تقوم شعائر الحج ...

وهى تثمر ثمارها فى تعامل الإنسان والإنسان :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب » .

وهكذا يمسح الحج على القلوب ، فيبرئها من الحقد والضغن والدخل ...

ويعالج الحج النفوس ، فيشفيها من العقد والعلل ...

ويربى الحج المشاعر ... بثياب الإحرام فى بساطتها ، وشعائر الحج فى روعتها ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والسلام المرسل من القلوب والألسنة والجوارح ... فى دار السلام ! .

« والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

إنها لهفة شعورية هائلة ... تعالج الإنسانية من « داخلها » ، وتأتى النفوس من أبوابها ، وتضع قواعد السلام والإخاء والمساواة على أساس ضارب فى الأعماق ! .

* * *

وفى هذا الجو النبيل ... انطلق صوت رسول الإسلام ، يقرر حقوق الإنسان فى خطبته الخالدة فى « حجة الوداع » .

« أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ... كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ... حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم » .

إن تربية المشاعر النبيلة لا بد أن تثمر ثمارها العملية فى السلوك ... وإن حرمة الشهر الحرام فى البلد الحرام ، ينبغى أن يسكب فى مشاعر المؤمنين رعاية حقوق الله فى كل زمان ومكان ! !

« أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ... فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ! ! » .

إن الإسلام لا يتجاهل شطر المجتمع ... ولرسول الإسلام حدب بالغ على « القوارير » ومشاعرهن وعواطفهن ... وهو الذى قرن « النساء » . « بالطيب » فيما حبب إليه من متاع الدنيا ... وهو الذى من أجل مرضاة أزواجه حرم ما أحل الله له حتى نزل وحى الله يصرفه عما فعل ... وهو الذى فى مرض الموت كان يصر على العدل فى رعاية مشاعر أزواجه ، لينقل محمولا بين بيوتهن وفق ما قسم بينهن فى معاملته لهن ، فكان عليه الصلاة والسلام يتساءل وهو صريع المرض : أين أنا غدا ؟ ؟

إنها المشاعر الحساسة المرهفة . فى الموقف الدقيق الرهيب ...

إنها العدالة الإنسانية المقررة فى الخطاب الجامع الخطير ...

« أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، فلا تظلموا أنفسكم ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ! ! » .

فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ...

أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ! ! ، إنه الإخاء الذى أثمره الإيمان .. والذى لا يمزقه إلا الكفران ! !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنها المساواة ... التى أنتجها الإيمان بإله واحد له وحده صفات الاستعلاء والكبرياء وكل البشر بعد ذلك سواء ، لأنهم جميعا مربوبون ولأنهم جميعا عباد ! !

لقد سجل التاريخ أن ملكا حديث عهد بالإسلام لطم عربيا مسلماً لأنه وطىء طرف ثوبه وهو يطوف حول الحرم ... فإذا بالخليفة المسلم يصر على القصاص ، مما أدى بالملك المتكبر أن يرتد عن دين لا يؤله إلا الكبير المتعال !

ومن هذه الأعماق العقيدية البعيدة ... ومن هذه التربية النفسية العميقة ... تأتى « المساواة » الحقيقية ، ويأتى « الإخاء » النابع من التجاوب والتفاهم فى المشاعر والأفكار .

« وألف بين قلوبهم .

لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم » .

إن الإيمان « بالله » ... خير رعاية « للإنسان » ! ! !

* * *

ويعقب أيام الحج عيد الأضحى ، وفيه ذكرى نقلة إنسانية كبرى فى التاريخ البشرى ...

ذكرى إعلان نهاية القرابين البشرية ، منذ عهد إبراهيم عليه السلام .

« فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال : يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على إبراهيم . كذلك نجزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين » ! !

إن الله لأرحم بعباده من أن يقتلوا أنفسهم تقرباً إليه ...

« وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فتاب عليكم ، إنه هو التواب الرحيم » .

إن الطاعة يكفى فيها الرمز . والقربان يجدر أن يأتى منه النفع .. وهنا كانت الأضحية حيوانا يؤكل لحمه ، ويطعم منه الفقير والمسكين .

« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير

فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها ، وأطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون.

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم ، وبشر المحسنين».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبذلك انتهى عهد القرابين ذات الدلالة العقيدية المجردة ، وغير ذات المنفعة البشرية المباشرة :

« الذين قالوا : إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار

قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم ، فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ؟ ؟ .

فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك ، جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير » ! !

* أية مراحل قطعها المجتمع الإنساني ... وهو يتدرج في السمو والرقي والارتفاع .

* وأية مراحل قطعها التشريع الديني ... ليساير التطور الاجتماعي البشري .

* وأية دروس يستفيدها علم الاجتماع ... استوعبت دراساته تاريخ النبوات ، وتطور الأديان ... بغير تجن أو تجاهل أو اعتساف !

* * *

وفي الدين تربية المشاعر الإنسانية ... حتى في ذبح الحيوان !

إن ذكر الله عند مسيل الدماء ، وإزهاق الأرواح ، عون على ترقيق القلوب ، وترقية المشاعر ، حتى لا يقسيها المنظر المألوف الدماء الجارية ...

وإن في إراحة الذبيحة رعاية للشاعر الإنسانية في هذا الموقف العصيب : « إن الله كتب عليكم الإحسان في كل شيء ...

فإذا قتلتم ... فأحسنوا القتلة .

وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » !

حفاظ على « الإنسان » ... حتى وهو يستعمل السكين ! !

إن الحيوان هالك على أية حال ... ولكن ما أفدح الخسارة حين تكون في مشاعر الإنسان » ! !

ومن أجل هذا ... أخبر رسول الإسلام أن امرأة عذبت في (هرة) حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار ...

وأخبر رسول الإسلام أن رجلا سقى كلبا بلغ به العطش ، فغفر له ...

إن المؤمن موصول بجلال الله ... الرحيم الرحمن .

إنه يراقبه ويبتغي رضاه ، في تعامله مع الناس ...

في رعاية خلجات نفوسهم ومكنونات مشاعرهم ...

إن المؤمن يسير في ركاب رسوله ... الرحمة المهداة !

« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ،

فاعف عنهم ،

واستغفر لهم ،

وشاورهم في الأمر ... » .

« رسول من أنفسكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم
بالمؤمنين رءوف رحيم » .

* * *

وبعد :

فإنما يتميز « الإنسان » عن غيره من الأحياء ... بالمشاعر الواعية ، والتميز المدرك والحس المرهف ، والانفعال الخلاق ...

وإنما يتميز « الإيمان » بأنه يصقل الأجهزة الروحية والنفسية فى « الإنسان » ... فيجعله أرق ما يكون حساسية ، وأعمق ما يكون وعيا ...

إن تجربة التعامل مع « الله » ... تعكس آثارا عجيبة فى التعامل مع « الإنسان » ... ومع معجزة الله فى « الإنسان » !! .

وبهذه الأجهزة البلورية الحساسة يتعامل المؤمنون ... فيكون لهم نور يمشون به !!

أما الذين عاشوا فى حدود « ذواتهم » ، ضاقت أو اتسعت ، فهم عن هذه المشاعر المتلألئة محجوبون ...

وأما الذين عاشوا فى حدود أشباح « الرسوم » من شعائر جامدة ، ومشاعر ميتة ، فهم عن حقيقة الإيمان بعيدون ...

ولكم تشق الإنسانية ... من هذه البصائر المطموسة !!

ولكم يسعد « الإنسان » ... حين يجد إلى جواره - فى دوامة الحياة - « الإنسان » ...

وإن « الإنسان » ليجد نفسه ، ويجد أخاه ... على نور « الإيمان » ...

فأين من هذا النور غلاظ القلوب من المتزمتين المتنطعين ، المتعطشين للتأثيم ، الملتمسين للعيوب ...

وأين من هذا النور من ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وتبلدت مشاعرهم فى رطوبة سجن الأنانية ، وضيق أفق النفعية ...

ما أحوج الإنسانية ... إلى المشاعر الدافئة ، والحنان الغامر ...

ما أحوج الإنسانية ... إلى الجد والعمق والصدق فى عالم الوجدان ، ليحس « الإنسان » بمستوى أرفع فى علاقة الإنسان بالإنسان ... مستوى أرفع من العلاقات الحيوية البيولوجية ، والضرورات الاجتماعية ...

مستوى يرضى « الإنسان » ، فى أعماق نفس « الإنسان » ؟

فتحى عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معاني القرآن

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون » .

الحفدة الأعوان ، وأصل معنى الحفد (بسكون الفاء) إسراع البعير فى سيره مع تدارك خطوه .

ثم استعمل فى الإسراع إلى الطاعة ، ومن ذلك ما جاء فى الدعاء المأثور (وإليك نسعى ونحفد) أى نسرع إلى الطاعة ، كما استعمل فى أولاد الأولاد لأنهم كالخدام فى الصغر .

والباطل ما لا بقاء له ولا فائدة منه .

هذه الحياة :

فى هذه الآية على إيجازها تتمثل الحياة بأجل ما فيها من ألوان المتاع المشروع . .

فالزوجة نعمة ورحمة ، إذ جعلها الله للزوج من جنسه ، ليشعر بأنها من نفسه فيسكن إليها ، ويكمل بها نقصه . ويجمل بها حياته ، ويجد فيما فطرت عليه من رقة الشعور ، ولين الجانب ، وجمال الظل والتكوين ما يروى شوقه ، ويرضى ذوقه كما يجد فيها تجيده من أعمال لا يجيدها الرجال ، ما يكفيه الحاجة ويهيئ له أسباب الراحة .

وقد جعل الله منها البنين والأحفاد ، وبذلك يرى فيها الزوج نماء فرعه وبقاء نوعه وامتداد وجوده ، فإذا كبر أولاده وأحفاده وجد فيهم قرة العين . وقوة العون ، فإذا أضيف إلى ذلك ما خلق الله له ولزوجه ولذريته من زوجه من طيبات الرزق . فماذا وراء ذلك من مطالب الحياة . .

الزوجة نعمة يجب أن تقابل بما ينبغى من شكر المنعم .

والبنون والحفدة الذين يسرعون فى طاعة آبائهم وخدمتهم نعمة يجب أن تقابل بما ينبغى من شكر المنعم .

والله وحده هو الذى جعل لنا من أنفسنا أزواجا .

وهو وحده الذى جعل لنا من أزواجنا بنين وحفدة .

وهو وحده الذى رزقنا من الطيبات .

إنه دون ـ غيره ـ الخالق الرازق ، فالإيمان بغيره باطل لأنه إيمان بباطل لا فائدة منه ولا خير فيه ، فإذا أضيف إلى ذلك نعمه التى لا تحصى ولا تنكر ، بل يجب أن تذكر وتشكر ، فأى إثم أكبر من هذا الإثم وأى ظلم أظلم من هذا الظلم ؟

عبد الرحيم فوده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع فى الأدب العربى

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

يتحدث النقاد والأدباء عن الفن الأدبى وهل ينبغى أن يكون المعول فى تقدير قيمة العمل الأدبى على ما يمتاز به فى أسلوبه أو أن يكون المعول فى ذلك التقدير على قيمة موضوعه كذلك بالنسبة إلى المجتمع وإلى الإنسانية ، ولست أقصد بحديثى هذا أن أتعرض لما يسوقه طرفا المناقشة من الحجج ، فهى معروفة كثرت المجادلات فيها ، غير أن الذى يبدو من هذه الأحاديث أن موطن الخلاف بين الجانبين المتناقشين معنى آخر خفى لم يظهر واضحا فى ثنايا المناقشات فأردت فى كلمتى هذه أن أحاول إظهار هذا المعنى الخفى بتوجيه بعض نظرات إلى أدبنا العربى لعلها تستبين حقيقة الصلة بين الموضوع فى الأدب وبين الحال التى كان عليها المجتمع فى العصور المختلفة ، فإن الكشف عن تلك الحقيقة جدير بأن يزيل كثيرا من الغموض الذى يحيط ببعض ما يبدى من الآراء .

ونقطة البداية التى أبدأ منها أن الإنتاج لا يمكن أن يسمى إنتاجا أدبيا إلا إذا توافر له الأسلوب الأدبى الفنى . ومعنى هذا أن كل إنتاج أدبى لابد أن يتوافر فيه الأسلوب الفنى والاتصال بالمجتمع معا ، وعلى هذا فإن الشعار الذى تدور المناقشات حوله وهو « هل الفن للفن أم هو للمجتمع » ، يبدو شعارا خاليا من الدلالة إذا كان المقصود منه المقابلة بين قيمتى الأسلوب والموضوع فى العمل الفنى ، لأن القيمتين لابد أن يتوافرا معا لكل عمل فنى .

وإذن يكون المعنى الحقيقى الذى تدور المناقشات حوله هو أن بعض النقاد يذهبون إلى أن الأديب مطلق الحرية فى اختيار موضوع إنتاجه سواء كان مما يقبله المجتمع ويرضى مثله العليا وقيمه المعنوية أو كان مما يرفضه المجتمع وينكر مثله وقيمه ، على حين أن البعض الآخر منهم يذهبون إلى أن الأديب الحق هو الذى يختار موضوع إنتاجه مما يقبله المجتمع ويعزز قيمه ومثله العليا .

ولا يخفى ما يحيط بالرأى فى كل من الجانبين من غموض يستحسن إلقاء بعض الضوء عليه حتى يمكن أن يسلم من التعثر . وقد رأيت أنه مما قد ينير سبيل الرأى أن أستعرض الموضوع الشعرى فى عصور ثلاثة وهى العصر الجاهلى والإسلامى الأموى والعباسى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأول ، وأن أختار لذلك الاستعراض ما يمثل الاتجاه الأكبر فى كل من هذه العصور وهى تمثل ثلاثة أدوار من مراحل التطور الحضارى للمجتمع العربى .

وأما النتائج التى يمكن الوصول إليها من هذا الاستعراض فقد رأيت من المستحسن تأجيلها إلى نهاية الحديث .

كانت حياة أجدادنا العرب فى العصر الجاهلى مطبوعة بطابع بيئتهم الصحراوية إذا استثنينا بعض البقاع الخصبة فى اليمن والمدن المتصلة بالعمران كالحيرة .

وكان النظام القبلى دعامة حياتهم بصفة عامة وأول مميز لهذا النظام هو الولاء الكامل المتبادل بين الفرد وقبيلته ، وهذا الولاء هو الاتصال النفسى بين الفرد ومجتمعه . فكان الشاعر العربى فرداً من قبيلته ويصدر فى مشاعره وفى إنشاده عن شعوره القوى بالصلة التى تربطه بقبيلته . فهو يتغنى بمآثر قومه وبانتصارهم فى الصراع مع القبائل الأخرى ويشيد بفضل أبطالهم ويفاخر ببطولتهم فيهم وقد يهجو خصومهم أو يعاتب حلفاءهم ، وهو فى كل الأحوال يعبر عن مشاعره كفرد متصل أتم الاتصال بمجتمعه .

وقد خلف لنا العصر الجاهلى بعض صور الدفعات العاطفية القوية التى أثارتها مواقف قومه ومواقفه فى قومه ، وهى تعبر لنا تعبيرا صادقا عن معانى الصداقة والعداوة وعن المحبة والبغضاء وعن الإجلال والازدراء وعن الشجاعة والمروءة وأضدادهما ، وفيها ينطوى سجل حافل بما كان للعرب من قيم فردية واجتماعية تتصل بمسالك الأفراد والجماعات فى الحياة الخاصة والعامة .

فالشعر الجاهلى مثال للإنتاج الأدبى الذى يعكس لنا تجاوبا كاملا بين الأديب وبيئته البشرية ... وإلى جانب هذه الخاصة كانت طبيعة الصحراء لا تكاد تسمح للعربى بما يرفه عنه فى حياته القلقة المتحفزة للصراع إلا من ناحيتين يتنسم منهما البهجة والأنس أولها جمال المرأة والإيناس الذى يجده الفرد فى مجالس السمر بين الأصدقاء وما كان يشيع فيهم من النشوة على أثر معاطاتهم الخمر . وأما الناحية الأخرى فكانت مشاهد الطبيعة الطلقة التى تبعث السلوى إلى قلب المحزون والمهموم . وكانت الحياة أمام العربى حياة حرة يتعامل فيها أحرار لا يعترفون بالقيود ولا بطيقونها ، فلم يكن فيها حدود كثير ما تعارف عليه المجتمع من قواعد الولاء بالنسبة إلى القبيلة وقواعد الشرف والمروءة بالنسبة إلى الفرد . وكان للمرأة العربية فى الجاهلية مكانة الفرد الحر كالرجل ولهذا كان الحب بين الرجل والمرأة يتسم بالتقدير

المتبادل بينهما ، وإذا استثنينا بعض ما جاء فى قصائد بعض الشعراء كالأعشى وامرىء القيس أمكن أن نقول : إن شعر الغزل الجاهلى يمتاز بإحلال المرأة الحرة محلا رفيعاً فى قلب صاحبها ، ففيه من صور الحب الرفيع ما يسمو إلى أعلى مراتب الشعر الغنائى فى الآداب العالمية .

ومن اليسير أن ندرك العلة فى انحراف أمثال الأعشى وامرىء القيس أحيانا عن مذهب شعراء العرب الجاهليين فى الحب . فقد كان الأعشى شاعرا مرتزقا جوالا فى الآفاق يتردد بين عمان وحمص وأورشليم وذهب إلى النجاشى فى أرضه وإلى أرض النبيط وأرض العجم . ونزل بنجران وأعالى السرو فى اليمن ، وكان فى هذه البلاد يتصل بالحياة المترفة وما فيها من معاهد اللهو والمجون الحضرية . وأما امرؤ القيس فكان منذ مطلع شبابه ضحية لالتواءات نفسية كثيرة أدت به إلى الخروج على قومه والانطلاق فى الأرض شريداً مع طائفة من الخلعاء الذين تبرأت منهم قبائلهم لخروجهم على ما تعارفوا عليه .

فكان لمكانة المرأة عند العربى أثر واضح فى الموضوع الشعرى فكان الشاعر يصف وقوفه بديار الحبيبة إذا هى نزحت عنها ويتغنى بأناشيد من أصدق ما صدر عن الشعراء فى عصر من العصور وهو فى تعبيره الساذج الصادق عن مشاعره فى هذه الوقفات يصور لنا لوحات فيها أبدع تمثيل للعاطفة الإنسانية الأولى .

وكان انطلاق العربى فى الصحراء يتيح له أن يرى بعينه الدقيقة الملاحظة ما كان يضطرب فى الصحراء من حياة الحيوان عامة وحياة الوحش بخاصة ، وما كان يجاهد الطبيعة القاسية من نبات أو زهر ، فكان يصور فى شعره ما يحسه من بهجة حين يرى الزهرة اليانعة بين الرمال وحين يرى الظبية تحنو على وليدها أو تنفر ناجية إذا أحست الخوف . وكان يصور ما تجيش به نفسه من الرحمة أو الإعجاب حين يرى الصراع بين الأحياء كالبقرة الوحشية حين تستبسل فى الدفاع عن نفسها ضد كلاب الصيد أو الذئاب التى تحتوشها أو كالعير الوحشى حين يدفع أتانه دفعا شديدا نحو الماء إذا اشتد عطشهما فتصوير مشاهد الطبيعة الطلقة من أروع ما سجله الشعر فى لغة من اللغات وهو يمتاز دائما بالصدق وقوة ما فيه من تعبير عن العاطفة .

أما التغنى بمجالس الخمر فكان فى أكثر الحالات إذا لم نقل فيها جميعا لا يزيد على التمهيد لوصف ما يمتاز به الشاعر من الفتوة والكرم والبطولة فى مواقع القتال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فالظاهرة العامة للشعر الجاهلى أنه كان ينبع مما تبعثه الحياة فى الشاعر من الأحاسيس وهى جميعا متصلة أوثق الاتصال ببيئته وبولائه لقومه وتعلقه بقيم السلوك الفردى والاجتماعى التى تعارف عليها قومه وأملتها عليهم طبيعة قاهرة ونظام اجتماعى مستقر. وقلما نجد فى الشعر الجاهلى ما ينم عن انطواء الشاعر فى نفسه أو انعزاله عن قومه أو الحقد عليهم، حتى إن الهجاء الجاهلى نفسه لم يكن سوى تصوير نقدى يوجه إلى قوم أو إلى فرد لخروجه على القيم السلوكية الفاضلة فى نظر أهل العصر. فلم يكن فيه إلا هفوات قليلة من المثالب المقذعة المسفة التى كثرت فى شعر العصور الأخرى.

وكان الأعشى من أكثر الشعراء هجاء، ولكننا لا نكاد نرى فى هجائه - وهو المرتزق بالشعر - ما يخرج عن حدود النقد التى أشرت إليها. وكان من أشد أبياته فى الهجاء وقعا قوله فى علقمة ابن علاثة إذ قال:

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

حتى لقد قيل إن علقمة بكى حين سمع ذلك البيت وجعل يقول فى الأعشى:

«قاتله الله! أنحن كذلك؟».

وقد نجد فى الشعر الجاهلى أمثلة للتأمل الفكرى المجرد. وأكثر ما نجد ذلك فى شعراء الحضر مثل عدى بن زيد أو من فى حكمهم مثل الأعشى، وذلك التفكير لا يتعدى حدود العبر الدالة على زوال الحياة وغرورها وتداول المجد بين الدول

غير أن شعر الجاهليين لا يخلو من تأمل الحياة من جانبها الواقعى المتصل بالحياة فى المجتمع، ولإيضاح ما نقصد نورد مثالا واحدا وهو قول دريد بن الصمة فى رثاء أخيه فهو لا يقتصر على وصف بطولة أخيه ووصف إقدامه هو حين اندفع بين الفرسان للدفاع عنه، بل يعرج على معانى الولاء للقبيلة والتضامن معها فى رشدها وغيها ويشير إلى المثل العليا التى كان أخوه يتمسك بها فهو قليل التشكى للمصيبات، محافظ من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد، وهو قنوع يكتفى بأقل الزاد، والزاد حاضر ولا يعبأ بما يلبس مع أنه كريم يجود بما فى يده ويزيده سماحا وإتلافا لماله تنكر الدهر له، واشتداد الظروف عليه.

فالشعر الجاهلى يمثل أدب عصر من عصور الحياة العربية كان يسوده التضامن والولاء بين الفرد والمجتمع وكان لذلك يتصف بالصدق فى تصوير العواطف كما يتصف بالانطلاق النفسى الذى لا يشوبه التواء أو انطواء.

ومما له صلة بهذا المعنى أن شعر صعاليك العرب أنفسهم لا يشذ عن أنماط الشعر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجاهلى عامة فهؤلاء كانوا مع خروجهم عن مجتمعهم لم يخرجوا عليه بل كانوا يتمسكون بمثله العليا فى الكرم والشجاعة والمروءة ومن أمثلتهم عروة بن الورد والشنفرى وتأبط شراً .

وقد جاء الإسلام فأضاف إلى الحياة العربية إضافات كثيرة من القيم الإنسانية والمثل العليا وأنكر من قيم الجاهلية ما كان يشوه حياتها كالمبالغة فى القسوة والصرامة والاندفاع مع شعور العصبية القبلية الضيقة كما أنكر الخمر وأحاط علاقة الرجل بالمرأة بطائفة من الحدود التى تكفل سلامتها من العبث . ثم وجه العرب إلى حياة جديدة قوامها الوحدة بين القبائل والمساواة بين الأفراد من كل الطبقات والأجناس وجعل مقياس التفاضل بينهم ما يتمتع به كل منهم من صفات الإنسانية ، وحملهم مسئولية نشر دعوة الحرية والمساواة فى أمم العالم .

فشغل العرب حينا بمواجهة الدين الجديد حتى دخلوا فيه ثم شغلوا حينا آخر بمواجهة الحوادث الكبرى التى أعقبت موت النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم خرجوا من جزيرتهم فى بعوث الفتح لنشر رسالة الإسلام فكانت هذه المشاغل سببا فى قلة ما روى من الشعر العربى مدة تقرب من ثلاثين أو أربعين عاما .

ومن أظهر آثار الإسلام فى شعر هذه المدة أنه خلا من ذكر الخمر ومن التشبيب بالمرأة ، حتى لقد قيل إن أحد الشعراء وهو حميد بن ثور الهلالى أراد أن يتغنى بحبه فكنى عن الحبيبة بالسرحة فقال :

سقى السرحة المحلال والأبطح الذى
به الثرى غيث هدجن ويروق

وقد أنف أهل المرأة من ذكره لها مع إخفائها وراء (السرحة) فعابوه بذلك فرد عليهم قائلا :

تجرم أهلوها لأن كنت مشعرا
جنونا بها يا طول هذا التجرم
ومالى من ذنب إليهم علمته
سوى أننى قد قلت يا سرحة اسلمى
بلى فاسلمى ثم اسلمى ثم اسلمى
ثلاث تحيات وإن لم تكلمى

وكان الشعراء من العرب بغير شك لا ينقطعون عن الإنشاد حين تتحرك نفوسهم فى موقف من المواقف وهم يتساحون فى الأرض على بعوث الفتح ولكن ما وصل إلينا من هذه المقطوعات قليل وهو يشبه الشعر الجاهلى فى صدقه ودلالته على الولاء الكامل بين الفرد ومجتمعه .

وجاءت دولة بنى أمية بعد نحو أربعين عاما من الهجرة النبوية وكان لها أثر كبير فى توجيه الأمة العربية إلى وجهة جديدة ، وكان للأحداث التاريخية الكبرى التى وقعت فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدة هذه الدولة أثر كبير فى توجيه الشعر كذلك من ناحية موضوعه .

ومن الظواهر الجديدة التى طرأت على الشعر العربى عند ذلك أن ولاء كثير من الشعراء انصرف إلى حزب من الأحزاب التى ينتمون إليها ، بعد أن كان ولاء الشاعر من قبل متجها إلى قبيلته وما كان أكثر الأحزاب المتطاحنة طوال ذلك العصر .

ولم يكن ولاء الشاعر الأموى لحزبه مثل ولاء الشاعر الجاهلى لقبيلته فقد كان الشاعر الجاهلى ينشد منطلقا فى التعبير عن مشاعره غير متكلف فيه ، كما كان فى العادة غير مرتزق بشعره . ولكن الشاعر الأموى كان فى كثير من الأحوال مرتزقا فى ولائه لحزبه . وكان لذلك يعوض عن نقص حرارة الولاء بزيادة التأنق وبزيادة التصنع فى تعبيره سواء فى ذلك المغالاة عند المدح والإقذاع عند الهجاء ، فخرج كلا المدح والهجاء عن حدود الصدق ، وبعد أن كانت المفاخرة بشواهد الحوادث الجارية أصبحت تعتمد على ذكر المآثر السابقة لأبطال الجاهلية الذين ينتمى المفاخر إلى قبائلهم . ومن هناك أحيا الشعر عصبية القبائل بعد أن نهى الإسلام عنها ووجه العرب إلى الوحدة الشاملة ، وقصائد الشعراء الثلاثة الكبار - جرير والأخطل والفرزدق - ملأى بغبار المعارك القبلية . على أن ولاء الشعراء للأحزاب لم يكن ثابتا فى كثير من الأحوال لأنهم كانوا مرتزقة بالشعر ولأن الأحزاب كانت عرضة للتغير . فقيل مثلا إن جريرا لم يكن مواليا لبنى أمية فى مطلع حياته ثم توسل بأحد الولاة كى يوصله إلى الحجاج . ثم توسل بالحجاج ليوصله إلى عبد الملك بن مروان ، فوجد عند خلفاء بنى أمية مايغنيه عن التذبذب بين الأحزاب .

ولكن النابغة الجعدى وعبيد الله بن قيس الرقيات لم يثبتا على الانتصار لحزب واحد وإسماعيل بن يسار النسائى انقطع أولا إلى ابن الزبير ثم تحول إلى بنى أمية ولزم فيما بعد الوليد بن يزيد . ويطريح بن عبيد الثقفى انقطع أولا إلى الوليد بن يزيد وبالغ فى مدحه حتى قال له :

لو قلت للسيل دع طريقك
والموج عليه كالهضب يعتلج
لساخ وارتد أو لكان له
فى سائر الأرض هناك منعرج

وقد عاش حتى أدرك عهد أبى جعفر المنصور وأراد التقرب منه فسأله أبو جعفر عن هذين البيتين فقال إنه كان يرفع يديه إلى الله تعالى عندما أنشدهما موجها خطابه إليه ولكن أبا جعفر لم يفرح إليه . وكان من الطبيعى أن ينقطع أكثر الشعراء فى ذلك العصر إلى بنى أمية طلبا لما عندهم من الجزاء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقد انقطع عبد الرحمن بن أرطاة إلى الوليد ابن عثمان بن عفان وانقطع نابغة بنى شيبان إلى عبد الملك بن مروان وهجا خصمه ابن الزبير وانقطع الأخطل ونصيب إلى مدح بنى أمية حتى كان سليمان بن عبد الملك يفضله على الفرزدق ولزم الحكم بن عبدل الأسدى بشر ابن مروان وكانت قلة من الشعراء تخلص للعلويين ومنهم السيد الحميرى وقد غالى فى ذم السلف تعصبا لهم حتى تحرج الرواة من رواية شعره .

فإذا تركنا الشعر السياسى أمكن أن ندرك مقدار ما طرأ على المجتمع العربى من التبدل الاجتماعى فى العصر الأموى فقد نشأت طبقة من أبناء الأعيان وخاصة فى مدن الحجاز ، توفرت لهم وسائل الحياة الناعمة ويسرت لهم مكانتهم الاجتماعية الانقطاع عن العمل فانصرف الشعراء منهم إلى وصف مغامراتهم اللاهية . وكان رائد هؤلاء عمر بن أبى ربيعة ومنهم ابن أبى عتيق وهو من سلالة أبى بكر الصديق والعرجى وهو من سلالة عثمان بن عفان ، والأحوص وهو من سلالة عاصم بن ثابت بن الأقلح . فكانوا يتعرضون لزوجات الأمراء والأعيان وبناتهم ويذكرونهن فى شعرهم وأذاعوا ذلك الشعر عن طريق الغناء وما كان أكثر المغنين عند ذلك من رجال ونساء . ومما يلاحظ أن هؤلاء الشعراء كانوا من أبناء السرارى لا من أبناء الحرائر من عقائل الأسر العربية الخالصة ، فيمكن أن يقال إنهم لم ينشئوا على ما اتجه إليه المجتمع الإسلامى الجديد من تحفظ نحو المرأة على أنه من الممكن كذلك أن يعزى انقطاع هؤلاء الشعر الغزلى إلى أسباب سياسية فيحكى مثلا أن سليمان بن عبد الملك سأل ابن أبى ربيعة يوما عن سبب امتناعه عن مدحه فأجابه « إننى لا أمدح الرجال وإنما أمدح النساء » . فكأن هؤلاء الشعراء أرادوا أن يقطعوا الذريعة إلى مدح الخلفاء الأمويين والدعاية لهم بشعرهم فانقطعوا إلى شعرهم الغزلى . وتروى عن ابن أبى ربيعة أخبار تدل على أنه كان يشنع أحيانا على خلفاء بنى أمية .

غير أنه إلى جانب هؤلاء الشعراء أبناء الأعيان كان شعراء آخرون قد انقطعوا لشعر الغزل او صرفوا إليه كثيراً من اهتمامهم وتخلف لنا من ذلك تراث ضخم ينسب إلى مجنون ليلى والى جميل بن معمر صاحب بثينة ومنه ما ورد فى أقوال كثير ونصيب والعصة القشيرى الذى قيل إنه هاجر إلى طبرستان حزنا على حرمانه من حبيبته وهو يصور حنينه إلى معاهد حبه فى غيبته المعروفة التى يقول فيها مخاطبا نفسه :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت
مزارك من ريا وشعباكما معا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فما حسن أن تأتى الأمر طائعاً
وتجزع أن داعى الصبابة أسمعا

وقد سما بعض هذا الشعر بالحب إلى مرتبة فوق مرتبة الجسد وجعله أقرب إلى روحانية المتصوفة مثل قول الشاعر :

وإنى لأستحييك حتى كأنما
على بظهر الغيب منك رقيب

على أننا حين نستعرض شعر الغزل الأموى عامة سواء منه ما قاله أبناء الأعيان فى مغامراتهم اللاهية أو ما قاله سواهم نستطيع أن نلمح أثر الإسلام فى تطهير ذلك الشعر والحيلولة بينه وبين الإسفاف ، وإن كان بعض أهل ذلك العصر قد أنكر بعضه .

ومما يقال فى هذا المعنى إن يزيد بن معاوية غضب على الشاعر أبى دهبل حين قال فى أخته عاتكة بنت معاوية أبياتا منها قوله :

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغواص
وميزت من لؤلؤ مكنون

غير أن أباه الحكيم لم يوافقه على غضبه ولم يجد فى ذلك الشعر ما ينبغى لأحد أن يغضب منه وهناك ظاهرة أخرى جديدة ظهرت لأول مرة فى الشعر العربى وهى اتجاه قلة من الشعراء إلى الارتزاق بالهجاء لا بالمدح ، مثل ابن ميادة والحطيئة . ويمكن تعليل هذا بأن الظروف الجديدة أدت إلى انتقال بعض طوائف المجتمع عنه وسببت قلة شعورهم بالولاء له ، فابن ميادة مثلا كان ابن جارية بربرية أو صقلبية وكان الحطيئة مطعونا فى نسبه .

وقد ظهر شعور الانفصال عن الحياة العربية فى صورة أخرى وهى بدء الانتساب إلى العجم والمفاخرة بذلك الانتساب . قال ابن ميادة فى بعض شعره :

أليس غلام بين كسرى وظالم
بأكرم من نيطت عليه العمائم

وقال إسماعيل بن يسار - وهو مولى فارسى :

إنما سمى الفوارس بالفرس
مضاهاة رفعة الأنساب
اتركى الفخر يا أمام علينا
واتركى الجور وانطقى بالصواب
واسألى إن جهلت عنا وعنكم
كيف كنا فى سالف الأحقاب
إذ نربى بناتنا وتدسون
سفاها بناتكم فى التراب

ومما يذكر هنا أن ابن يسار هذا سبق إلى نوع جديد من الغزل المكشوف بإبراز قصص دنيئة إلى النساء . ومن أمثلة ذلك قصيدته التى يصف فيها هجومه على بيت امرأة متزوجة وقضاء ليلة معها ويقول فى آخرها :

حتى إذا الليل بدا ضوءه
وغابت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفى كما
ينساب من مكمنه الأرقم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فكان هذا الشعر من أشد ما قيل فى هذا العصر جرأة على المحارم ، ومما يجب أن نذكره هنا أن الخمر لم ترد إلا قليلا فى شعر هذا العصر إذا استثنينا الأخطل وأبا زبيد وعبد الرحمن بن أرطاة .

فالشعر العربى كما يبدو من هذا الاستعراض المجمل يبين ماطرأ على المجتمع العربى من طوارئ أحدثت ثلمة فى وحدته الكاملة وأدت إلى شىء من الانفصام بين بعض الأفراد ومجتمعهم . ولكنه مع ذلك يدل على أنه بقى متصلا بالحياة إلى حد بعيد متأثرا بها مؤثرا فيها محتفظا بالولاء له وإن كان بعضه ولاء متكلفا متذبذبا . وقلما نجد فى هذا العصر من الشعراء من تبدو على شعرهم دلائل الثورة أو الحقد على المجتمع أو الانعزال عنه والانطواء فى أنفسهم شعورا منهم بأنهم غير شاعرين بالانتماء إليه .

ولا نملك إلا أن نقول إن مكانة الشاعر فى العصر الأموى قد هبطت هبوطا ملحوظا عن مكانته الاجتماعية فى العصر الجاهلى ، فقد أصبح الكثير منهم تابعا مرتزقا من سادته لا صديقا مواليا لقومه .

أما العصر العباسى الأول فقد شهد فى الشعر تطورا أبعد بكثير مما شهده العصر الأموى ، وذلك لأن المجتمع العربى شهد انقلابا من أشد الانقلابات التى تطرأ على حياة الأمم . فقد أصبح الموالى فيه قوة خطيرة إلى حد أنهم استطاعوا أن يقوضوا دولة بنى أمية ويقيموا بدلها دولة بنى العباس وكان من المنتظر أن يتم الانصهار بينهم وبين العرب ويتكون من الجميع أمة عربية واحدة أساسها مثل الإسلام فى الحرية والمساواة ، ولكن ظروفا كثيرة لا محل لذكرها هنا حالت دون هذا الانصهار . فاستمرت العناصر المختلفة فى الأمة تعيش جنبا إلى جنب وهى شاعرة بتميزها .

وكانت خيبة أمل الموالى عقب انتصارهم وإقامتهم للدولة العباسية سببا فى شعورهم بالانفصال عن المجتمع الذى يعيشون فيه .

وكان لذلك الشعور أثر كبير فى اتجاه الشعر نحاول أن نتبينه فى إنتاج ثلاثة من كبار شعراء هذا العصر وهم بشار بن برد وأبو العتاهية وأبو نواس ، وهم جميعا من الموالى .

كان بشار مولى إذ كان أبوه مولى إحدى سيدات بنى عقيل وكانت أمه بغير شك غير عربية وكان أبوه عاملا فقيرا وهو قد ولد أعمى . وكل هذه عوامل تؤدى إلى الانطواء النفسى والشعور بالنقص وبالانعزال عن المجتمع ، ولكن بشارا نشأ كما قال فى حجور ثمانين من شيوخ فصحاء بنى عقيل فكانت لغته عربية فصيحة خالصة ، ودرس العلم فى حلقات كبار العلماء والمفكرين ولكنه لم يستقر على مذهب غير الشك . وكان من الطبيعى أن يبدأ حياته الشعرية بالهجاء وصرح بأن ذلك وسيلته إلى شق طريقه فى مجتمع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أجنبي عنه ، واستمر فى حياته يضمر ثورة عنيفة على ذلك المجتمع فلما أعلن إبراهيم ابن عبد الله بن حسن العلوى ثورته على أبى جعفر المنصور سارع بالانضمام إليه وبعث إليه بقصيدة يهاجم فيها أبا جعفر ويخاطبه قائلا :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم
وما سالم عما قليل بسالم

غير أن هذه الثورة أخفقت وقبض على إبراهيم وقتل ، فخشع بشار وبادر إلى تغيير قصيدته وجعل مطلعها هجوما على أبى مسلم الخراسانى الذى قضى عليه أبو جعفر وقال :

أبا مسلم ما طول عيش بدائم .

وفى هذه القصيدة ينطلق بشار مع ثورته مع إبراهيم العلوى فيقول متحمسا :

وخل الهوينى للضعيف ولا تكن
نئوما فإن الحزم ليس بنائم
وما خير كف أمسك الغل أختها
وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة
شبا الحرب خير من قبول المظالم

إلى آخر ما قال فيها ، وهى تظهر قوة شعوره الثائر على الدولة وعلى النظام القائم معها .

وظهرت ثورته فى نواح أخرى غير السياسة فقد سلك مسلك ابن أبى ربيعة فى الغزل وغلا فيه غلوا شديدا ، أو هو سلك مسلك عبد الرحمن بن أرطاة وزاد فيه مغالاة إلى درجة الإفحاش ، واتخذ لنفسه مجلسا سماه البردان وكان النساء يحضرون إليه ولا شك فى أن أكثرهن كن من الجوارى ، حتى لقد مال ذلك كثيرا من المتحفظين من رجال العلم والأدب ، ولكنهم كانوا يخشون هجاءه المقذع فاستعانوا عليه بالخليفة المهدى الذى نهاه عن مسلكه ، وكان مذهبه فى الحياة قائما على الشك ويبدو ذلك واضحا فى شعره فمن ذلك قوله :

طبعت على ما فى غير مخير
هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد
وقصر على أن أنال المغيبا
فأصرف عن قصدى وعلى مقصر
وأمسى وما أعقبت إلا التعجبا

وكان فى حياته الخاصة على ما يبدو لا يرعى حدا من حدود الأخلاق الإسلامية ومما يدل على مذهبه الإباحى قوله :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فهو يسخر من القضاء ويسخر من القيم الاجتماعية ويذكرنا بمن يزعمون أنهم يتبعون مذهب الوجودية .

وكان يصف عصره بأنه دهر اللئام : ويظهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ضيقه به وتبرمه منه ، وظهرت ثورته كذلك فى ثورته على العرب وعلى قيمهم ، كما تدل عليه أخباره وبعض أشعاره .

ولا شك أن هذا الروح الثائر الجرىء هو الذى حرك عليه خصومه حتى أوقعوا به عند الخليفة المهدى الذى أخذه كما قيل بتهمة الزندقة وأمر بقتله أو بإهدار دمه ، وقيل إن الخليفة نفسه لم ينج من لسانه فنسب إليه شعر فيه تحريض شديد عليه وهو قوله :

بنى أمية هبوا طال نومكم

كما نسب إليه شعراً آخر فيه سب شنيع له وطعن مقذع عليه . فشعر بشار مثال على ما يكون عليه موضوع الشعر حين يحدث الانفصام بين الشاعر وبين المجتمع الذى يعيش فيه .

والشاعر الثانى هو أبو العتاهية . وهو مثل بشار من أبناء الموالى ، وقد نهل الفصاحة من مواليه فى بادية الكوفة ، غير أنه لم يكن فى مثل جرأة بشار ، فلم يستطع أن يشق طريقه فى المجتمع بالهجاء ، بل اتجه إلى أن يظهر التواضع حتى لقد قيل إنه اشتغل بالحجامة إظهاراً لتواضعه ، وقد نهل من العلم قدراً ولكنه لم يتخذ لنفسه مذهباً إذا لم يجد من نفسه القدرة على الدفاع عن مذهب يعتقده ، فاتجه إلى شعر الزهد وجعله وسيلته للامتياز والظهور فى المجتمع .

وكان يتوخى السهولة فى ذلك الشعر ليكون أسير بين العامة وماتزال بعض أشعاره تجرى إلى اليوم على الألسنة وقليل من الناس من يعرف أنها لأبى العتاهية ، مثل قوله :

إن الفراغ والشباب والجدة
مفسدة للمرء أى مفسدة

وقوله :

فى سبيل الله أنفسنا
كلنا بالموت مرتهن
كل حى عند ميتته
حظه من ماله الكفن

وقوله :

وكانت فى حياتك لى عظات
وأنت اليوم أوعظ منك حيا

ومن أقواله فى الهجاء :

وما تصنع بالسيف
إذا لم تكن قتالا
فصغ ما كنت حليـ
ـت به سيفك خلخالا

ومنه فى الشكوى .

حتى إذا انقلب الزمان
على حرت مع الزمان

وفى الغزل :

يا من رأى قبلى قتيلا بكى
من شدة الوجد على القاتل

ومنه فى التصوف والزهد :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيا عجباً كيف يعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحـــد .

ولكنه كان فى قرارة نفسه ثائراً على الحياة والمجتمع . قيل إن أحد الناس سأله ماذا ينقش على خاتمه فأجابه « أكتب لعنة الله على الناس » .

وقال :

برمت بالناس وأخلاقهم
عصرت أستأنس بالوحدة
ما أكثر الناس لعمرى وما
أقلهم فى حاصل العـــدة .

ومن قوله :

فتشت فى الدنيا فليس بها
أحـــد أراه لآخر حامدْ
حتى كأن الناس كلهم
قد أفرغوا فى قالب واحدْ

وقوله :

فاضرب بطرفك حيث شئت
فلن ترى إلا بخيـــلا

وقوله :

يا أنتن من حش
على حش إذا تاها
أرى قوماً يتيهون
حشوشا رزقوا جاها

والحش هو بيت الخلاء طبعا .

ومما يدل على يأسه من المجتمع :

ليس لمن ليست له حيلة
موجودة خير من الصبر
فاخط مع الدهر إذا ما خطا
واجر مع الدهر كما يجرى
من سابق الدهر كبا كبوة
لم يستقلها آخر الدهر .

ويبدو أن نظرته المتشائمة بالحياة وما فيها وقسوته فى الحكم على عصره هما السر فى انصرافه إلى شعر الزهد. فهو من هذه الناحية منفصل عن مجتمعه ثائر عليه وإن كانت ثورته من نوع آخر غير ثورة معاصره بشار ، فهى ثورة حقد ولكنها مقرونة بالهروب .

والثالث من شعراء هذا العصر أبو نواس. وهو مولى كصاحبيه . وكان منذ طفولته وحيدا إذ خلفه أبوه طفلا ، وكانت أمه على ما قيل ترتزق من حياة غير شريفة صرفتها عن رعايته ، فوزع وقته منذ صغره بين التماس الرزق الضئيل لنفسه وبين الاختلاف إلى مجالس العلم والأدب فى المسجد والجامع بالبصرة وهى من أكبر مراكز العلم والأدب فى عصره ، وتقاذفت به ظروف حياته القاسية وهو وحيد من العائل والحامى والعاطف . فطرحت به هذه الظروف إلى الكوفة ، وكانت مركزا لحياة زاخرة مثل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البصرة ، وكان ما زال فى سن الشباب ، فألقى نفسه فى محيط مائج من دفعات الغرائز ومن تيارات الأفكار المتضادة والعقائد الاجتماعية المتصارعة ، وكان لا يستطيع بالطبع أن يجد منفذا إلى طبقه من الناس غير أمثاله من الموالى الذين لا يجدون من تقاليد طبقتهم ما يحول بينهم وبين اقتحام الحدود التى يتجنب أصحاب المروءة اقتحامها ، وقد نزح حينا إلى البادية فعاش بين فصحاء بنى أسد كما عاش بشار بين فصحاء بنى عقيل .

وكما عاش أبو العتاهية بين فصحاء بادية الكوفة ثم نزح إلى بغداد فواجه الحياة المضطربة فيها كما يواجه الحيوان الصغير الوحيد مخاطر الغابة ، متحديا دائما متحفزا للدفاع عن وجوده فى كل لحظة ولم يجد لنفسه الطموح فرصة تحقق له ما يرضى طموحه فامتلأت بالخيبة ، ولم يجد متنفسا لطموحه إلا فى مجتمع صغير من أمثاله ، رفعوا عن نفوسهم التى امتلأت بشعور الخيبة بالتماس النسيان الذى تبعثه الخمر أو فى الإثارة التى تبعثها نشوتها فيهم فكانت ثورتهم على مقدسات المجتمع تشعرهم بشىء من رضى التشفى .

وانطلق فى حياته هذه ثائرا حانقا على كل ما يتصل بالمجتمع من دين وعرف ، بل لقد شملت ثورته كل ما خاب فى تحقيقه من الاطمئنان إلى الحب أو إلى العدل ، وتمثلت ثورته فى اندفاع وحشى إلى كل ما يحرمه المجتمع ، وفى سخرية لاذعة قاسية منه ومن قيمه ومثله ، فسخر من الحب ومسخه مسخا يدل على عمق الهوة التى دفعه إليها يأسه من الحياة ، وكان يباهى فى شعره بما يندفع إليه من الجموح والقسوة ويجد فى هذه المباهاة ارتياحا كالحا يشبه ارتياح الشامت فى مصاب غيره ، وهو يقول فى تعبيره عن هذا الشعور عند ما أوقع الأذى بأحد أصحابه :

فنلت ما ضن به صاحبا
والقلب منى جامح قاس
لا خير فى اللذات ما لم يكن
صاحبها منكشف الراس

ولست أريد أن أجادل فى قيمة شعره من ناحيته الفنية فهذا خارج عن حدود هذا الحديث الذى أتناول فيه الموضوع فى الشعر ، غير أننى أجد من الضرورى أن أشير إلى ظاهرة واحدة تميز أسلوبه فهو لا يكاد يبتكر معنى وتكاد صوره تكون محصورة فى عدد قليل من المعانى يكررها ويلبسها أثوابا شتى .

فهو مثلا يكثر من تشبيه الخمر بالنار أو النور ويكثر من تشبيه الحبب بالجوهر من لؤلؤ ودر وغيرها .

ومثل أمثلة هذا أقواله الآتية :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فالخمر ياقوتة والطاس لؤلؤة :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها
حصباء در على أرض من الذهب
فإذا علاها الماء ألبسها
حبا كمثل جلاجل الحجل
ثم شجت فأدارت
فوقها طوقا فدارا
كاقتران الدر بالدر
صغارا وكبارا
شجت فعالت فوقها حبا
متراصفا كتراصف النظم
ثم شجت فأدارت
فوقها مثل العيون
حدقا ترنو إلينا
لم تحجر بجفون
ذهبا يثمر درا
كل إبان وحين
إذا شجها الساقي بماء رأيتها
مكللة الأعلى بطوق جمان
حتى إذا مزجت بالماء واختلطت
حاك المزاج لها من لؤلؤ فلكا
إذا ما علاها الماء خلت حبابها
تفاريق در في جوانبها شتى
فإذا الماء شجها خلت فيها
لؤلؤا فوق لؤلؤ مسلوكا

وأمثال هذه كثيرة تكاد لا تخلو منها قطعة من خمرياته .

ومن استعارته النار أو النور لوصف الخمر قوله :

كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى لها إلى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا
تلتهب الكف من تلهبها
وتحسر العين أن تقصاها
كأن نارا بها محرشة
تهابها تارة وتغشاها
فلو مزجت بها نورا لما زجها
حتى تولد أنوارا وأضواء

وهو يصف الخمر بالقدم ، ويكرر هذا المعنى كذلك تكرارا لا ينبغي أن أطيل بعد هذا في إيراد الأمثلة عليه . ومن هذا يظهر أن صوره لم تكن أصيلة ولا غزيرة النبع فالصفة الأصيلة في أبي نواس هي أنه كان ثائرا على مجتمعه وكانت ثورته عليه تتمثل في تحدي مقدساته ومثله ونظمه .

وكان أحيانا يجهر بما يدل صراحة على الثورة المنطوية في أعماقه فمن ذلك قوله :

سأبغي الغنى إما نديم خليفة
يقوم سواء أو مخيف سبيل
بكل فتى لا يستطار جنانه
إذا نوه الرحمان باسم قتيل

ليخمس مال الله من كل فاجر
وذى بطنة للطيبات أكول
ألم تر أن المال عون على التقى
وليس جواد معدم كبخيل

من هذا الاستعراض للموضوع الشعرى فى العصور الثلاثة التى مر بها يمكن أن أقول إنه انتقل من تعبير صادق يميزه الولاء للمجتمع فى العصر الجاهلى إلى تعبير مختلف الوجهة فى العصر الأموى وانتهى فى العصر العباسى الأول إلى تعبير فردى تميزه الثورة على المجتمع ، ومن الممكن أن نميز بين طرفى هذا التطور فى موضوع الشعر العربى بما يميز به علماء النفس بين الظواهر النفسية للأفراد إذ يصفون بعضهم بالانطلاق Extrovert ويصفون بعضا آخر بالانطواء Introvert

فالشاعر الجاهلى كان منطلقا يعيش فى المجتمع ومعه وينظر إلى شخصه من خلال نظرته إلى الحياة ويعبر عن انفعاله بما حوله تعبيرا يسوده الولاء لمجتمعه سواء كان راضيا عنه أو ساخطا عليه على حين كان الشاعر فى العصر العباسى الأول أقرب ما يكون إلى وصف الانطواء ، إذا كان ينظر إلى الحياة من خلال شخصه فلا ينفعل إلا طوعا لمشاعره الخاصة واتجاهاته النفسية التى يميزها الانفصام عن المجتمع ، فهو لا يضمر للمجتمع ولاء بل يضمر له الحقد والثورة والسخرية المرة القاسية.

فلأنتقل بعد هذا إلى عرض نتيجتين لهما علاقة وثيقة بثقافتنا العربية فى عصرنا الحاضر:

النتيجة الأولى هى أن تراثنا الثقافى يشتمل على هذا الإنتاج الأدبى الذى انحدر إلينا من عصر بعد عصر ، متزايدا على مر الزمن حتى صار اليوم خزانا ضخما تجمعت فيه روافد شتى الألوان والأنواع عما بعثت به العصور المتعاقبة التى مرت بها الأمة العربية فى أدوار حياتها الماضية ، منها عصر الجاهلية الذى ساده الانسجام بين الفرد ومجتمعه ومنها العصر الإسلامى الأموى الذى بدأت عوامل الحياة الجديدة تطرأ عليه وأهمها بدء امتزاج العرب بغيرهم من الشعوب ، ثم العصر العباسى الأول الذى اجتمعت فيه أخلاط شتى من شعوب لم يتح لها بعد أن تنصهر فى أمة واحدة جديدة متجانسة ، ثم أخذت هذه العناصر المختلفة تنصهر معا على توالى القرون وواجهت معا أحداثا عنيفة ومغامرات قاسية ، خرجت منها أمة عربية حديثة صارت تزداد انصهاراً وامتزاجا على مر عدة مئات من السنين حتى انتهت إلى هذا العصر الحاضر وقد تم انصهارها معا أو كاد ، وأصبحت أمة عربية موحدة الوعى والشعور موحدة المثل العليا والقيم إلى حد كبير .

فإذا أردنا أن نعرض تراثنا الأدبى على ناشئة هذه الأمة الجديدة كان جديراً بنا أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نذكر أنه تراث مختلف الأنماط منبعث من شتى الانفعالات فى العصور المتوالية وأن حياتنا الحاضرة لا يلائمها إلا أن يكون أدبها متميزا بالولاء الكامل للمجتمع فالتراث الأدبى فى مجموعه وإن كان جديرا بأن يتوفر عليه الدارسون المتخصصون ، فإن الثقافة العامة للأجيال الناشئة تتطلب أشد التحرى فى اختيار ما يعرض منه على الناشئة مما يلائم حياتهم الاجتماعية الحاضرة والمنشودة فى نهضتنا الحديثة .

وقد أدركت أجيال سابقة من الأمة العربية ضرورة التحرى فى اختيارها لما يعرض على طلاب الثقافة من ناشئتها ، فعمد كبار أدبائها إلى إعداد المختارات الملائمة التى تعزز المثل العليا والقيم التى ينبغى للناشئة أن يتعلقوا بها ومن هذه المختارات حماسة أبى تمام وحماسة البحترى وغيرهما .

فمن الواجب أن يهتم المشرفون على تثقيف الأجيال الناشئة فى وقتنا هذا بإعداد المختارات الأدبية الجامعة لروائع الشعر العربى بخاصة وأن يهتموا بنشر روائع الأدب العربى والأجنبى بصفة عامة مع التحرى أن يكون هذا كله مما يلائم روح هذا العصر الذى عادت فيه الوحدة إلى الأمة العربية بعد انصهار عناصرها معا وصار من الطبيعى أن يكون التضامن أو التجاوب كاملا بين الفرد والمجتمع

والنتيجة الثانية التى أود أن أعرضها تتصل بنقد الأدب ونقاده وهذا ما سقت هذا الحديث من أجله قصدا . فنحن اليوم كما قدمت أمة عربية حديثة موحدة الوهى والمشاعر ومن الطبيعى أن يشعر الفرد منا اليوم بالولاء الكامل لمجتمعه سواء فى حال رضاه عنه أو سخطه عن بعض ما فيه ، غير أننا فى الوقت عينه نعيش وسط عالم إنسانى أصبح قريبا منا سهل الاتصال بنا ولا نستطيع أن نباعد بيننا وبينه سواء أردنا ذلك أو لم نرده .

وأمم العالم تتفاوت فى ظروفها وقد يكون منها أمم استقرت فيها الحياة على الولاء الكامل بين الفرد ومجتمعه ومنها أمم أخرى قد تكون فى مرحلة زعزعة وبلبلة تتعرض لظاهرة الانفصام بين الأفراد ومجتمعهم . وهناك ما يدل دلالة واضحة على أن بعض اتجاهات الأدب فى بعض الأمم تشبه اتجاه الأدب فى العصر العباسى الأول من ناحية ثورته وخروجه على مثل المجتمع وقيمه ومن حيث احتقار أدبائها لتلك المثل والقيم .

والأسباب التى تجعلنا نتطلب التحرى فى اختيار ما يناسب حياتنا الحاضرة من تراثنا الأدبى تجعلنا نتطلب من النقد والنقاد أن يتحروا كذلك فى اختيار مذاهبهم النقدية فلا يقبلون مذاهب النقد الأدبى التى ترد إلينا من الأمم التى أصاب الانفصام مجتمعها ، فإن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تلك المذاهب تتعارض ومرحلة الحياة التى نحياها فى هذا العصر .

وقد بينا فى أول هذا المقال أن مذهب النقد القائم على شعار « الفن للفن » ليس له معنى فى الحقيقة إلا أن يتعطل الأديب من كل اعتبار اجتماعى . فلا يلتزم بأن يكون الإنتاج متصفا بالولاء للمجتمع سواء كان راضيا عنه أو متمرضا لنقده ، ولا يلتزم بأن يكون الإنتاج مسايرا للمثل العليا التى يؤمن المجتمع بها أو يكفر بها ولا يهمه فى شىء أن يكون الإنتاج حاقدا على المجتمع هادما له أو داعرا ماجنا يسخر من مقدساته وينتهك حرماته ما دام يحقق غاية واحدة وهى خضوعه لشعار « الفن للفن » .

إن الأسلوب الفنى مفترض فى كل إنتاج أدبى ، فأهم ما ينبغى أن ينظر إليه فى النقد بعد تحقق الأسلوب الفنى هو « الموضوع » ومقدار ما ينطوى عليه من ولاء للمجتمع واتصال نفسى عاطف به .

وليس معنى ذلك أن يكون الإنتاج راضيا عن كل ما فى المجتمع بل قد يكون متصفا بالولاء الكامل له مع نقده وإبداء السخط على بعض مظاهره . فى هذه الحالة يكون نقد الأديب لمجتمعه نابعا من رغبته فى تسديده وتوجيهه إلى وجهة أفضل ، فيكون سخطه سخط الولى العاطف المتضامن لا سخرية الثائر المنعزل الكاره المتحدى .

أما الأديب الذى لا يأبه إلى خير مجتمعه ولا يعتد بقيمه ولا بمثله العليا ويزعم أنه يعيش لنفسه وأنه ينصرف إلى فنه من أجل الفن وحده ولا يعنيه ما يئول إليه أمر المجتمع فلا يهمه أن يبقى متماسكا ويزيد صلاحا أو أن يضطرب امره ويضمحل شأنه ، فإن المعنى الحقيقى لموقفه من مجتمعه هو أنه ثائر عليه ويقصد إلى هدمه وهذا ما أقصده حين أقول إن مثل هذا الأديب ينطبق عليه وصف الانطوائى الساخر الحانق الذى لا ينطوى على ولاء لمجتمعه .

وهناك أمثلة لهذا الصنف من الأدباء فى أمم العالم الأخرى ممن يدأبون على إثارة الغرائز الهوجاء البدائية التى لا تلائم المجتمعات فى وقت نهضتها بل تنطلق فيها حين تدركها الشيخوخة الحضارية وتقرب بها إلى الفناء ، وهناك من هذا الصنف من الأدباء من يدعون إلى التحلل من الحدود والقيود التى تعارف عليها المجتمع صيانة لكيانه من الانهيار فيزيفون لأنفسهم بعض المذاهب الفلسفية كالوجودية وهم لا يدرون ما هو ذلك المذهب الذى يزيفونه لأنفسهم كما فعل غيرهم من قبل حين زيفوا مذهب أبيقور الفلسفى وصرفوا معناه إلى التماس اللذات

(البقية على صفحة ٧٠)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الماضى فى القيام بدورها الإيجابى فى العالم الأفريقى المتطلع إلى الحرية والاستقلال ، والذى يعلق آمالا كباراً على الجمهورية العربية وعلى الأزهر الشريف . وأعتقد أننا سنكسب الجولة لو أننا عنينا بتقوية الروح الدينية فى نفوس هؤلاء المسلمين ، وإفهامهم النواحى الحية فى الدين التى تبعث على الكفاح والعمل المتواصل للتحرر ، والتيار الاستعمارى هناك شديد باعتماده على المبشرين الذين كادرا بكنائسهم ومدارسهم ومستشفياتهم ومبعوثيهم أن تكون لهم السيطرة الدينية والفكرية فى البلاد ، وإذا أردنا أن نحاربه فليكن بسلاحه الذى يستطيع الأزهر أن يقوم بقسط كبير منه ، إذا أراد أن يبرهن على أن خطوته الإصلاحية الجديدة هى من وحى الواقع الذى يعيش فيه المسلمون فى هذه الأيام .

إن المبشرين كتبوا فى تقريرهم المنشور فى نشرة ٧ من يوليو ١٩٥٦ أن الأحداث الخطيرة فى شمالى إفريقية والمغرب ودول الساحل الإفريقى على المحيط الأطلسى ، والدول القائمة فى قلب الصحراء هى أثر للعمل الخطير الذى تقوم به فى مهارة وجلد ، الجامعة العربية وراديو القاهرة والبعوث الدينية الأزهرية ، ويقولون : إن الإنسان يشعر فى هذه الأيام بأن مصير تشاد متعلق تماما بمجرى هذه الحوادث ، ويطلبون زيادة نشاط الكنيسة لإيجاد مسيحية سوداء فى الكمرون وجابون والكونغو على حدود العالم الإسلامى ، وينبغى ألا نكون أقل يقظة منهم ، وأن نعمل مخلصين لهداية هؤلاء المتطلعين إلى الإيمان الصحيح والحرية الحقيقية ، والله هو الموفق والمعين ؟

عطية صقر

(بقية المنشور على صفحة ٤٩)

الجسدية وجعلوا ذلك غاية الحياة التى يحيونها، وما أحرانا أن ننفض أيدينا من أدب هؤلاء ومن يريدون من نقادنا أن يحولوا إليه مذهبهم فى النقد . فصيحة الفن للفن تبعد بالنقد عن ميدانه الصحيح وهو نقد الموضوع الذى يختاره الأديب ليبرزه بأسلوبه الفنى . فإن قيمة الإنتاج الأدبى لا تعرف إلا بمقياس مزدوج على الأقل . فجانب من هذه القيمة يرجع إلى توافر العناصر الفنية فى أسلوبه وهذا شرط أولى لا يمكن أن يسمى الإنتاج أدبيا إلا حين يتوافر له ، والجانب الآخر الذى هو الفيصل فى المفاضلة بين إنتاج أدبى وآخر هو « الموضوع » الذى لابد للنقد أن يتحرى الدقة فى الكشف عن حقيقته . وهل هو موضوع وبيل ينفث السم فى المجتمع أو هو مما يبعث الحياة ويطهرها ويسمو بها إلى مراتب أعلى ويدفع بها إلى مستوى حضارى أجدر بالبقاء .

محمد فريد أبو حديد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السبعة الأحرف

التي أنزل عليها القرآن

للأستاذ محمد محمد الشرقاوي

— ٢ —

مهما يكن الاختلاف في صور كلمات القرآن الكريم فهي لم تخرج في مجموعها عن لغات القبائل السبع من مضر ، وعلى هذا يتخرج قول عمر : إن القرآن نزل بلغة مضر .. ونرى أن هذا أولى من القول المنسوب لابن عباس من أنه نزل بلغة خمس من قبائل هوازن وتسمى عليا هوازن وبلغتين لسائر العرب . . ذلك لأن ابن عباس الذي نسب إليه هذا قد نسب إليه رأي آخر وهو أن القرآن نزل بلغة الكعبيين : كعب قريش ، كعب خزاعة ، قيل وكيف كان ذلك قال : لأن الدار واحدة ، يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغاتهم - وبهذا ظهر التردد واضحا في هذا الرأي . . وذلك بالإضافة إلى أن ابن عباس رضي الله عنه يعتبر في حديث الأحرف السبعة ناقلا عمن سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا سامعا منه عليه الصلاة والسلام وحديثه الذي أخرجه الشيخان عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريل على حرف .. فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » أقول : هذا الحديث لم يصرح بسماعه من الرسول ، وقال ابن حجر فيه : « لعله سمعه من أبي ابن كعب » والحديث مشهور عن أبي ونصه كما في مسلم : « كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل رجل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما النبي صلى الله عليه وسلم فقرأا ، فحسن النبي شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني .. ضرب في صدري ، ففضت عرقا ، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا .. فقال : يا أبي .. أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هوّن على أمتي ، فرد إلي الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددت إليه :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن هوّن على أمتى ، فرد إلى الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف . . فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها . فقلت : اللهم اغفر لأمتى ، اللهم اغفر لأمتى . وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم » .

فإن عباس رضى الله عنه — نظراً لحداثة سنه وقت الترخيص بالقراءة — قد رجح العلماء أنه ناقل لا سامع ، ومن هذه الرواية نجد أن عمر من حيث إنه سامع لا ناقل ابرز فى معرض الاستدلال حين يحدد قراءات القرآن بقبائل مضر ـ ولذا قلنا إن الأحرف السبعة هى على تعددها لا تخرج عن تلك القبائل التى هى أفصح من نطق بالضاد .

وكما روى هذا الحديث عن أبى بن كعب روى مثله عن عمر بن الخطاب ، وهشام ابن حكيم ، وعبد الرحمن بن عوف وعبدالله ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل وأبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى ، وحذيفة بن اليمان ، وأبى بكرة ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وعمر بن أبى سلمة وأبى الجهم وأبى طلحة الأنصارى ، وأم أيوب الأنصارية حتى عده البعض من المتواتر وقد بلغ الخلاف فى هذه الأحرف السبعة مبلغا كبيرا حتى أوصلها القرطبى فيما نقل عن ابن حبان إلى خمسة وثلاثين قولا وإنه كان لم يذكر منها القرطبى سوى خمسة لأن أكثرها غير مختار ، وقد أوصلها البعض إلى أربعين ، ولا داعى للإفاضة فى تعدادها ، وتفصيل ما بها ، لأنها متشابهة ، ومحتملة ، وغيرها محتمل ، ولذا قال المرسى : « لا أدرى مستندها ، ولا عمن نقلت ، ومنها أشياء لا أفهمها على الحقيقة ، وأكثرها معارضة لحديث عمر وهشام الذى فى الصحيح » ، ولقد وقع الاختلاف فى قراءات القرآن بين أكثر من اثنين من الصحابة : فمن ذلك ما بين عمر وهشام ، وما بين أبى وابن مسعود . والأول فى الفرقان ، والثانى فى سورة النحل ، ومن ذلك ما وقع بين عمرو بن العاص وصحابى آخر .. وترجع أسباب هذا الاضطراب .. بين الأصحاب فى جملتها .. إلى عامل تمخضت عنه طبيعة الظروف التى عاشتها الدعوة الإسلامية وحتمية الأطوار التى مرت بها . وذلك هو انعدام عنصر التجميع لهذه القراءات فى مقام واحد ، أو مقال جامع ، إذا كان التشريع يساير احتياجات الناس فى كل بادرة تسنح ، أو فرصة تواتى ، . . الأمر الذى جعل من المتعذر على عمر وهو من ألصق الناس بالرسول ـ أن يتعرف ما يكون قد طرأ على ما قد كان من أوجه القراءة . بحيث استنكر قراءة هشام حين سمعها منه ولم يكن قد سمعها من الرسول بعد .. فى الوقت الذى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سبقه بعلمها من دعت الحاجة إلى التعجيل بعلمه .. قال ابن حجر : « كان سبب اختلاف عمر وهشام فى القراءة أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قديما .. ثم لم يسمع ما نزل فيها بعد ذلك .. لأن هشاما كان من مسلمة الفتح .. فكان النبى أقرأه على ما نزل أخيرا فنشأ اختلافهما من ذلك . » .

وحقيقة اختلاف الأحرف السبعة كما نقل عن ابن الجزرى : أنه اختلاف تنوع وتغاير . لا اختلاف تضاد وتناقض .. فهذا محال فى كلام الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » . وكل ما صح عن النبى من ذلك وجب قبوله .. إذ كل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية ، ومن كفر بحرف قرآنى تواتر ثبوته فقد كفر بالقرآن كله ، كما أشار إلى ذلك ابن مسعود ، وكما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله لأحد المختلفين فى القراءة : « أحسنت » والآخر : « أصبت » ، ولثالث « هكذا أنزلت » .

وبهذا يفترق خلاف القراء مع خلاف الفقهاء ، فالأول كله قطعى وحق لأنه من عند الله بيقين ، والثانى كله ظنى لأنه نتيجة إعمال الرأى . وإمعان الروية ، فكل مذهب فقهى بالنسبة لصنوه صواب يحتمل الخطأ .. فى حين أن كل قراءة بالنسبة إلى صاحبتها صواب تقطع به .

وانتساب كل حرف إلى صحابى على حدة إنما يعنى أنه كان أضبط له وأقرأ به حتى عرف عنه . وأخذ منه ، فهى إضافة اختيار فى إطار الاتباع ، وليست إضافة اختراع فى مجال الابتداع .

ومهما تنوعت ألفاظ القرآن فهى لم تخرج فى جملتها عن أمرين : إما اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى ، وذلك كالصوف والعهن ، وإما اختلاف الأمرين معا مع التوافق فى المفهوم المشترك مثـــل : قال رب ، وقل رب ـ أما الاختلاف فى صفة النطق كالمد والتخفيف والإمالة ونحوها فهو ليس من نوع اختلاف الألفاظ والمعانى .. بل هو اختلاف فى الوصف لا يخرج اللفظ عن وحدته ، وقد ظل ابن الجزرى مستشكلا حديث الأحرف السبعة .. كاشفا بفهمه على وجهه نيفا وثلاثين سنة حتى رأى أن الله تعالى قد فتح عليه بما يمكن أن يكون صوابا إن شاء الله ، وذلك أنه تتبع القراءات صحيحها ، وشاذها ، ضعيفها ومنكرها ، فلم يجدها تعدو سبعة أضرب على النحو الآتى :

أولا : اختلاف فى الحركات بلا تغيير فى المعنى والصورة نحو : يحسب بفتح السين وكسرها .

ثانيا : اختلاف فى الحركات مع تغيير فى المعنى دون الصورة : نحو . اذكر بعد أمة بالتشديد ، وأمه بالتخفيف وهو النسيان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثالثا : اختلاف فى الحروف مع تغير المعنى دون الصورة نحو : تبلو ، تتلو .

رابعاً : اختلاف فى الحروف مع تغير الصورة دون المعنى نحو : الصراط والسراط.

خامساً : اختلاف فى الحروف مع تغير فى المعنى والصورة نحو : يأتل يتأل بتشديد اللام.

سادسا . اختلاف بالتقديم والتأخير نحو وجاءت سكرة الموت بالحق ، وجاءت سكرة الحق بالموت

سابعاً : اختلاف بالزيادة والنقصان : نحو أوصى . ووصى . وقد حاول الرازى مثل تلك المحاولة فى الفهم والاستنباط كما حاول ابن قتيبة.

ولم تخل تلك الخلافات التى انطوت عليها الأحرف السبعة من حكم بالغة : فهى إما لبيان حكم يجمع عليه مثل « وله أخ أو أخت من أم » فى قراءة سعد بن أبى وقاص فإنها توضح المراد من الإخوة وانهم لأم وهو محل اتفاق وإما لترجيح حكم مختلف فيه كقراءة أو تحرير رقبة مؤمنة » فى كفارة اليمين وفيها ترجيح دليل من اشترط الإيمان فى الرقبة ، وإما لتجميع حكمين متخالفين فى العمل نحو « حتى يطهرن » بتخفيف الطاء وتشديدها حيث أفادت وجوب الجمع بين انقطاع الدم والغسل أو مدة الغسل عند حل الاستمتاع بالمرأة ، وإما لبيان حكمين متخالفين نحو « وامسحوا برءوسكم وأرجلكم » بنصب أرجل وخفضها ، والأولى توجب غسل الرجلين ، والثانية توجب المسح ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسح للابس الخف ، والغسل لغيره . وإما لتفسير كلمة على خلاف ما يظهر منها : « فامضوا إلى ذكر الله » فقد بينت أن المراد من قراءة «فاسعوا» ليس السير السريع ، وإما لتوضيح المراد مما قد لا يعرف مثل : « كالصوف المنفوش» بالنسبة إلى « العهن المنفوش » ومنها ما يتخذه أهل الحق برهانا يحجون به من عداهم مثل « وملكا كبيراً » بكسر اللام : وهو من أعظم الأدلة على رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة ونحو ذلك .

وثمت مسألة جديرة بالنظر فى هذا المقام وهى: هل مصحف عثمان الإمام الذى نتداوله اليوم يشتمل على الأحرف السبعة كلا أو بعضا ... ونحن إذا ضربنا صفحا عن الخلاف الذى وقع حول تلك المسألة وما أكثره . نرى أن الذى ارتضاه المحققون مما يتمشى مع روح الدليل هو ما قرره السيوطى فى الإتقان بقوله : « ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف التى بالأمصار مشتملة من الأحرف السبعة على ما يتفق مع رسم المصحف العثمانى وما يحتمله رسمه ، وأن هذا المصحف جمع العرضة الأخيرة التى عرضها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النبي صلى الله عليه وسلم فى العام الذى قبض فيه ولم يترك منها حرفا واحدا ، قال ابن الجزرى : « وهذا هو الذى يظهر صوابه وهو المتفق على إنزاله المقطوع به المكتوب بأمر النبى صلى الله عليه وسلم كما وقع فى المصحف المكى : « تجرى من تحتها الأنهار » فى آخر براءة ، وفى غير هذا المصحف بدون من ، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من عدة واوات ثابتة فى بعضها دون البعض ، وكذا عدة هاءات ، وعدة لامات ونحو ذلك ، وهو محمول على أنه نزل بالأمرين معا ، وأمر النبى شخصين بكتابتهما ، أو أعلم شخصا واحدا مرتين وأمره بإثباتهما ، وهذا يقوى ما سبق أن حققه ابن الجزرى من أن أساس جمع المصحف شيئان : العرضة الأخيرة ، وما صح مما لم ينسخ ولو لم يرد بالعرضة الأخيرة .. ومن هنا نشأ خلاف المصاحف ، وأما ما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كان قد جوز توسعة على الناس فى أول الأمر ... فلما آل الحال إلى أن قال بعضهم لبعض : قراءتى خير من قراءتك ، وأشار بعض ذوى الفطنة على عثمان بضرورة تلافى الشر قبل استفحاله اختار الصحابة بزعامة عثمان الاقتصار على اللفظ المأذون فى كتابته ، وتركوا الباقى . قال الطبرى : وصار هذا الاقتصار كمن اقتصر على خصلة واحدة من خصال الواجب المخير ، لأن أمرهم بالقراءة على الأوجه المذكورة لم يكن على سبيل الإيجاب ... بل على سبيل الرخصة بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فاقرءوا ما تيسر منه » ، ووافق الطبرى جماعة منهم ابن عمار فى شرح الهداية حيث قال : « أصح ما عليه الحذاق أن الذى يقرأ به الآن بعض الحروف السبعة المأذون فى قراءتها لا كلها ، وضابطه ما وافق رسم المصحف ، فأما ما خالفه مثل : أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج ومثل : « إذا جاء فتح الله والنصر » فهى من تلك القراءات التى تركت ، وعلى هذا تكون القراءات السبع المشهورة جزءا من الأحرف السبعة ـ لا أنها الأحرف السبعة ، وكذا غيرها من سائر القراءات .

وقال البغوى : « المصحف الذى استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر عثمان بنسخه فى المصاحف وجمع الناس عليه ، وأحرق ما سوى ذلك قطعا لمادة الخلاف ... فصار ما يخالف رسم المصحف فى حكم المنسوخ كسائر ما نسخ ، فليس لأحد أن يعدو فى اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم » .

فالحق : أن القرآن الذى بأيدينا اليوم هو من جمع عثمان ، وأنه تتوزع فيه الأحرف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السبعة . . بمعنى أن بعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة أسد ، وهكذا . . ولا تساعدنا النقول التي بأيدينا على تحديد كل بعض من هذه الأبعاض ، وأن الأحرف السبعة لا يوجد منها في ذلك المصحف إلا ما يحتمله الرسم فقط وهو ما يتفق مع آخر عرضة للقرآن على جبريل عليه السلام ، وما سوى ذلك فقد أجمع الصحابة على تركه ، ولا يترتب على تركه محظور . . لأنها قراءات اختيارية بحسب أصلها . . قال ابن جرير : « إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن أمراً واجباً . . بل كان جائزاً . . فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجمعوا على حرف واحد . . اجتمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً . . وهم معصومون من الاجتماع على ضلالة ، ولاشك أن القرآن نسخ منه في العرضة الأخيرة ، فاتفق رأي الصحابة على أن يكتبوا ماتحققوا أنه قرآن مستقر في العرضة الأخيرة ، وتركوا ما سوى ذلك .

ومما تجدر الإشارة إليه : أن مفهوم الأحرف السبعة شيء ، ومفهوم القراءات السبع التي يترنم بها القراء اليوم شيء آخر . ذلك لأن القراء الذين تنتمي إليهم هذه القراءات لم يكونوا قد خلقوا زمن الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن . . قال أبو شامة : « ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الأحاديث الشريفة . . وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة » .

وأول من جمع القراءات السبع المعروفة هو أبو بكر بن مجاهد في المائة الرابعة من الهجرة ، وقد كان السبب في نشوء هذا الاشتباه أن الناس سمعوا حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، وسمعوا أيضاً معه القراءات السبع . . فأشكل عليهم الأمر ، وخلطوا بين قراءات سبع ، وأحرف سبعة ، وظنوا أنهما سواء . . ولذا كره كثير من المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء ، وخطئوه في ذلك ، ورأوا أن الصواب إما النقص عن هذا العدد . . أو الزيادة عليه ليزول الالتباس ، من أفهام الناس . . قال الإمام أبو العباس المهدوي : « فأما اقتصار أهل الأمصار في الأغلب على نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي فقد ذهب إليه بعض المتأخرين اختصاراً واختياراً ، فجعله عامة الناس كالفرض المحتوم . . حتى إذا سمع ما يخالفها . . حكم بالخطأ والكفر . . وربما كان ما يخالفها أظهر وأشهر ، ولقد فعل مسبع السبعة مالا ينبغي له أن يفعله ، وأشكل على العامة حتى جهلوا ، وليته إذا اقتصر . . نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد سئل ابن عيينة عن الاختلاف بين العراقيين والمدنيين فى القراءة : هل هو الأحرف السبعة ؟ قال : لا . إنما الأحرف السبعة مثل : هلم وتعال وأقبل . . أى ذلك قلت أجزأك . وقال ابن وهب مثله .

وقال ابن العربى : ليست هذه السبعة متعينة للجواز بحيث لا يجوز غيرها . . بل هناك غيرها ما هو مثلهـــا أو فوقها كقراءة أبى جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم . . والسبب فى اختلاف القراءات السبع المشهورة - على ما ذكره ابن أبى هاشم : أن الجهات التى وجهت إليها المصاحف كان بها عدد من الصحابة ، وكانت المصاحف بلا نقط ولا شكل . فأخذ أهل كل جهة يتلقون القرآن من الصحابة الذين بساحتهم بشرط موافقة الخط . وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان ومن معه ، واحتياطا للقرآن . فمن ثم . . نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم على بعض من الأحرف السبعة .

وقد تعددت القراءات إلى ما وراء السبع وعشر وأوصلها أبو حاتم إلى ما فوق عشرين رجلا لكل منهم قراءة ، واقتصر أبو عبيدة على خمسة عشر ، وزادها الطبرى إلى اثنين وعشرين . بيد أن الاقتصار على السبعة له ما يبرره . فمن ذلك ما قاله مكى : إن الرواة كانوا كثيرين جدا . فلما تقاصرت الهمم . . اقتصروا على ما يوافق خط المصحف مما يسهل حفظه ، وتنضبط قراءته ، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر ، فى ملازمة القراءة ، ثم اتفقوا على الأخذ عنه وأفردوا لكل مصر إماما واحدا .

وقد اقتصر ابن جبير على خمس قراءات لأن مصاحف عثمان إلى الأمصار كانت خمسة ، ويقال إن عثمان وجه إلى البحرين مصحفا سادسا . وإلى اليمن سابعا . ولكن لم يسمع لهذين المصحفين الأخيرين خبر ، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف فاستبدل من غير البحرين واليمن قارئين ليكمل بهما العدد ، فتصادف توافق عدد القراءات مع عدد الأحرف ، فظن من لم يعرف أصل المسألة أنهما سواء ، وليس الأمر كما ظنه .

وتعتمد القراءات السبع فى ثبوتهـــا على دعائم ثلاث : ما صح سنده فى السماع . . ، وما استقام على العربية وجهه . . ، وما وافق خط المصحف . . ومتى فقد شرط من ذلك فهو الشاذ - كما نقل عن الكواشى .

وأول من جمع القراءات كلها فى كتاب : أبو عبيدة بن سلام وجعلهم خمسة وعشرين قارئا مع هؤلاء السبعة .

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة ابن مجاهد ثم تتابع المؤلفون حتى بلغ عدد القراء فى كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأجل قدرا من هؤلاء السبعة ، وقد ترك البعض ذكر بعض هؤلاء السبعة ، فأهمل أبو حاتم ذكر حمزة والكسائي وابن عامر ، وزاد نحو العشرين ممن هم فوق ذلك ، وكذلك فعل الطبري ، وزاد نحو خمسة عشر ، فكيف يظن ظان بعد ذلك أن هؤلاء السبعة المتأخرين هم أصحاب الأحرف السبعة المنصوص عليها .. هذا تخالف عظيم .. أكان ذلك بنص نبوي ؟.. أم كيف كان ذلك ؟ على حد تعبير أبو محمد مكي .. وكيف يكون ذلك .. والكسائي إنما ألحق بالسبعة في أيام المأمون ، وكان السابع في ترتيب السبعة : يعقوب الحضرمي .. ثم جاء ابن مجاهد سنة ثلثمائة فأثبت الكسائي في موضع يعقوب ، وقال ابن تيمية : ولا نزاع في أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة ، وأول من جمعها ابن مجاهد ليوافق عدد الأحرف .. لا لاعتقاده أنها هي .. أو أنه لا يجوز أن يقرأ بغيرها ، وكذلك ليست هذه القراءات السبع هي مجموع حرف واحد من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم » .

هذا . وأصح القراءات السبع المشهورة من جهة السند : قراءتا نافع وعاصم ، وأفصحها قراءتا أبي عمرو والكسائي .

وبعد :

فما تقدم يتبين أن : الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن ليست موجودة الآن بالوضع الذي كانت عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن عثمان اكتفى بما جمع منها في المصحف الإمام ، وأحرق ما سوى ذلك ، وصار ما عداه في حكم المنسوخ ، وأن الموجود بالمصحف الذي بأيدينا هو خليط من هذه الأحرف السبعة من غير تحديد لكل بعض على حدة ، وأن الأحرف السبعة هي كلمات متنوعة مترادفة تعبر عن معنى الكلمة الواحدة وأن هذه الكلمات المتنوعة قد تكون في لغة واحدة ، وقد تكون في لغات مختلفة ، وأن السبب في شرعيتها هو إرادة التيسير والتسهيل على الأمة وأن عثمان استهدف من الاقتصار على بعض الأحرف السبعة إخماد وميض الفتنة الذي هدد الأمة الواحدة بالتصدع والانهيار .

ومن أمثلة هذه المترادفات : انظرونا أمهلونا أخرونا أرقبونا ، تعال .. هلم أقبل فامضوا إلى ذكر الله ، فاسعوا إلى ذكر الله .

والكلمات التي تصل مترادفاتها في القرآن إلى سبعة قليلة جدا .

وأن الشارع الحكيم اقتصر على سبع قراءات للكلمة الواحدة لعلمه أن الكلمة من القرآن لا يزيد عدد مترادفاتها عن ذلك بحسب أفصح اللغات .. أو غالبا .

محمد محمد الشرقاوي
المدرس بمعهد الإسكندرية الديني

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نقد ومسائل :

الموازنة في التاريخ الإسلامي

للأستاذ محمد رجب البيومي

ارتقت فنون الكتابة التاريخية في عصرنا الحديث ارتقاء حميدا فأصبحنا نرى التاريخ الإسلامي يقدم في أنماط مختلفة ، ويفسر تفسيرا منهجيا على ضوء ما استحدث من المذاهب الأدبية والنفسية والاجتماعية ، حتى إنك لتقرأ الموضوع الواحد لنفر من الكتاب ، فتجد من اختلاف النظر ، وتنوع المذهب ، وتمين الأسلوب ما يكون موضع عجبك وإعجابك ، فمنذ أعلن ابن خلدون طريقته التحليلية في معرفة العلل والأسباب ، واتصال النتائج بالمقدمات ، وملء الفجوات المتسعة بما يوحي به منطق الأشياء ، وتمليه ظروف المكان والزمان ، وكتابة التاريخ تحيد قليلا قليلا عن النسق التقليدي في الرواية والإسناد ، وسرد الحوادث في نطاق السنين والأيام دون نقد حصيف لرواية مدخولة ، أو وقوف دقيق عند تناقض مضطرب إلا فيما ندر عند القليل من المتعمقين ، حتى جاء العصر الحديث بأسلوبه المنهجي ، ومنطقه القوي ، وتعليله العلمي فأوجد في الحقل التاريخي زرعا ناضر اللون شهي الثمر متعدد الألوان .

والموازنة بين الوقائع والأشخاص في كتابة التاريخ ميدان فسيح يجذب إليه أقلام الكاتبين ، فترى الحادثة القديمة تقرن بالحادثة الطارئة . في نسق دقيق تتضح معه العلل والنتائج ، فترجح كفة عن كفة أو تتساوى الكفتان في موضع واحد من الملاءمة أو الإطراء ، وقد تنتقل الموازنة إلى الأبطال فترى التليد والطارف من هؤلاء على بساط النقد في مستوى عادل دقيق ، والقارئ بلا شك ظافر بالفائدة الجزيلة ممتع بما يقرأ من التعليل والترجيح ، فيسير مع الكاتب في أفقه المتسع ، يرصد ما يفد من أسباب الارتقاء والهبوط أو ينجم من علل الانحراف والاعتدال . وتلك لذة فكرية هنية يحرص عليها من يقدر معدنها الأصيل .

غير أن هذه الموازنة الممتعة ، تتعرض في بعض الأحيان إلى تيارات خفية تجعل من الصعب الشاق على الكاتب أن يصيب مقطع الحق فيما يقول ومرد ذلك إلى الإعجاب الخفي أو الواضح ببطل معين تتضاءل بإزائه محاسن سواه ، فمؤرخه يفسر الأشياء بما يرضي هذا الإعجاب الواضح لديه ، وقد يكون غافلا عن حقيقة إعجابه اللاشعوري ، حين يميل على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الطرف الثانى بالملامة والمؤاخذة ، وتلك مرحلة شائكة تدعو إلى التريث الوئيد حتى يتبين الكاتب حقيقة نفسه بالمعاودة والتحليل ! وفيما يلى شاهد قوى الدليل :

لقد ظفرت المكتبة التاريخية أندلسية وشرقية بكثير من مؤلفات المؤرخ الموهوب الأستاذ الدكتور حسين مؤنس وأشهد لقد انتفعت كثيراً ببحوثه المتقنة وآرائه الصائبة ، وما زلت أرجع إلى آثاره التاريخية فى نشوة سعيدة . وحين أخالفه الرأى هنا فى بعض ما اعترضنى من أبحاثه النفيسة لا أزعم لنفسى حق التوجيه والتصويب فأنا دون الكاتب اطلاعا ونفاذا وقوة حدس ، ولكنى أعرض وجهة نظر متواضعة قد تكون مقبولة فتصحح وضعا مخطئا وقد تكون مرفوضة فتحتاج إلى تصحيح .

لقد قرأت كتابه القوى « من قصص البطولة » ، فرأيت مالا مزيد عليه من الروعة والنصاعة والاتزان ولكن بعض الفصول تجنح إلى الموازنة بين شخص وشخص ، فأراها من وجهة نظرى الخاصة تشتط كثيراً فى التهجم على من لا يستحق غير التأييد فى أكثر الأحيان والتبرير فى أقلها فأقع فى حيرة عربكة حين أرى الإعجاب اللاشعورى لدى الكاتب يغلو ويحتد حتى يجور على أناس معتدلين ، وسأضرب المثل بما كتبه الدكتور عن البطل العظيم نورالدين محمود زنكى قاهر الصليبيين .

وقبل كل شىء أعلن للدكتور الفاضل أنى أشاركه الإعجاب المطلق بهذه الشخصية المثالية ، وأعد كل ما ذكره عن فضائلها الباهرة حقا لا مرية فيه . وأذكر بادئ ذى بدء أنى كتبت مقالين كبيرين عن نور الدين منذ سنوات قلت فى أحدهما :

« إن نور الدين يلتقى بعلى بن أبى طالب فى أبرز صفاته وأخلص معادنه ، فإذا كان تقديس الحق وحده دون نظر إلى مغنم سياسى أو ظفر حزبى هو مبدأ أمير المؤمنين الورع الزاهد فإن هذا التقديس العظيم للحق وحده دون اعتبار لسواه كان مبدأ نور الدين فطالما اصطدم الرجلان بأهواء المغرضين ونزوات الوصوليين وكان فى بعض التهاون على حساب الحق مايجمع المتفرق ويلم الشعث ويطفئ الثورات ، ولكن المثل الأعلى يصيح فى أذنى البطلين الكريمين أن قدسا الحق وحده ولاتحفلا بغنيمة يسقبها وخز الضمير وتعب البال ، وياله من نداء مؤمن صادق يرتفع عن الرغبات والأهواء ، وإن عاد على سامعه بكثير من المنت والإرهاق » .

بل أزيد على ذلك فأزعم أنى أنصفت نور الدين من الدكتور نفسه فقد ذكر فى معرض حديثه عنه أنه لم يكن : « بالجندى الماهر ولا بالسياسى الضليع وإنما كان المؤمن الذى يغنيه الإيمان الصادق عن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مهارة القيادة وحنكة السياسة ، وهذا كلام يحتاج إلى تصحيح ولعلى قاربت الحق حين قلت مخلصا فى تنفيذه .

« إن تقديس مبادئ الإسلام سياسة رفيعة عالية ، يصعب على كثير من الناس أن يتمسكوا بها فيما يأخذون ويدعون من الأمور ويعز عليهم فى الوقت نفسه أن يعترفوا بتقصير تتأكد ملامته ، ويتحقق عيبه ، فيحاولون أن يجعلوا من نهاونهم الناقص كياسة حاذقة توجبها الظروف ، وتفرضها الملابسات ، ثم يتجهون بأبصارهم إلى أناس لا يعرفون التهاون فى الحق ، فيرون بعد ما بين الفريقين من خلاف فى الهدف والغاية والطريقة . وإذ ذاك ينحون باللائمة على من يستمعون الحق فيتبعون أحسنه ولو رجعوا إلى ضمائرهم فى لحظة مؤمنة بصيرة لانكشف الغطاء عن خداعهم الزائف وعرفوا أن أصحاب المثل أناس لا تنقصهم السياسة والكياسة والمران ، ولكنها سياسة القرآن وحده يؤكدها الإيمان ! أفكان فى تربيته وحصافته وفقهه وبصره غير سياسى أفكان نور الدين فى تسامحه وإيفائه بعهده وصدق وعده غير سياسى !! لا يا هؤلاء !! إنهما سياسيان عظيمان ! لهما مبادئ خالدة لا تتطرق إليها رغبة جامحة ولا تشين نقاءها نزوة هوجاء ! هما سياسيان محنكان يلتزمان سياسة القرآن ، وكياسة الإسلام فلا يعرفان غدراً بعهد أو تحرشا بغير خصم ! فليكونا فى جلالهما السامق سياسيين مثاليين فى دنيا الأطماع » .

وإذن فمكانة نور الدين لدى أقوى من مكانته لدى الدكتور !! ولكن موضوع هذا المقال لا يقف عند ذلك بل يتجه إلى تصحيح ما ذكره المؤلف — فى معرض الموازنة — عن عماد الدين زنكى والد نور الدين من ناحية وعن صلاح الدين الأيوبى خليفة نور الدين من ناحية ثانية ، فقد أجحف بالرجلين بعض الإجحاف ، وفيما يلى تصحيح وإنصاف .

قال الدكتور — فى معرض بحثه عن نور الدين — « لم يكن نور الدين كأبيه عماد الدين زنكى ينشد ملكا بأى ثمن ، ولا يتردد فى مصالحة الصليبيين والمضى معهم إلى حيث يريدون ، ولا يحفل بوضع يده فى يد مسلم أو نصرانى ما دام الأمر ينتهى باتساع ملكه أو زيادة موارده » .

وقال الدكتور مؤنس عن صلاح الدين فى هذا البحث عينه « فقد كان صلاح الدين لا يكاد يشتم ريح خطر من ناحية إلا تغيرت نفسه ، وغاضت فيها عيون الحلم والصبر وكانت مشاريعه ومطالبه متعددة لا تنتهى فكانت حاجته للمال لا تنتهى أيضا وكان عماله وجباته من أقسى خلق الله على الناس ما من بلد تاجر إلا قصم الجباة ظهره ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما بدت على إنسان علامة من علامات اليسار إلا أنذر بعذاب من رجال السلطان ، وكان الفلاحون والضعفاء معه فى جهد ما أينعت فى حقولهم ثمرة إلا تلقفها الجباة ، ولا بدت سنبلة قمح إلا استقرت فى خزائن السلطان حتى أملق الناس فى أيامه وخلفهم على أبواب محن ومجاعات حصدت الناس حصداً ».

هذا كلام الدكتور عن البطلين الكبيرين ، ولولا الإعجاب المتدفق بنور الدين ما جار هكذا على أبيه عماد وتلميذه صلاح فى مجال الموازنة والترجيح ، وسنعرض لها بإيجاز محدد ، لنعرف موضع الجور الأليم فيما سبق من الكلام !!

لقد زحفت جيوش الصليبيين على الشرق الإسلامى فى وقت تتشعب فيه إمارات الشام تخضع للنظام الإقطاعى الذى ينفرد فيه كل حاكم بولاية صغيرة لا تملك جيشاً أو تدخر قوة ، وأمراء الدول الصغيرة فى تنابذ يحول دون التفاهم والاتحاد ، والخلافة العباسية ببغداد عاجزة ضعيفة لا تملك أن تدفع عن نفسها الشر ، وقد استصرخت ولاذ بها اللائذون فقطعوا شعورهم وبكوا دون طائل ، والدولة الفاطمية بمصر متجهة إلى مكايد القصر ، ودسائس الوزراء ، والانشقاق الداخلى بين الخليفة ورؤساء الجيش !! وبهذا التخاذل المنحل فى ممالك الإسلام استطاع الصليبيون أن يؤسسوا أربع إمارات لاتينية فى الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس بعد أن جرت خيولهم فى أنهار الدماء إلى صدورها وضاع فى معركة بيت المقدس أكثر من سبعين ألف شهيد من المسلمين !! وقد هيأت الأقدار عماد الدين زنكى أمير الموصل للنهوض بهذا العبء الجسيم ، وكان وافر الكياسة دقيق الإدارة واسع الحيلة فصمم على توحيد الإمارات العربية تحت قيادته فضم إلى الموصل معظم بلاد الجزيرة ثم عبر الفرات واستولى على حلب وكثير من بلاد الشام واستطاع أن يقف وجها لوجه أمام الفرنجة ، وثقل عليهم بخيله ورجله وتيههم فى الدروب والأزقة فاستنجدوا مذعورين بملك القسطنطينية ، ثم هجم على الرها فاستردها ، وبدأ المسلمون يشعرون بقوتهم على يديه وأشرقت بوارق الأمل فى نفوسهم خلف قيادته ، على حين ذعر الصليبيون وأيقنوا أن ما خدعتهم به الكنيسة من اطراد النصر ، وتعاقب الفوز سراب مغرر فى صحراء حامية يشتعل بها الهجير ...

فعماد الدين لم يكن ينشد ملكا بأى ثمن ، ولكنه كان يجمع الصفوف خلف قيادته كيلا يطعنه طاعن من خلفه ، وفى ذلك من بُعد النظر ، وعمق الفراسة ما يسجل بالإعجاب ، وحين هادن الصليبيين فى بعض المآزق كان يماطلهم بدهائه ليتسع أمامه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوقت للتجمع فالوثوب ، وكانت ظروفه فى ذلك غير ظروف ولده نور الدين إذ أنه صاحب الصيحة الأولى فى التجمع والاستعداد ولولا جهوده الشاقة فى ضم الشمل ، ومطاردة المغرضين ، ما ترك لولده هذا التراث المكين قد يكون الدكتور صادقا إذ يقول إن نور الدين أزهد فى الجاه والرياسة من أبيه فهذا ما لا يجحده جاحد ! ولكنه يجور على الحقيقة حين يذكر أنه كان يمضى مع الصليبيين إلى حيث يريدون ! وإذن ففيم السلاح والعتاد والحرب والصيال ! وكيف قطف أولى ثمرات النجاح وهيأ طريقه الواضحة لنور الدين ثم لصلاح ! ! إن مثل عماد مع خلفيه كمثل أسرة أرادت أن تنشئ حديقة فيحاء فى أرض ذات صخور وأشواك وآكام فقام عميدها الكبير بإزاحة الأشواك وتسوية الطريق وشق الجداول وتنمية البذور ثم وافاه أجله فاستأنف قومه الغرس والبذر وتعهدوا الزرع بالرى والتسميد حتى ترعرعت الأفنان وتهدلت الثمار ! ! فهو مشكور مأجور دون نزاع فكيف تنعته بالوصولية المغرضة دون برهان ! !

هذا عماد ! فماذا كان من أمر صلاح ؟ !

يخيل إلى أن الدكتور مؤنس قد اعتمد فيما ادعاه على ما كتبه غلاة المغرضين من مؤرخى الفرنجة وما وسعه خيال قصاصيهم حين راحوا يلفقون أساطير موهومة عن حيل السلطان فى اصطياد الجواهر والحلى من اليهود والنصارى بنوع خاص ! أما ما ذكره مؤرخو العرب ، ومنصفو الأوربيين عن شجاعة وسخاء صلاح الدين وكرمه فبعيد كل البعد عن هذه الأراجيف ! ! ولولا ما أسميه عبادة البطل الواحد فى مجال الموازنة التاريخية لأفضت فى ذكر ما نسيه الدكتور المؤرخ من البدائه الذائعة . والأمثال السائرة مما تُنُوقل عن شهامة صلاح الدين وأريحيته ، وما أظن أحداً ممن يتصدر لتسجيل أعمال السلطان ينسى أنه أخذ من مال الفداء يوم المقدس مائتى ألف دينار ، وعشرين ألفا فوقها ، ففرقها على العلماء والمجاهدين والفقراء ، وأطلق كثيراً من ضعفاء الصليبيين دون فداء كما أغضى عن جواهرهم وحليهم فلم يعرض لها بمصادرة مما لا نظنه يصدر عن أرقى رجل مهذب فى القرن العشرين ، وقد خرجت ابنة الملك مرى تحمل صلبانها الذهبية ، وحليها المتوهجة المغرية . وهم أصحابه بها فمال بشهامته النادرة دون ما يبتغون . بل إن بطريق القدس جمع أموال البيع والكنائس فى صناديق مختلفة وأخبر بها صلاح الدين فتركها له ، وقال فى أريحية مثالية لا يجوز أن نفجعه فى ثروته بعد فجيعته فى أحلامه الدينية ! ! فليت شعرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أيكون السلطان بعد ذلك لا يترك إنسانا من المسلمين تبدو عليه علامات اليسار إلا أنذره بالويل والعذاب !! لنتأمل ما سطره الدكتور المسلم ولنقرنه بما ذكره مسيحى أوربى وهو صاحب كتاب « تاريخ المؤرخين » : إذ يقول ما ترجمته نقلا عن كتاب الدكتور أحمد البيلى فى صلاح الدين « ولقد كان من شدة كرمه أن عماله كانوا ينكرون عليه المال، حتى إذا جاءت ساعة الحاجة أخرجوا إليه ما يريد ، وهذا من كثرة بذله وعطائه ، وكان من عادته أنه إذا استولى على مقاطعة من المقاطعات نشر أعلام كرمه وسخائه على اتباعه ، وسكان الجهة فملك بذلك رقابهم ، ولما استولى على دمشق لم يأخذ لنفسه شيئا من خزائنها ، بل وزع ما وجد على الأهالى وكان يحترم كل من فى خدمته ويعاملهم معاملة لينة فإذا وقع من أحدهم ما يسيئه كتمه ولم يظهره ، أما مجلسه فكان ظاهراً لا يحسر فرد أن يقول سوءا فى جار له ، ولم ير يتيما إلا تحركت فيه عاطفة الشفقة والحنان عليه ، وكان فوق هذا محبا لأولاده وأهله ، وكثيرا ما شارك أطفاله لعبهم ، وكان يحب العدل ويعاقب كل من خالف أحكامه ، فكان يجلس للظالم بنفسه مرتين فى الأسبوع للغنى والفقير فى حله وترحاله وفى سفره ومقامه».

ولو شئنا أن ننقل كثيرا من النصوص المسيحية لغير هذا الكاتب المنصف ، لضاق بنا القـــول ، دع ما تفيض به الروايات الإسلامية من باهر المزايا ورائع الخيال ولا نريد أن ننقل هنا ما سجله أصدقاء الرجل ممن خالطوه وصادقوه كابن شداد وغيره كيلا فظنهم بعض المبالغات فى رأى من يتشددون فى الرفض والقبول ! بل إننا سننقل عن رحلة ابن جبير ما شهده بنفسه من كرم السلطان وسخائه ، وهو بعد ممن لم يتعمدوا كتابة تاريخ السلطان على وجه يشم منه التحيز ، وإنما هو عابر سبيل طاف وقتا ما بمصر فرأى وشاهد ثم سجل انطباعاته بعد أن فارق البلاد دون أدنى تأثير من حاكم ، أو زلفى إلى كبير . ولم يكن الرجل مؤرخا رسمياً يدفعه الإعجاب بالبطولة إلى التزيد ، وإنما كان وصافا يفيض بخواطره دون أن يحب لنفسه مكان المسجل العلمى ، فاتخذت كتابته طابع الصدق الساذج والوصف الأمين ، وكان مما قال » :

ومن مناقب هذا البلد ومفاخره السائدة فى الحقيقة إلى سلطانه : المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطب والتعبد يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى إليه ، ومدرساً يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، وإجراءا يقوم به فى جميع أحواله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء ، وينهون للأطباء أحوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم ومن أشرف هذه المقاصد أن السلطان عين لأبناء السبيل من المغاربة خبزتين لكل إنسان فى كل يوم بالغاً ما بلغوا ونصب لتفريق ذلك كل يوم إنسانا أمينا من قبله فقد ينتهى فى اليوم إلى ألفى خبزة أو أزيد بحسب القلة والكثرة ، وهكذا دائما ... أما أهل بلده ففى نهاية من الترفيه واتساع الأحوال لا يلزمهم وظيف البتة ! » .

فماذا عسانا نقول فى هذا التسجيل العرضى الذى لم يتعمد سوى النقل الفوتغرافى لما كان دون احتفال بإطراء ، أو اعتناء بتمجيد !

إن ما سطره الدكتور عن البطلين الكبيرين فى معرض حديثه عن نور الدين يدفعنا إلى الحذر المفرط عند الموازنة الشخصية بين إنسان وإنسان ، وإذا كان فى هذه الموازنة ما يفسح وجهات النظر ، ويجلو غوامض الحقائق . ويفسح مجال التحليل والتأمل فإن فى الانحياز الخفى ما يجعل منها أداة إجحاف وانحراف ، وقد تكون الموازنة الأدبية بين نص ونص أسلم من الموازنة التاريخية بين إنسان وإنسان . لأن الموازنة الأدبية فى النصوص الفنية تعرض الأثرين الأدبيين أمام القارئ المنصف أولا وسيكون له رأيه فيما يقرأ من أسلوب وما يسجل من حكم ، أما الموازنة التاريخية بين إنسان وإنسان فترجع إلى ما كونه الموازن فى نفسه من أحكام عن الشخصيتين دون أن يسرد الوقائع الكثيرة لصاحبيها ! ! لذلك كانت الدقة البالغة من ألزم اللوازم فى هذا المجال ، وإلا انشز وجه الحق فيما نقال . هذه خواطر مخلصة أقدمها لسادتنا المؤرخين راجيا أن تجد من الصدر الواسع ما يدفع إلى الاهتمام بها تأييدا أو تفنيدا فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وقد يكون من المفيد أن أعلن لقرائى الكرام أنى انتفعت فى هذه المجالة الطارئة بما سبق أن نشرته من بحوث مختلفة بمجلات الأزهر ومنبر الإسلام والحج السعودية عن الأبطال الثلاثة عماد ونور وصلاح فإذا وجدوا بعض التكرار فيما سودت فعذرى الواضح أن طبيعة المقال قد اقتضت أن أرجع إلى آثارى العلمية قبل أن أرجع إلى آثار الناس .

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام فى تشاد

للأستاذ عطية صقر

بين خطى عرض ٨ ، ٢٢ شمالى خط الاستواء ، وخطى طول ١٣ ، ٢٤ شرق جرينتش ، وفى قلب القارة الإفريقية ، يقع إقليم هو أهم الأقاليم الأربعة ، التى تتكون منها إفريقيا الاستوائية ، الواقعة تحت الحكم الفرنسى منذ أكثر من خمسين عاما ، ذلك هو إقليم تشاد Tchad الذى يحده من الشرق جمهورية السودان ومن الغرب نيجيريا والكمرون ، ومن الشمال ليبيا وحدود المغرب العربى ، ومن الجنوب إقليم أوبانجى شارى أحد أقاليم إفريقيا الاستوائية .

وتبلغ مساحة هذا الإقليم ١٫٢٨٤٫٠٠٠ كم . وينقسم إلى تسع مقاطعات ، يمثل ثلاث منها الإقليم الجنوبى ، الذى يمتاز بكثافة السكان وكثرة المزارع والمراعى ، والمساحة الباقية تمثل الإقليم الشمالى الذى تكثر صحاريه ويقل سكانه ، ويفصل بينهما فى أغلب الأماكن نهر شارى أكبر الأنهار الجارية فى هذا الإقليم .

وعاصمة تشاد هى فورت لامى Fort Lamy الواقعة على نهر شارى قريبا من الدلتا ، ومن أشهر المدن أبشه Abéché العاصمة الدينية للبلاد الواقعة على طريق قوافل الحجاج ، والتى تعد سوقا كبيرة لمنتجات دارفور فى السودان ووادای . ومن المدن الهامة أيضا : فورت أرشمبول Fort Archambault ، ماو Mao . فايا Faya .

وجو الإقليم شديد الحرارة فى الصيف دافىء فى الشتاء ، وتسقط الأمطار بغزارة فى الجنوب . ويشتغل معظم الأهالى بالزراعة والرعى وتربية الماشية وتجارة الجلود والحاصلات الأخرى .

ويبلغ عدد السكان ٢٫١٧٤٫٠٠٠ نسمة ينتمون إلى عدة قبائل منها :

البودوما Boudouma ويكثرون فى الجهات الشمالية والوسطى من البحيرة ، وهم مسلمون يتكلمون لغة أهل وكانم ، المجاورين لهم . والكورى Kouri ويكثرون شرق الأرخبيل ، التيبو Tibu ويكثرون أيضا فى الشمال ، وهم رعاة إبل مسلمون يتحملون العطش كثيراً وإبلهم سريعة كما يكثرون أيضا فى وسط الإقليم . ويوجد فى إقليم كانم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ووداى عرب رحل وعرب « بقارة » وبعض التيبو ، وكثير من السكان القدامى مثل : التاما والمون والأرنجا ، كما توجد قبائل الماسا والموسجو وسارا والبولالا .

والمسلمون يمثلون أكثر من ٧٠ ٪ من عدد السكان ، وأوصلتهم بعض المصادر الإسلامية إلى ٩٠ ٪ بينما تقول نشرات التبشير إنهم لا يجاوزون ٥٠ ٪ ، والغرض معروف من تقليل نسبة المسلمين ، فهم يحاولون جهدهم أن يمحوا الفكرة الشائعة من قديم إن البلاد إسلامية ، ويفتحون بذلك باب الأمل لإيجاد أغلبية غير مسلمة ليهيدوا من ذلك من الناحية الدينية والسياسية معاً . وهناك نحو المليون من الوثنيين الذين يعتقدون فى الأرواح ويقدسون الأشباح ، كما يوجد بعض الآلاف من المسيحيين الذين تنصروا منذ أن لوث التبشير أرض البلاد سنة ١٩٣٨ .

ومنذ أن دخل الإسلام إلى المنطقة فى القرن الحادى عشر والمسلمون يتكاثرون ، حتى صارت لهم الأغلبية فى البلاد ، وهم يكثرون جداً فى المناطق الشمالية ويقلون فى الجنوب حيث يسيطر عليه المبشرون الذين أقاموا خطاً تبشيريا يبدأ من « كيابى » وينتهى فى « بنجور » ماراً « بفورت شمبول » ، « كومرا » ، « موندو » ، « كيلو » ، « بالا » ، وهم يخشون أن يزحف الإسلام من الشمال على الجنوب ويرقبون حركة الانتقال بين الإقليمين بحذر . ولا يرتاحون للأكثرية الإسلامية الموجودة فى العاصمة ، فمن بين سكانها البالغين ٥٣ ألفا يوجد ٥٠ ألفا من المسلمين ، يكون العرب منهم أكبر نسبة .

وقد دخل الإسلام إلى هذا الإقليم منذ القرن الحادى عشر وذلك من طريقين : السودان والحجاز ومصر من الشرق ، وبلاد المغرب من الجهة المقابلة ، وكان زحف الإسلام إلى هذه البلاد زحفا سلمياً هادئا فقد جاء إليها المسلمون مهاجرين أو تجاراً لا يبغون وراء ذلك شيئاً ، حتى إذا ثبتت أقدامهم فى البلاد ، وكثر الداخلون فى الإسلام ، أقاموا ممالك منظمة كان لها أثرها فى نشر الدعوة الدينية فى المناطق المجاورة من إفريقية الوسطى والغربية ، وأهم هذه الممالك : مملكة « كانم » فى الشمال الشرقى من البحيرة التى قامت فيها أسرة سيف Seif نحو ألف عام (٨٠٠ — ١٨٠٠ م) وظلت على وثنيتها حتى دخلها الإسلام فى أواخر القرن الحادى عشر فى عهد « درجو بريمى » .

وازدهرت المملكة فى أوائل القرن الثالث عشر الذى بلغت فيه قوة الجيش ٣٠ ألف فارس ، وامتدت أطرافها حتى شملت بلادا كثيرة ، ومنذ أواسط القرن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرابع عشر اشتبكت فى معارك مع قبيلة البولالا حتى بداية القرن الخامس عشر قتل فيها أربعة من ملوك كانم ، فاضطروا إلى الهجرة إلى « بورنو » . ولما جاء الملك « على دوناما » (١٤٧٢ - ١٥٠٤) هاجم البولالا وأعاد نظام المملكة ، وجاء عهد الازدهار الثانى (١٥٧١ -- ١٩٠٣) الذى وسع فيه الملك إدريس ألوما حدود المملكة . وبعد فترة هدوء ثم تدهور استدعى الملك الشيخ محمد الأمين الكانمى الذى صد هجوم الفولانى سنة ١٨١٠ . وتولى الحكم بنفسه وأنهى حكم أسرة سيف ، ثم حدثت منازعات بين عمالك واداى وكانم وباجرامى ، حتى وصل إلى الإقليم السلطان رابح « أحد قواد سليمان ابن الزبير باشا » سنة ١٨٩٣ م فأنشأ أمبراطورية قوية غير أنه قتل فى حربه مع الفرنسيين سنة ١٩٠٠ م .

ونشأت أيضا مملكة إسلامية فى « باجرمى » جنوبى البحيرة على يد السلطان « بريمى » (لعله محرف عن إبراهيم) فى أوائل القرن السادس عشر وازدهرت فى عهد السلطان الحاج محمود الأمين (١٧٥١ — ١٧٨٥) . وفى سنة ١٨٠٦ خضعت لسلطان واداى ، حتى ضمها الشيخ الأمين الكانمى (المتخرج فى الأزهر) إلى مملكته ، ولما جاءت سنة ١٨٤٦ قوى ملوكها نسبيا ، ولكن صرعان ما هاجمهم ملك واداى سنة ١٨٧٠ ، حتى جاء رابح سنة ١٨٩٢ فضم باجرمى إلى مملكته .

ومنطقة واداى شرقى الإقليم تأخر دخول الإسلام فيها نسبيا ، بسبب تعدد القبائل وبسبب وجود أسرة « النجر » التى حكمت المنطقة بعد هربها من دارفور فى السودان ، التى كانت ما تزال وثنية إلى القرن الرابع عشر وأول الملوك المسلمين فيها هو السلطان عبد الكريم ، وهو عربى أبوه من بلدة شندى شمالى الخرطوم ، وكان قد وصل إلى البلاد وأقام ضيفا عند إحدى القبائل يدعو إلى الإسلام ، ثم تزوج منها وصارت له الكلمة فيهم ، وكان يسمى هناك « جد الإسلام » . وبعد موته تولى ابنه « عروت » مهمة نشر الدين فى المناطق المجاورة ، وقد حدث أن أحد الحكام رفض قبول دعوته وعمل على عرقلة جهوده ، فثار عليه الأهالى وعزلوه وولوا « عروت » سلطانا عليهم ، فأسس مدينة « وارا » وجعلها عاصمة لمملكة إسلامية فى إقليم واداى ، حتى انتقلت إلى « أبشة » ، وقد كانت المملكة تدفع الجزية لسلطان دارفور ثم تخلصت منها فى أواخر القرن السابع عشر ، وازدهرت المملكة فى عهد صابون (١٨٠٥ — ١٨١٥) وفى سنة ١٨٤٣ تولى أخوه السلطان محمد شريف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صالح الحكم ثم ابنه السلطان علي (١٨٥٨ - ١٨٨٣) فقويت الدولة ، ثم حدث نزاع بين الأسرة الحاكمة على العرش ، وبينها وبين البلاد حتى دخل الفرنسيون سنة ١٩٠٢ لنصرة أحد الأطراف واحتلوا واداى .

وقد احتلت فرنسا إقليم تشاد لتصل مستعمراتها فى وسط القاهرة بمستعمراتها فى شمالى إفريقيا ، فجاءت حملات من الجنوب ومن الغرب ، واشتركت مع البلاد فى حرب كان يقودها السلطان رابح ، انتهت بقتله هو والقائد الفرنسى « لامى » فى بلدة « كسورى » التى تحول اسمها إلى « فورت لامى » ، وجعلت عاصمة الإقليم .

لم يعرف الغربيون إقليم تشاد قبل القرن الخامس عشر الذى تحركت فيه بعثات الملاحة والاستكشاف حول قارة إفريقية ، حيث وصلت إلى مصب نهر الكونغو ، ووصلت أخبار البلاد إلى أوربا وسال لعابها على القارة البكر ، فتكونت فى فرنسا فكرة بناء أسطول لاحتلال إفريقيا الاستوائية فى القرن الثامن عشر ، ونجح « فلستر » فى احتلال إقليم « جابون » فى مارس ١٨٤٢ ، وظل الاستعمار يزحف حتى بسط سلطانه على المنطقة كلها ، وقد أحس المستعمر بخطر العلماء والقضاة الذين كانوا يحملون لواء المقاومة ضد الفرنسيين مدة سبع سنين ، ففكر فى القضاء عليهم والتخلص من سلطانهم فغرر بهم حتى جمعهم فى مكان واحد ، وأوسعهم تقتيلا يبرهن على أن فرنسا تستحق أن تسمى بحدارة حاملة شعلة الحرية والإخاء والمساواة ، وكان عدد القتلى من العلماء فقط فى هذه المجزرة البشرية فى « أبشة » سنة ١٩١٧ نحو ٤٠٠ عالم ، وتتبعوا الطلاب وأئمة المساجد ومعلمى القرآن حتى طردوهم من البلاد ، وكانت تسمى هذه المجزرة بمذبحة « الكبكب » أى الساطور . وبعد أن هدأت الحالة عاد الهاربون إلى « أبشة » وزاولوا نشاطهم الدينى والعلمى فى هدوء وتسليم .

كانت البلاد قبل دخول الإسلام على حالتها من الوثنية والبداوة ، حتى قدم العلماء والدعاة من الشرق ومن المغرب ، فنشروا لواء الدعوة وثقفوا الأهالى فى المساجد والكتاتيب ، وتخرج كثير من العلماء الذين أتموا دراستهم فى الأزهر وجامع الزيتونة بتونس . ولما جاء الاحتلال الفرنسى أهمل التعليم الدينى بل اضطهد ، ولم يعد المسلمين بعد من المدارس الإسلامية المنظمة إلا عدد ضئيل كمعهد « أبشة » الدينى الثانوى ، والمعهد الإسلامى الابتدائى فى « فورت لامى » والمدرسة الابتدائية « فى فورت شميول » التى تدرس فيها علوم الشريعة . والتعليم فى هذين المعهدين على النظام الأزهرى القديم مع قليل من العلوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المدنية والأهالى هم الذين يتولون الإنفاق على التعليم وإدارة شئون المعهدين ، ما عدا معهد أبشة فقد تولته الإدارة الرسمية ليكون تحت رقابتها ، وقد أنشئ هذا المعهد سنة ١٩٤٦ بفضل أحد خريجى كلية الشريعة بالأزهر وهو الشيخ محمد عليش عويضة . وقد أغلقه الفرنسيون سنة ١٩٥٣ وطردوا مؤسسه ثم عاد تحت ضغط الأهالى واضطرت الحكومة إلى فتح المعهد سنة ١٩٥٧ ، غير أنها هى التى تولت الإشراف عليه لدوام مراقبته .

واللغة السائدة فى الإقليم هى العربية التى يتحدث بها ٩٠ ٪ من السكان : المسلمون منهم وغير المسلمين سواء ، وهى لغة التعليم فى الدراسة الدينية ، أما اللغة الرسمية فهى لغة المستعمر « الفرنسية » ولا تدرس العربية فى المدارس إلا كلغة ثانوية .

والمسلمون يدينون بعقيدة أهل السنة والجماعة ، ويتفقهون على مذهب الإمام مالك الذى وفد مع الدعاة والمعلمين ، والذى شجع الأخذ به السلطان رابح .

والمساجد كثيرة منتشرة فى البلاد حيث يوجد المسلمون ، وفى « أبشة » جامع السلطان الذى أنشئ سنة ١٠٧٦ هـ ، وجامع السوق الذى أنشئ سنة ١٢٠٠ هـ . كما يوجد فى « فورت لامى » العاصمة مسجد كبير أنشئ سنة ١١٧٦ هـ وكان الأهالى هم الذين ينفقون على هذه المساجد حتى سلمها المستعمر للجمعيات .

ومن الجمعيات الدينية فى البلاد : الهيئة التشادية الإسلامية . وجمعية الشباب المؤمن فى فورت لامى . وجمعية الفقهاء فى أبشة ، وقد أنشئت كلها بعد سنة ١٩٤٥ . كما يوجد من الجمعيات الخيرية : الجمعية التجارية الوطنية ، وجمعية الأخوة التشادية والرابطة السارواية ، ويوجد ناد للثقافة الإسلامية فى فورت لامى .

والطرق الصوفية موجودة فى البلاد ، وقد وفدت إليها مع الدعاة الأولين ، وأهمها التيجانية ، والقادرية ، والميرغنية .

ومن الشخصيات الهامة ذات الأثر البارز فى الكفاح الوطنى والدينى . الشيخ محمد عليش عويضة مؤسس معهد أبشة ، والشيخ إبراهيم جباى خليل المتخرج فى كلية الشريعة بالأزهر ، والذى أنشأ مدرستين عربيتين فى أبشة . والشيخ محمد المهدى قاضى القضاة ، والأستاذ أحمد غلام الله ، وغيرهم .

هذا والبلاد ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسى الذى لا يعرف معنى للحرية والرحمة والإنسانية ، والمنطقة لها ماض إسلامى مجيد يمتد نحو عشرة قرون ، ولها أهميتها فى وسط القارة الإفريقية من جهة نشر الوعى الدينى والوطنى والقومى ، وهى فى حاجة ماسة إلى مساعدة فعالة للتستطيع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الماضى فى القيام بدورها الإيجابى فى العالم الأفريقى المتطلع إلى الحرية والاستقلال ، والذى يعلق آمالا كباراً على الجمهورية العربية وعلى الأزهر الشريف . وأعتقد أننا سنكسب الجولة لو أننا عنينا بتقوية الروح الدينية فى نفوس هؤلاء المسلمين ، وإفهامهم النواحى الحية فى الدين التى تبعث على الكفاح والعمل المتواصل للتحرر ، والتيار الاستعمارى هناك شديد باعتماده على المبشرين الذين كادرا بكنائسهم ومدارسهم ومستشفياتهم ومبعوثيهم أن تكون لهم السيطرة الدينية والفكرية فى البلاد ، وإذا أردنا أن نحاربه فليكن بسلاحه الذى يستطيع الأزهر أن يقوم بقسط كبير منه ، إذا أراد أن يبرهن على أن خطوته الإصلاحية الجديدة هى من وحى الواقع الذى يعيش فيه المسلمون فى هذه الأيام .

إن المبشرين كتبوا فى تقريرهم المنشور فى نشرة ٧ من يوليو ١٩٥٦ أن الأحداث الخطيرة فى شمالى إفريقية والمغرب ودول الساحل الإفريقى على المحيط الأطلسى ، والدول القائمة فى قلب الصحراء هى أثر للعمل الخطير الذى تقوم به فى مهارة وجلد ، الجامعة العربية وراديو القاهرة والبعوث الدينية الأزهرية ، ويقولون : إن الإنسان يشعر فى هذه الأيام بأن مصير تشاد متعلق تماما بمجرى هذه الحوادث ، ويطلبون زيادة نشاط الكنيسة لإيجاد مسيحية سوداء فى الكمرون وجابون والكونغو على حدود العالم الإسلامى ، وينبغى ألا نكون أقل يقظة منهم ، وأن نعمل مخلصين لهداية هؤلاء المتطلعين إلى الإيمان الصحيح والحرية الحقيقية ، والله هو الموفق والمعين ؟

عطية صقر

(بقية المنشور على صفحة ٤٩)

الجسدية وجعلوا ذلك غاية الحياة التى يحيونها، وما أحرانا أن ننفض أيدينا من أدب هؤلاء ومن يريدون من نقادنا أن يحولوا إليه مذهبهم فى النقد . فصيحة الفن للفن تبعد بالنقد عن ميدانه الصحيح وهو نقد الموضوع الذى يختاره الأديب ليبرزه بأسلوبه الفنى . فإن قيمة الإنتاج الأدبى لا تعرف إلا بمقياس مزدوج على الأقل . فجانب من هذه القيمة يرجع إلى توافر العناصر الفنية فى أسلوبه وهذا شرط أولى لا يمكن أن يسمى الإنتاج أدبيا إلا حين يتوافر له ، والجانب الآخر الذى هو الفيصل فى المفاضلة بين إنتاج أدبى وآخر هو « الموضوع » الذى لابد للنقد أن يتحرى الدقة فى الكشف عن حقيقته . وهل هو موضوع وبيل ينفث السم فى المجتمع أو هو مما يبعث الحياة ويطهرها ويسمو بها إلى مراتب أعلى ويدفع بها إلى مستوى حضارى أجدر بالبقاء .

محمد فريد أبو حديد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مفردات قرآنية :

التجارة فى القرآن

للأستاذ احمد الشرباصى

— ٢ —

التجارة فى نظر القرآن الكريم ليست عملا ماديا دنيويا صرفا ، بل له صلته بالجوانب الدينية فى حياة الإنسان ولذلك يشير القرآن إلى ارتباط تجارة الدنيا بتجارة الدين ، فيقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين. [١] » .

ويفهم من هذه الآيات الكريمة أنه إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة لم يحل البيع والشراء ووجبت المبادرة إلى الصلاة ، فذلك خير وأنفع وأحسن . وأنه إذا انتهت الصلاة فينبغى للمسلمين أن يعودوا إلى رحاب الحياة عاملين متاجرين مكتسبين متطلبين الوصول إلى الرزق بفضل الله وعونه ، ذاكرين ربهم ذكرا كثيرا حتى ينالوا الفلاح والنجاح فى الحياة .

وقد روى فى سبب نزول الآية أن دحية ابن خليفة الكلبى أقبل بتجارة من الشام فى يوم جمعة قبل أن يسلم . وكان معه أنواع من التجارة ، وكان الناس يتلقونه بالطبل والتصفيق والنبى صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج الناس إلى التجارة واللهو ، وتركوا النبى ، ولم يبق معه إلا القليل ، قيل ثمانية ، وقيل اثنا عشر . وقيل أربعون [٢] ، فقال النبى : « لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة » ويروى أن النبى قال : « لو تتابع آخرهم أولهم لالتهب الوادى عليهم نارا [٣] » .

ولما حدث هذا نزلت الآيات تعريضا وإنذارا وتحذيرا من فعل ذلك ، وقد خصت الآية البيع بالذكر لأهميته والحرص عليه ، ويقاس عليه غيره ، وفى ذلك يقول جار الله الزمخشرى : « أراد الأمر بترك ما يذهل عن

---

[١] سورة الجمعة ، الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ .

[١] فى تفسير الطبرى روايات تفيد أنهم كانوا اثنى عشر رجلا وامرأة ، ج ٢٨ ص ١٠٤ .

[٢] عن تفسير الرازى ، ج ٨ ص ١٥٤ بتصرف واختصار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذكر الله من شواغل الدنيا ، وإنما خص البيع من بينها ، لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم . وينصبون إلى المصر من كل أوب ، ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ، ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضى إلى المسجد قيل لهم : بادروا إلى تجارة الآخرة ، واتركوا تجارة الدنيا ، واسعوا إلى ذكر الله الذى لا شيء أنفع منه وأربح ، وذروا البيع الذى نفعه يسير وربحه مقارب [1] » .

وقد فات الزمخشرى أن يذكر مع هذا أيضا ما نكاد نلمحه وهو أن صلاة الجمعة صلاة جامعة ، فلا تتحقق ثمرتها إلا بالاجتماع والتلاقى بين المسلمين ، فإذا تكاسل هذا وذاك أو تشاغلوا بالتجارة عن الاستجابة للنداء لم يكن الهدف المطلوب ، وهناك الخطبة التى يجب على المسلمين أن يستمعوا إليها ويستفيدوا منها ، ولو أهملوا أو أجلوا لفاتهم ذلك ، كما أن صلاة الجمعة تؤدى فى وقت معين محدد ، وليست كالفروض الفردية التى يتسع أمام الفرد وقت أدائها ، فيؤديها فى أول الوقت أو فى وسطه فيما تيسر له من مكان صالح للصلاة .

وبنظرنا فى الآية المتقدمة نجد أن الله تعالى يعلم عباده أن يتذكروا واجب العبادة الدينية وهم يباشرون الأعمال الدنيوية . فإذا تردد النداء لصلاة الجمعة تركوا التجارة وغيرها من أعمال الدنيا ، وهرعوا إلى الصلاة ، فتتصل أعمال الآخرة بأعمال الحياة ، وإذا كانوا فى الصلاة سمعوا حديث هذه الحياة ، بما فيها من تجارة وتعامل ، فقد يتلو عليهم إمامهم قول ربهم : « وأحل الله البيع وحرم الربا » أو قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه .... » . فيكون هذا جمعا بين حديث الدنيا وحديث الآخرة .

وإذا انتهت الصلاة فقد انفتحت أمامهم من جديد أبواب السعى فى الحياة ، وقد جاءت « الفاء » هنا ، وهى التى تفيد التعقيب بلا تراخ : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » . أى إنه يحل لكم الانتشار للكسب والاتجار بمجرد انتهاء الصلاة ، وبلا فاصل زمنى ما .

ولكن إذا انتشرتم وسعيتم فلا تنسوا أنكم تسيرون فى أرض الله ، وتأخذون من رزق ، وتبتغون من فضل الله : « وابتغوا من فضل الله » .

وهذا التذكر يربط أيضا بين التجارة والدين فلا تكون عملا ماديا مجرداً من معانى الإيمان

[1] تفسير الكشاف ، ج ٤ ص ٩٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والروح . بل تكون موصولة الأواصر بالقيم والأخلاق ...

ولا تكتفوا بتذكر أنكم تبتغون من فضل الله ، بل أضيفوا إليه أمراً آخر ، « واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » . وذكر الله فى أثناء العمل الدنيوى يباركه ويعصمه من الزلل والخلل ، ويباعد بينه وبين الانحراف والاعتساف .

واحذروا أن تكونوا كأولئك الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم فجذبتهم جواذب الحياة المادية فى وقت واجبهم الدينى ، فانصرفوا إلى عرض الدنيا وتركوا ما هى أزكى وأبقى لأن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين .

فنحن نرى الآيات تشير فى صدرها إلى أن الناس من شأنهم أن يكونوا فى سعيهم وتجارتهم . وأن هذا أمر مشروع مرضى عنه من الشارع ، فإذا جاء وقت الصلاة وصلوه بوقت العمل والسعى ، وإذا ما انتهى واجب الله عاد الناس إلى ميادين الحياة ، ولكنها ميادين من فضل الله ، ولذلك يجب عليهم أن يتذكروا ، وأن يذكروا ربهم ذكراً كثيراً ... وليس وراء ذلك منهج رائع بين عمل الدنيا وعمل الآخرة .

ولقد كان عبد الله بن مالك إذا صلى الجمعة وقف بباب المسجد وقال : « اللهم أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتنى ، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين » .

ويتعرض كتاب « فى ظلال القرآن » للحديث عن الآية السابقة ، فيقول فيما يقول : « الآية تأمر المسلمين أن يتركوا البيع وسائر نشاط المعاش بمجرد سماعهم الأذان ، وترغبهم فى هذا الانخلاع عن شئون المعاش والدخول فى الذكر فى هذا الوقت ... فلا بد من فترات ينخلع فيها القلب من شواغل المعاش وجواذب الأرض ، ليخلوا إلى ربه ويتجرد لذكره ويتذوق هذا الطعم الخاص للتجرد والاتصال بالملأ الأعلى ، ويملأ قلبه وصدره من ذلك الهواء النقى الخالص العطر ويستروح شذاه ، ثم يعود إلى مشاغل العيش مع ذكر الله ، وهذا هو التوازن الذى يتسم به المنهج الإسلامى : التوازن بين مقتضيات الحياة فى الأرض من عمل وكد ونشاط وكسب ، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو ، وانقطاع القلب وتجرده للذكر وهى ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقى والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى »[1] .

ولأن القرآن قد ربط بين العبادة والتجارة بذلك الرباط الدقيق الوثيق ، رأينا أن فقه القرآن والسنة يضع للتجارة آدابا تجعل التاجر

---

[1] فى ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ، ج ٢٨ ص ١٠١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يقوم بها وهو محافظ على خلق المسلم وأمانة المسلم وإخلاص المسلم ، ومن هذه الآداب الحذر من اتخاذ الحلف الكاذب وسيلة لترويج السلعة أو زيادة الكسب فى التجارة والحديث المتفق عليه يقول: « واليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة » وفى حديث مسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم : المنان والمسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » .

وفى تفسير القرطبى : « ويكره [١] للتاجر أن يحلف لأجل ترويج السلعة وتزيينها ، أو يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فى عرض سلعته . وهو أن يقول : صلى الله على محمد ، ما أجود هذا . ويستحب للتاجر أن لا تشغله تجارته عن أداء الفرائض » [٢] .

ويلحق بما ذكره القرطبى حلف التاجر بحق لحيته ، أو حق شيبته ، أو حق « شباك النبى » الذى وضع عليه يده وهو يحج ، أو حق الكعبة التى طاف حولها ولمسها ، أو حق « الحجر الأسعد » الذى قبله ... إلخ .

ولقد قال الرسول : إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق» .

وقال ابن الأثير تعليقا على ذلك : « سماهم فجاراً لما فى البيع والشراء من الأيمان الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذى لا يتحاشاه أكثرهم ولا يتحفظون له ، ولهذا قال فى تمامه : إلا من اتقى الله وبر وصدق »[١] .

وفى الحديث أيضا : « إياكم وكثرة الحلف فى البيع ، فإنه ينفق ثم يمحق » أى يروج أولا ، ثم تكون عاقبته ذهاب البركة .

وكان عمر بن الخطاب إذا دخل السوق قال : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفسوق ، ومن شر ما أحاطت به السوق ، اللهم إنى أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة » .

ومن آداب التجارة فى الإسلام أن لا يثنى البائع على السلعة بما ليس فيها ، وألا يكتم شيئا من عيوبها أو خفايا صفاتها ، فإن هذا من الخداع الذى نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد مر النبى برجل يبيع قمحا فأعجبه فأدخل يده فيه فوجد بللا ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فأجاب : أصابته السماء فقال النبى : « هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا » ومن قواعد الإسلام أن النصح واجب لكل مسلم ، وعن بعض التابعين أنه قال: لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لى : من خير هؤلاء ؟

---

[١] الكراهية هنا فيها معنى الحرمة .

[٢] تفسير القرطبى ، ج ٥ ص ١٥٦ .

[١] النهاية فى غريب الحديث ، ج ١ ص ١٠٩ ، ١١٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لقلت : من أنصحهم لهم ؟ فإذا قالوا : هذا . قلت : هو خيرهم ، ولو قيل من شرهم ؟ قلت من أغشهم ؟ فإذا قيل هذا . قلت هو شرهم !.

ولقد كان السلف يضربون الأمثلة الرائعة فى الأمانة والنصح والصدق ، فهذا يونس ابن عبيد - كما يروى عنه الغزالى(١) - كان عنده حلل مختلفة الأثمان ، ومنها صنف ثمن كل حلة منه أربعمائة درهم ، ومنها صنف آخر ، ثمن كل حلة منه مائتان . فذهب يونس إلى الصلاة وترك ابن أخيه عند الثياب ، فجاء أعرابى وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه الفتى من حلل المائتين فاستحسنها الأعرابى ورضيها واشتراها ومشى بها وهى على يديه ، فلقيه يونس فعرف حلته فقال الأعرابى : بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة . فقال : لا تساوى أكثر من مائتين ، فارجع حتى تردها . فقال : هذه فى بلدنا تساوى خمسمائة وأنا أرتضيها ، فقال له يونس : انصرف فإن النصح فى الدنيا خير من الدنيا بما فيها . ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتى درهم ، وخاصم ابن أخيه فى ذلك ، وقال له : أما استحييت ؟ أما اتقيت الله ؟ تربح مثل الثمن ، وتترك النصح للمسلمين ؟ فقال : والله ما أخذها إلا وهو راض بها . قال فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك ؟ .

وهذا محمد بن المنكدر أيضا كان له شقق ، بعضها بخمسة وبعضها بعشرة ، فباع فى غيبته غلامه شقة من ذوات الخمسة بعشرة ، فلما عرف ابن المنكدر أطال البحث عن المشترى حتى وجده وقال له : إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة . فقال الرجل : يا هذا قد رضيت . فقال : وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا ، فاختر إحدى ثلاث خصال : إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك ، وإما أن نرد عليك خمسة ، وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك . فقال المشترى : أعطنى خمسة ، فرد عليه خمسة ، وانصرف الأعرابى يسأل : من هذا الشيخ ؟ فقيل له : هذا محمد بن المنكدر . فقال : لا إله إلا الله ، هذا الذى نستسقى به فى البوادى إذا قحطنا !.

وروى أن واثلة بن الأسقع كان فى السوق فرأى بائعا يبيع لرجل ناقة بثلاثمائة درهم ، ومضى المشترى ، ولكن واثلة رأى شيئا ، فنادى على الرجل ، وقال له يا هذا اشتريتها للحم أو للظهر ؟ (الركوب) فقال بل للظهر فقال واثلة : إن بخفها نقبا فقد رأيته ، وإنها لا تتابع السير . ونصحه بردها للبائع ، فنقصها البائع مائة درهم من ثمنها الأول ، وقال لواثلة : رحمك الله ، أفسدت على بيعى ، فقال واثلة : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل لأحد

(١) الإحياء ، ج ٢ ص ٧٢ ، ٧٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يبيع بيعا إلا أن يبين آفته ، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تبيينه » ! .

ولما بايع الرسول جرير بن عبد الله على الإسلام ، ذهب جرير لينصرف ، فجذب النبي ثوبه . واشترط عليه النصح لكل مسلم .

وحسبنا قول الرسول : « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما ، وإذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما » .

ومن أدب أهل القرآن في التجارة ألا يخدعوا في سعر الوقت ، وألا يحتالوا للتغرير بالناس في الأسعار ، ولذلك نهى النبي عن « تلقي الركبان » الذين يقدمون من البوادي إلى الأمصار ومعهم سلع يريدون بيعها ، ولا علم لهم بسعر الوقت ، فيلقاهم من يخدعهم فيه ويستولي على سلعهم بثمن بخس ؛ كما نهى النبي عن « النجش » وهو تظاهر من لا يريد الشراء بالرغبة فعلا في الشراء ، ويرفع في الثمن ليخدع الراغب في الشراء ، فينخدع ويشتري بثمن مرتفع ، وهذا مثل ما يحدث الآن في المزايدات الصورية .

ونهى كذلك عن خداع من لا يحيطون بأسرار التجارة علما ، فقال : « لا يبيع حاضر لباد » ، لأن البادي يريد أن يبيع بسعر معقول ، إذ يحتاج إلى البيع ، ولكن الحاضر - المقيم في المدينة أو البلد - يريد أن يستولي على السلعة ويخزنها ويتحكم في السعر ، وقد يؤدي به ذلك إلى الاحتكار[1] الذي حاربه الإسلام وحذر منه الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : « لا يحتكر إلا خاطئ » ، وقال : « من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ » . وقال : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » ، وقال : « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه » .

وقال علي بن أبي طالب : « من احتكر الطعام أربعين يوما قسا قلبه » . وحث النبي على جلب الأقوات والسلع وبيعها بالسعر المناسب الميسر ، فقال : « من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به » . وجاء في الحديث المرسل : « إن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله » . وفي الحديث : « الجالب مرزوق والمحتكر خاطئ » .

ولنتذكر هنا أن البيوع — كما يقول القرطبي في تفسيره : « نوعان : تقلب في الحضر من غير نقلة ولا سفر ، وهذا تربص واحتكار قد رغب عنه أولو الأقدار ، وزهد فيه ذوو الأخطار (المراتب) والثاني تقلب المال بالأسفار ونقله إلى الأمصار ، فهذا أليق بأهل المروءة ، وأعم جدوى ومنفعة ،

---

[1] قال ابن الأثير : (احتكر الشيء أي اشتراه ليقل فيغلو) النهاية ج ١ ص ٢٤٥ .

[2] انظر نيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٢٢١ والإحياء للغزالي ج ٢ ص ٦٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

غير أنه أكثر خطرا وأعظم غررا [١] » .

ويتصل بهذا نهى الإسلام عن التغالى فى الربح ، وعن الفحش فى الكسب ، لأن قلة الربح مع كثرة البيع تؤديان إلى وفرة المكسب مع التيسير على المسلمين ، وكان على بن أبى طالب يدور فى سوق الكوفة ويقول : « معاشر التجار ، خذوا الحق تسلموا ، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره » .

ومن صفة أهل القرآن فى تجارتهم أنهم يضبطون الكيل والوزن والقياس ، لأن ربهم تبارك وتعالى يحذر أشد التحذر من التطفيف فى هذه الأمور ، فيقول : « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » ، ويقول : « والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » ، ويقول النبى لأصحاب المكيال والميزان : « إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الأمم السابقة قبلكم » ، أى فاحذروا البخس فى ذلك ، وإلا هلكتم كما هلك السابقون .

ولأن التجارة متصلة بالعبادة حرم الإسلام الاتجار فى الأشياء الخبيثة ، كالخمر والميتة والدم ولحم الخنزير والأصنام والأزلام والأنصاب وما أشبهها [٢] .

وقال النبى : « إن الله إذا حرم على قوم أكل شىء حرم عليهم ثمنه » .

كما حرم الإسلام (كسب البغى) وهو الكسب الناشئ عن المتاجرة بالعرض ، كما حرم (حلوان الكاهن) وهو ما يعطى لمدعى التنبؤ أو ضارب الرمل أو الودع أو ما أشبه ، وحرم كسب الربا .

وقال الرسول : « لا يبيعن أحدكم على بيع أخيه » ، أى لا يشترى على شراء [١] ، يقول ابن الأثير عن هذا الحديث : « فيه قولان : أحدهما : إذا كان المتعاقدان فى مجلس العقد ، وطلب طالب السلعة بأكثر من الثمن ليرغب البائع فى فسخ العقد ، فهو محرم ، لأنه إضرار بالغير ، ولكنه منعقد ، لأن نفس البيع غير مقصود بالنهى ، لأنه لا خلل فيه ، الثانى أن يرغب المشترى فى الفسخ بعرض سلعة أجود منها بمثل ثمنها ، أو مثلها بدون ذلك الثمن ، فإنه مثل الأول فى النهى ، وسواء كانا قد تعاقدا على المبيع أو تساوما وقاربا الانعقاد ، ولم يبق إلا العقد » [٢] .

وهذه كلها شواهد تؤكد ما أشار إليه القرآن من وجوب ارتباط التجارة بالمعنى الدينى ، حتى يكون قائدا لها ورائدا أمامها .

أحمد الشرباصى

---

[١] تفسير القرطبى ، ج ٥ ص ١٥١ .
[٢] انظر زاد المعاد ، ج ٤ ص ٢٣٩ .

[١] مفردات القرآن ، ص ٦٦ .
[٢] النهاية فى غريب الحديث ، ج ١ ص ١٠٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البيان العربي

للأستاذ علي محمد حسن العماري

اتجاه جديد نحمده للدارسين ، ذلك هو العناية بالبلاغة العربية ، وقد نشطت ـ في السنوات الأخيرة ـ الدراسات حول البيان العربي ، وإن كانت لا تزال في أول الطريق ، وتشعبت الغايات من هذه الدراسة ، فبعضها يضع منهجا لتجديد البيان العربي ، وبعضها يكتفي بالطعن على الطريقة التعليمية في هذا البيان ، وبعضها يؤرخ لنشأة البلاغة وتطورها ، وكلها جهود مشكورة تدل على ما يبذله الدارسون من جهد في سبيل التقدم بدراسة هي من أولى الدراسات بالعناية .

ومن العجيب أن كل هذه الدراسات تحوم حول المشكلة ، ولا تجرؤ على اقتحامها ، فالذي وضع المنهج لتجديد دراسة البلاغة لم يضع بابا واحدا يمكن أن نعتبره أنموذجا ، والذين نظروا في الكتب القديمة فحللوها ، وأبرزوا ما فيها من نظريات لم يحاولوا كذلك أن يقولوا لنا : ماذا نعلم للناشئة ، هل نكتفي بعرض ما كتب المتقدمون أمام أعينهم ، أم لابد أن نرشدهم إلى ضوابط تعينهم وترشدهم ، وإذا كانت الضوابط ضرورية لهذا العلم كالشأن في كل علم ، فكيف نضعها ؟

* * *

وسنتحدث في هذا المقال عن كتاب من هذه الكتب التي عنيت بتتبع خطوات البيان العربي ، وأبانت عن تصور العرب لمعناه في العصور المختلفة ، وكشفت عن مصادره الكبرى وعن الأذواق والعقول التي تضافرت على بناء هيكله حتى استقر علما واضح المعالم يمثل منزلته الظاهرة بين علوم الأدب ، ويحتل منزلته أيضا في تراث الأمة العربية في العلم والتفكير ، [1] وهذا الكتاب هو البيان العربي للدكتور بدوي طبانه .

وقد يكون من الوفاء للتاريخ ، ولهذه الدراسة بخاصة أن أثبت هنا بعض ما عرفته من هذه المحاولات .

فمن هذه الدراسات ، مقالات وبحوث نشرت في المجلات الأدبية ، كالثقافة والرسالة ، ومجلة كلية الآداب ، وصحيفة دار العلوم .

ومنها دراسات مستفيضة نشرتها مجلة الأزهر

---

[1] من مقدمة كتاب البيان العربي .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى المجلدات الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر عن كتب عبد القاهر ، وقدامة ، والآمدى ، والجاحظ ، وابن سنان ، وابن الأثير ، والباقلانى ، وعلى بن عبد العزيز الجرجانى .

ثم أخرجت المطبعة كتبا قيمة - فى هذه الدراسات - منها كتاب (من الوجهة النفسية) للدكتور محمد خلف الله ، وكتاب (بلاغة أرسطو) للدكتور إبراهيم سلامه ، وكتاب (أثر القرآن فى تطور النقد العربى إلى آخر القرن الرابع الهجرى) للأستاذ محمد زغلول سلام .

ومن أمتع هذه الكتب وأدقها كتاب (النقد المنهجى عند العرب) للدكتور محمد مندور وإن كان سبقه كتاب فى تاريخ النقد أكثر تركيزا ، وهو كتاب (تاريخ النقد الأدبى عند العرب) وقد تتبع فيه مؤلفه المرحوم طه أحمد ابراهيم ، تطور النقد العربى منذ جاهليته إلى القرن الرابع الهجرى ، وطبع الكتاب فى سنة ١٩٣٧م .

ولكل كتاب من هذه الكتب - كما أشرت آنفا - زاوية ينظر منها فيما كتبه النقاد والبلاغيون السابقون وإن كان موضوع الدراسة واحدا وهى كتب النقد والبلاغة أو بعبارة أدق هى كتب معينة دارت حولها هذه الدراسات .

وكتاب (البيان العربى) نظر فى هذه الكتب من ناحيته الخاصة ، وهو كتاب يدرس فى كلية دار العلوم ، فغايته تعليمية ، فمن الطبيعى أن يكون النظر البلاغى غالبا عليه ، وقد قال مؤلفه : « وإذا كانت طبيعة هذا البحث تقتضى أن يكون منهجه منهجا تاريخيا ، لأنه يقوم على دراسة تطور الفكرة البلاغية ، إلا أن الدراسة الفنية لم تفارقه ، فقد أبرزت قيمة البلاغة وفنونها ، وآثارها فى قوة المعنى ، أو فى صورة ذلك المعنى ، كما أن هذه الدراسة تعتمد فيما تعتمد على أسلوب الموازنة بين الفكر والآثار ، ومدى التوافق أو التخالف بينها ، وحظ كل منها من الابتكار أو التقليد ، وبيان تأثره بما قبله وتأثيره فيما بعده . وفى كل ذلك كان رأيى يطل فى تقويم تلك الجهود ، والإشادة بما يستحق منها الإشادة . ونقد ما رأيت فيه بعدا عن طبيعة البحث البيانى بعد تقرير الفكرة وتوضيحها ، وعرضها عرضا مجردا يعتمد على النص الصحيح من غير تعصب ولا هوى ، أو محاولة لتحميل النص فوق طاقته من الاحتمال [1] » .

وبهذا البيان الواضح . أبرز لنا المؤلف منهجه فى وضع كتابه ، وقد وفى بكل ما رسمه هنا ، غير أنى كنت أحب أن يطل بنظره أكثر ، لا سيما على بعض المشكلات التى وقف الدارسون عندها ، ولا يزالون يقفون ، مثل مشكلة التوفيق بين نظريتى عبد القاهر

[1] مقدمة الطبعة الثالثة ص ٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجرجانى فى اللفظ والمعنى ، وسيجىء لهذه النقطة مزيد بيان .

وقد أعجبنى من المؤلف اعتداله ، وإنصافه لعلمائنا ، وإصراره على أصالة البيان العربى ، إلا حين يقوم الدليل الحاسم على أن المؤلف احتذى أو نقل من البلاغة اليونانية . وقد عاب على بعض الباحثين من المعاصرين أنهم حكموا بالاحتذاء والتقليد لبلاغة اليونان لمجرد أنهم رأوا صفات مشتركة ، وملامح متشابهة بين البيان العربى وغيره ، أو بين طرق النظر فيه ، وطرق النظر فى غيره من الآداب الأجنبية ، واعتبر هذا بعيدا عن الإنصاف لأنه ينبغى أن ينظر إلى الأمور النظرة الطبيعية البعيدة عن آثار التحامل ، والبعيدة أيضا عن آثار الهوى والتعصب .

وقد عرض الدكتور محمد مندور فى بعض بحوثه لهذه الفكرة ، وحذر منها ، وقال : « وليس فى ميدان البحث شىء أشق من التنقيب عن المؤثرات العقلية ، ولا أخطر ، وكم ظلم الباحثون رجال الفكر بدعواهم الأخذ عن هذا أو ذاك فى غير دليل قاطع ، اللهم إلا أن يحتال الباحث نفسه فيقيم أدلة مصطنعة »[1] .

قلت : ومن هذه الأدلة المصطنعة ، ما ذكره المرحوم الدكتور إبراهيم سلامه عن تأثر الجاحظ بكتاب (الخطابة) لأرسطو ، وذلك حيث يقول مرددا القول : « وقد رجحنا أنه إن لم يكن أدرك كتاب الخطابة لأرسطو مترجما ، فقد عرف ما فيه من أفواه النقلة الذين التزموا ترجمته ، والجاحظ يلتقف الثقافة من الفم والعقل ، كما يلتقفها من الكتب ومن أسواقها »[1] .

وهذا دليل لا ينتهى العجب منه .

وقد وقع صاحب البيان العربى فى شىء من هذا ، حين قال تبعا لأستاذه إبراهيم سلامه بعد أن ذكر مناظرة أبى سعيد السيرافى ، ومتى بن يونس حول النحو العربى والمنطق اليونانى ، وانتصار أبى سعيد للنحو العربى : « وتلك هى حقيقة الأفكار التى تبناها عبد القاهر ، وصاغ منها كتابه دلائل الإعجاز »[2] .

ومن قبل قال الدكتور إبراهيم سلامة : « عرضنا لهذه المناقشة بشىء من التفصيل لأهميتها فى اتجاه عبد القاهر الجرجانى ، الذى جعل مدار كتابيه « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » حول محور هذه المناقشة (النحو والمعنى) وما المعنى الذى أشاعه فى الكتاب الثانى وجعله قرين اللفظ بل المتحكم فيه إلا المعنى العقلى الخاضع للمنطق البرىء من التناقض والإحالة » .

---

[1] مجلة الثقافة ص ١٢ العدد ٢١٩ . فى بحث تحت عنوان (النظم عند الجرجانى) .

[1] بلاغة أرسطو ص ٣٩٦ .

[2] البيان العربى ص ١٦٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فالمؤلمان يريان ان عبد القاهر اطلع على هذه المناظرة ، وصاغ منها كتابيه ، ولو أردنا التعبير الدقيق عن هذا الموضع لقلنا إن هذا مجرد فرض .

أولا لأنه ثابت فى تاريخ عبد القاهر أنه لم يخرج من بلده جرجان . وليس تبادل المعلومات فى ذلك الزمان من السهولة بحيث يصل إلى عبد القاهر فى القرن الرابع ما جرى من مناظرة فى النحو فى القرن الثالث .

وثانيا لأن عبد القاهر كان إماما فى النحو ، حتى إنه كان يلقب بالنحوى ، وله فيه مؤلفات عظيمة ، وله آراء انفرد بها ، وتنسب إليه فى كتب النحو المتأخرة . فلو فرضنا أن هذه المناظرة وصلت إلى عبد القاهر . فمن الظلم للرجل أن نقول إنه (صاغ منها كتابيه) إلا ما أشار إليه الدكتور مندور من اصطناع الأدلة .

كما أعجبنى فى المؤلف ، بعض تعليقات دلت على دقة فى الفهم ، وحسن فى الإدراك ومن هذه التعليقات ، رده على ابن فارس ، فى نقده لابن قتيبة فقد قال ابن قتيبة فى قوله تعالى : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » إن هذا دعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع ، فقال ابن فارس : وهذا وإن أشبه ما تقدم ذكره من الأمثلة فإنه لا يجوز لأحد أن يطلق فيما ذكره الله أنه دعاء لا يراد به الوقوع ، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم ، فكان كما أراد ، لأنهم قتلوا وأهلكوا . وقوتلوا ولعنوا . وما كان الله ليدعو على أحد فتحيد الدعوة عنه .

قال المؤلف : ولا شىء على ابن قتيبة فى هذا لأنه انظر إلى القرآن نظرة مجردة ، وقاسه على سنن العرب فى كلامها واستعمالها ، أما ابن فارس فإنه ينظر نظرة دينية ، ويرى أن مثل هذا الإطلاق لا يصح أن يقال فى كلام الله أو يوصف به دعاؤه . والحقيقة أن الله تعالى ليس فى حاجة إلى هذا . وإنما هو أسلوب ألفه الفصحاء ، فجاء على منواله التعبير .

وكتعليقه على تحليل عبد القاهر لقوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ... » الآية (ص ١٧٠) .

وكذلك مشيت لمحاولته التقريب بين قواعد البلاغة النظرية وبين النقد الأدبى ، وصناعة الأدب . حتى لا تكون البلاغة بمعزل عما خلقت له ، وهو درس الأدب وفهمه ، وتذوقه ونقده ، وهذا الاتجاه — كما يقول — يعيد على البيان شيئا من عظمته ، ويحفظ عليه حياته وجدته .

وكم كنت أتمنى أن يحقق المؤلف هذه الغاية ، وليس تحقيقها — فيما أرى — بأن نؤرخ لتطور البيان ، وعمل العلماء السابقين فيه ، ولكن تحقيقها يكون بأن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نصوغ قواعد البيان من جديد فى ظل القواعد والضوابط التى يمكن أن نستخلصها من هذه الكتب ، والذى أصل الجزء الأكبر منها السكاكى ومدرسته . فكل ما أخذناه على هذه الضوابط ، وأخذه غيرنا أنها (جافة) أى أنها لم تصغ فى ظل النصوص الأدبية الكافية .

وعندنا أمران لا ثالث لهما إما أن نضع ضوابط جديدة لهذه العلوم (علوم البلاغة) وهذه الضوابط أمر لابد منه — كما يقول الأستاذ الزيات : (على أن الطبع والقريحة لا يغنيان فى البلاغة عن الفن ، وإذا كانت القواعد هى النتائج التى استنبطتها الأذهان القوية من وسائل الطبيعة وطرقها على طول القرون ، فإن الشأن فى البلاغة يجب أن يكون هو الشأن فى سائر الفنون التى اخترعتها الغريزة وأصلحتها التجربة ورقاها المران . فعلم البيان — إذن — هو الجزء النظرى من فن الإقناع ، والبلاغة هى الجزء العملى منه ، هو بنهج الطريق ، وهى تسلكها ، وهو يسهل الوسائل ، وهى تملكها . وهو يرشد إلى الينبوع ، وهى تغترف منه . والقواعد البيانية لم يضعها الواضعون إلا بعد أن رجعوا إلى أصول الأشياء ، ودرسوا علائقها بالنفس والحس ، وعرفوا نتائج هذه العلائق من الألم واللذة ، ثم استخلصوا من تجارب العصور المستنيرة النتائج الصحيحة ، ثم صاغوها قواعد . وقالوا بأنها أمثل الطرق لإحسان العمل دون أن يخضعوا قريحتك لها ، ولا أن يسمحوا لهواك بالخروج عنها . فإن بين الاستبداد والفوضى نظاما هو أحق أن يؤثر ويتبع[1] .

وهذه القواعد الجديدة — على الرغم من التصحيحات المتابعة — لم نضعها ، وما أظننا حين نضعها نستغنى عن قواعد (السكاكى) ومن حذا حذوه .

وإما أن نصوغ هذه القواعد التى بين أيدينا صياغة جديدة ، ونلتمس لها من كتب النقد والأدب شواهد جديدة . وحينئذ نكون قد قاربنا حقا بين قواعد البلاغة النظرية وبين النقد الأدبى وصناعة الأدب . وهذا ما لم يفعله المؤلف .

على أن المؤلف ، ومن سبقوه ، وإن جهدوا جهدهم فى خدمة البيان العربى ، وقفوا عند مباحث علم البيان ، وقليل من مسائل علم المعانى وعلم البديع ، ويكفى أن هذا الكتاب الضخم الذى يدرس فى كلية مهمتها أن تخرج مدرسين للغة العربية خلا خلوا يكاد يكون تاما من الإشارة إلى فصول فى علم المعانى ، لأن الكتب التى عنى بدراستها لم تدون هذه

---

[١] دفاع عن البلاغة ص ١٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفصول ولأنه ليس من اليسير هضم هذه المسائل ، كما تيسر لكثيرين هضم مسائل علم الحياة .

ولقد رأينا المؤلف حين وصل إلى البلاغة السكاكية أجملها فى فصل . ولم يشر إلى جهود أتباع هذه المدرسة لأنه يراهم مقلدين فى البلاغة ، مع أن دراستهم تعيننا على فهم البلاغة النظرية ، وهذا ما عنيت فى كتابى (تاريخ البلاغة العربية) الذى ترجم لأشهر المؤلفين فى البلاغة ، وبين طرائقهم فى التأليف ، وعنى بصفة خاصة برجال المدرسة السكاكية الذين أهمل شأنهم الباحثون ، حتى أصبح متعلمونا لا يعرفون عن الخطيب والسعد والسيد والأيجى إلا أسماءهم ، وحين يصدر هذا الكتاب سيتم هذه السلسلة التى وقف أكثرها عند القرن الرابع ، وبعضها كالكتاب المؤلف قفز إلى العصر الحديث . فتحدث عن أهم ما كتب فيه عن البلاغة ، ولكنه ترك فترة طويلة من الزمن دون أن يكشف الدور الهام الذى قام به رجالها فى خدمة البلاغة النظرية .

وأنا ـ فى الحقيقة ـ معجب بما يكتبه الدكتور طبانة فى البلاغة والنقد ، غير أنى أحببت أن أقف معه وقفة قصيرة فى كتابه هذا (البيان العربى) لعل صدر المؤلف الفاضل لا يضيق بها ، فإننا ما نبغى إلا خدمة تراثنا المجيد ، والكشف عن مقوماته .

١ ـ أشار المؤلف فى مقدمة كتابه إلى صنيع بعض الكاتبين ، وإفادتهم من كتابه دون أن يشيروا إليه قال : « وقد أفاد بعض الكاتبين ، من خطة هذا الكتاب ومنهجه ، كما أفادوا مما أثار من فكر وآراء حول هذا البيان ، ومن المادة التى بذلنا فى تحصيلها جهوداً يعلم الله مداها من غير أن يكلفوا أنفسهم أقل ما تقتضيه أمانة العلم وأيسر ما يقتضيه واجب رعاية الحق من إشارة إلى هذا البحث الذى شق لهم الطريق » .

وإنه لشىء يؤسف له حقا أن يستفيد باحث من منهج كتاب ومن آراء مؤلفه دون أن يكلف نفسه الإشارة إليه .

ولكن ألا يوافقنى الدكتور أنه وقع فى الغلطة نفسها ، إن بحوثا وكتبا نشرت قبل أن يخرج المؤلف كتابه ، وفى هذه البحوث والكتب نفس المنهج ، ونفس الآراء ، ومع ذلك فقد راجعت ثبت المراجع التى ذكرها المؤلف فلم أجد فيها ذكرا لهذه الكتب .

وقد أشرت فى أول هذا البحث إلى بعض هذه الكتب ، ونسيت أن أذكر أقدمها . وهو كتاب (النثر الفنى فى القرن الرابع) الذى وضعه الدكتور زكى مبارك ، وقد تحدث فيه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن بعض هؤلاء العلماء ، وعن مؤلفاتهم التى تحدث عنها مؤلف البيان العربى .

ولكن هل أشار المؤلف إلى هذا الكتاب وهل أشار إلى الكتب الحديثة التى سبقته فى هذه الدراسات . وإلى هذه البحوث التى نشرت فى مجلة الأزهر ، والتى لا نجد فكرة فى كتابه ولا تحليلا - إلا ما قل - يخرج عما كتبه هؤلاء الكتاب ، فى مؤلفات معينة تعرض لها المؤلف . على أن هذه البحوث أوسع وأشمل مما كتبه صاحب البيان العربى .

إنى لم أجد - فى المراجع - ذكرا لكتاب بلاغة أرسطو ، وهو كتاب أستاذ من أساتيذ المؤلف والموافقة بينهما واضحة فيما حللا من كتب مشتركة . بل لم أجد المؤلف أشار فى المراجع إلى أحد من المعاصرين إلا لأستاذين اثنين . الأستاذ أحمد الشايب ، والأستاذ أمين الخولى ، أفيكون معنى ذلك أن المؤلف لم يطلع على جهود أحد من المعاصرين غير هذين أو أنه اطلع ، ولم يستفد شيئا . ؟

لئن كان الأول فإنى أعده قصورا من مؤلف فى عصر لم يراجع جهود الباحثين المعاصرين فيه . ولئن كان الثانى ، فإنى أعجب كيف يسبقك كاتب برأى ، ثم تعيد أنت رأيه ، وتدعى بعد ذلك أنك لم تستفد منه .

فلم يبق إلا الفرض الثالث ، وهو أن المؤلف اطلع على كل ما كتبه المعاصرون حول موضوعه ، أو على بعضه ، وأفاد مما قرأ ، ولكنه لم يكلف نفسه الإشارة إلى هذه المراجع .

إن المؤلف ينبئنا فى مقدمة الطبعة الأولى أنه كتبها فى سنة ١٩٥٥ م ومعنى ذلك أنه سبق بكتب وبحوث كثيرة .

فالدكتور زكى مبارك أخرج كتابه سنة ١٩٣٤ م وأنا لا أعتقد أن كاتبا يكتب فى البلاغة العربية - سيما إذا كان أستاذا فى جامعة - أو فى الأدب العربى لم يقرأ هذا الكتاب ولم يستفد منه .

والدكتور محمد مندور أخرج كتابه فى سنة ١٩٤٨م ، وقد تحدث فيه حديثا مستفيضا عن ابن المعتز وقدامة ، والآمدى ، والجرجانى والعسكرى ، وعبد القاهر ، كما تحدث عن موضوعات تتصل بالبيان العربى .

والأستاذ زغلول أخرج كتابه سنة ١٩٥٢م وفيه تحدث عن أكثر الكتب التى عرض لها مؤلف البيان العربى ، وحللها .

والذين كتبوا فى مجلة الأزهر نشروا دراساتهم ما بين سنتى ١٩٤٢ ، ١٩٤٥ م .

فهل من حقنا أن نقول للمؤلف إنك استفدت من كل هذه الدراسات ولكنك لم تشر إليها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الواقع أنى — وإن لم أعرف المؤلف شخصياً — حسن الظن به إلى حد كبير ، فلعل له عن هذا الاعتراض جوابا لا يحضرنى .

وقد رأيت — قبل أن أوجه هذا الاعتراض للمؤلف — أن أختار فصلا من كتابه ، ثم أواجهه فيما كتب قبله ، فاخترت حديثه عن أبى هلال العسكرى .

رأيته يذكر أن أبا هلال من مدرسة الجاحظ التى تفضل الصياغة (ص ١١٩) وأنه عنى بدراسة السرقات الأدبية (ص ١٢٠) وأن الكتاب زاخر بالدراسات النقدية (ص ١٢٣) وأن أبا هلال كان غزير العلم — ولم يتحدث عن إعجاز القرآن فى الكتاب مع أنه ذكره فى المقدمة . وأنه تناول البلاغة بروح أدبية ، وأخيراً قال : (ويمكن القول بأن كتاب الصناعتين يمكن أن يعد نقطة تحول فى الدراسات البيانية والنقدية ، وأنه جنح بتلك المعالم الذوقية اتجاها قاعديا بما وضع من أسس فن البلاغة التى يعد كتابه من أهم مصادرها) .

أما الدكتور مندور فإنه يمتدح منهج العسكرى فى السرقات ويقول إنه وضع لهذه المشكلة أصدق حل (ص ٣٢٤) وأن كتاب الصناعتين يمثل الأوج الذى وصل إليه مذهب البديع (ص ٣٢٥) وأن العسكرى لجأ إلى التقنين (ص ٣٢٢) وأنه استمرار لقدامة بل بعث له ، وإن له دراية بالأدب العربى شعره ونثره (ص ٣١٥) . وأخيراً يقرر فى غير مواربة أن كتاب العسكرى كان نقطة تحول النقد إلى بلاغة ، بل يجعل هذه العبارة عنوانا من عناوين كتابه

فنحن لا نرى المؤلف زاد شيئا عما ذكره الدكتور مندور ، وكل ما بينهما من خلاف أن المؤلف يقول عن أبى هلال : إن ذوقه أدبى رفيع (ص ١٢٠) وأن دراساته تعتمد على الفهم الدقيق والذوق الخبير بصناعة الأدب (ص ١٢٣) فى حين يرى الدكتور مندور أن العسكرى سقيم الذوق (ص ٣٢٣) وأنه يورد الأمثلة من نثر الصاحب بن عباد المسجوع السقيم ومن نثره هو نفسه الذى لا يقل سقما عن نثر الصاحب (ص ٣٢٥) ، ويرى أن سبب فساد ذوق أبى هلال يرجع إلى فرط إعجابه بالبديع وأوجهه ، ويضرب لذلك أمثلة فى (ص ٣٢٤) .

أما زكى مبارك فيعد نثر أبى هلال من الطبقة العالية ، وتعابيره من التعابير المشرفة ، ويراه من الشعراء المجيدين ، ويرى أن كتابه الصناعتين ، كتاب جيد نادر المثال وهو كتاب أدب قبل أن يكون كتاب نقد ، وأن شخصية أبى هلال قوية جذابة .

والملاحظة التى لاحظها المؤلف ، من أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما هلال (قد ذكر فى أول كتاب بالصناعتين أثر معرفة علم البلاغة فى إثبات إعجاز كتاب الله تعالى) ولكنه (لم يبحث فى كتابه شيئا ذا بال فى القرآن أو فى إعجازه) هذه الملاحظة هى التى لاحظها أستاذه ابراهيم سلامه حيث يقول : (يبين أبو هلال فى أول كتابه عن غرض دينى هو معرفة الإعجاز فى القرآن الكريم ... ولكنه بعد هذه المقدمة يهمل هذه الناحية تماما ، فيأتى على كتابه كله من غير أن يتعرض للإعجاز إلا فيما يورده من الأمثلة القرآنية على سبيل الاستشهاد بالآيات إلى جانب الأبيات من الشعر والعبارات من النثر إلا فى الأقل النادر) [١] .

فنحن نرى أنه اقتفى أثر أستاذه بل تابعه متابعة حرفية ، حتى إنه قال بعد العبارات التى نقلناها : (واكتفى بالاستشهاد بآية فى فنون الكلام ومحاسنه كما استشهد بغيره من مأثور المنثور والمنظوم) . فهل نجد فرقا بين عباراته هذه وما سبقها فى هذه الملاحظة وبين عبارات أستاذه ؟ .

ينبغى أن نعترف بأن أى مؤلف ينتفع بالدراسات التى سبقته فى موضوعه ولا عيب على المؤلف فى ذلك ، ما دامت مجهوداته معروفة ومشكورة فى فنه ، ولكن العيب هو إغفال الإشادة بالآخرين .

(للحديث بقية)

على محمد حسن العمارى

[١] بلاغة أرسطو ص ٥٧ .

من الشعر الجيد

قول محمود سامى البارودى :

أود وما ود امرئ نافعا له ... وإن كان ذا عقل إذا لم يكن جد

وما بى من فقر لدنيا ، وإنما ... طلاب العلا مجد ، وإن كان لى مجد

وكم من يد لله عندى ونعمة ... يعض عليها كفه الحاسد الوغد

أنا المرء لا يطغيه عز لثروة ... أصاب ، ولا يلوى بأخلاقه الكد

أصد عن الموفور يدركه الخنا ... وأقنع بالمبسور يعقبه الحمد

ومن كان ذا نفس كنفسى تصدعت ... لعزته الدنيا ، وذلت له الأسد

ومن شيمى حب الوفاء سجية ... وما خير قلب لا يدوم له عهد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دراسات فى علم المعنى

« السيمانتيك »

للدكتور كمال بشر

— ٤ —

لقد كشفنا فى البحث السابق [١] عن آراء بعض اللغويين فيما يتعلق بمكانة علم المعنى فى الدراسات اللغوية وعلاقته بغيره من فروع علم اللغة ، وسوف نحاول الآن أن نكمل ما بدأناه فنأتى على وجهات نظر أخرى فى الموضوع نفسه ، حتى تتبين لنا حقيقة الأمر فى هذه القضية التى تلزم معرفتها قبل الدخول فى أية تفصيلات ، وذلك لأن هذه القضية — فى نظرنا — هى الأساس الذى تبنى عليه مناهج البحث المختلفة التى يتبعها العلماء فى دراسة هذه التفصيلات نفسها ، أو بعبارة أخرى ، إن التعرف على آراء الدارسين إزاء هذه القضية هو السبيل الأول إلى فهم كل ما يعرضون له من مشكلات فرعية تتعلق بالمعنى اللغوى .

وقد رأينا أن نقصر كلامنا هنا على ماذهب إليه فى هذا الشأن عالمان مشهوران ، هما أولمان Ullmann وفيرث Firth ، وبذلك يتم لنا الوقوف على تلك الآراء التى تمثل المدارس الرئيسية فى التفكير اللغوى بوجه عام وفى مشكلات المعنى بوجه خاص .

يقرر أولمان أن خير سبيل إلى تحديد مكانة علم المعنى فى الدراسات اللغوية ، وإلى معرفة الفروع المختلفة التى يمكن أن يتكون منها علم اللغة إنما يتحقق بالنظر فى طبيعة الرموز اللغوية أو الوحدات التى يتألف منها التركيب اللغوى وهذه الرموز أو الوحدات التى يعنيها أولمان هى رموز ووحدات من نوع معين ، تقتضى معرفتها الوقوف على أساس مهم من أسس البحث التى لم يتبعها هذا العالم فى معالجة هذه القضية فحسب ، بل اتبعها كذلك فى معالجة غيرها من القضايا اللغوية بوجه عام .

هذا الأساس هو ما ذهب إليه من وجوب التفريق بين جانبين من جوانب الكلام الإنسانى .

الجانب الأول هو ما سماه دى سوسير de Saussure — رائد هذه الفكرة الثنائية — «الكلام» parole ، والجانب الثانى «اللغة»

---

[١] انظر العدد السابق من هذه المجلة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

langue . والرأى عند هذين العالمين ـ كما هو الرأى عند جميع أتباع هذه المدرسة ـ أن الكلام شيء فردى ، ومادته الأحداث اللغوية الحقيقية ، أى الأصوات والكلمات والعبارات والجمل المنطوقة المسموعة بالفعل ، وهذه المادة المنطوقة المسموعة على اختلاف أنواعها تترك فى إثرها مجموعات من الآثار أو الصور العقلية التى تنطبع وتستقر فى ذهن الجماعة اللغوية المعينة ، وهذه الآثار أو الصور التى تمثل الأحداث اللغوية ومدلولاتها معاً ـ هى مادة اللغة التى يتم بها التفاهم فى المجتمع المعين (١).

ومعنى هذا أن هناك فرقا بين مادة الكلام ومادة اللغة . أو بعبارة أخرى ، إن رموز الكلام ووحداته تختلف عن رموز اللغة ووحداتها ، فالوحدات الأولى تتسم بالطابع المادى أما الثانية فهى وحدات عقلية أو ذهنية . والوحدات التى يعنيها أولمان فى هذا المجال والتى يبنى عليها رأيه هنا هى وحدات اللغة لا وحدات الكلام ، وذلك لأن اللغة عنده ـ وعند جميع من نهجوا نهجه ـ هى موضوع البحث فى علم اللغة ، وهى هدف الدارسين جميعا . أما الكلام فهو شيء ثانوى ولا يعنى به اللغويون إلا بوصفه وسيلة لا غاية فى ذاته ، أى أنهم إذا أقدموا على دراسة هذا الكلام إنما يفعلون ذلك لا رغبة فى التعرف عليه وعلى خصائصه ، وإنما يهدفون إلى اللغة وحقائقها من خلال دراسته .

ووحدات اللغة عند أولمان ـ طبقا للمفهوم الذى أشرنا إليه سابقا ـ تتكون من ثلاث مجموعات ، هى :

(أ) الوحدات الصوتية أو ما يسمى بالفونيمات phonemes .

(ب) الكلمات أو بعبارة أدق ، الصور الذهنية للكلمات word-engrams .

(ج) التراكيب أو بعبارة أدق ، الصور الذهنية لهذه التراكيب syntagmas .

وهذه الوحدات من الممكن دراستها والنظر فيها من نواح أو زوايا ثلاث ، لا يعنينا منها فى هذا المقام إلا اثنتان فقط ، هما :

(أ) وظيفة هذه الوحدات .

(ب) التركيب الداخلى لهذه الوحدات .

فوظيفة الفونيمات (ومفردها فونيم) التفريق بين الكلمات أو بين معانى هذه الكلمات ، وذلك كالتفريق الذى نلاحظه بين « كال » و « جال » مثلا . بسبب وجود الفونيم المسماة « كافا » فى الكلمة الأولى و « جيما » فى الكلمة الثانية . ووظيفة الكلمات هى الدلالة أو استدعاء الفكر أو صور الأشياء المشار إليها بهذه الكلمات . أما وظيفة التراكيب

(1) See Ullmann, The principles of Semantics, pp. 27-8.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهى الإفصاح عن العلاقات بين الأشياء التى تمثلها الكلمات التى تتكون منها هذه التراكيب .

ثم يقرر أولمان بعد ذلك أننا إذا نظرنا إلى هذه الوحدات من الناحية الأولى ـ أى من ناحية الوظيفة ـ وجب علينا أن نقسم علم اللغة ثلاثة فروع رئيسية ، كل فرع منها يقابل مجموعة معينة من هذه الوحدات ، ويعنى بدراستها والنظر فيها . هذه الفروع الثلاثة هى :

(ا) علم الأصوات التنظيمى phonolgy

(ب) علم الكلمات lexicology .

(ح) علم النحو أو علم العلاقات اللغوية syntax .

فعلم الأصوات التنظيمى هو الذى يقابل الوحدات الصوتية أو الفونيمات ، وهو الذى يختص ببحثها وتحديد وظائفها فى اللغة . وعلم الكلمات وظيفته البحث فى الكلمات ومشكلاتها . أما النحو فمبحثه التراكيب وهدفه بيان العلاقات بين مفردات هذه التراكيب .

ولكن هذا التقسيم الثلاثى لفروع علم اللغة سوف يتعرض لشىء من التغيير أو التعديل ، إذا ما نظرنا إلى وحدات اللغة من زاويتها الثانية ، وهى زاوية تركيبها الداخلى . يرى أولمان أن وحدات اللغة ، أو بعبارة أدق ، أن وحدات المجموعتين الأخيرتين منها ـ وهى الكلمات والتراكيب ـ لها جانبان ، أحدهما الجانب الخارجى أو الدال signifiant على حد تعبير دى سوسير ، وثانيهما جانب المعنى أو المدلول signifié ، وهذان الجانبان قد يطلق عليهما أحيانا الصيغة والمعنى أو القالب والمضمون . وهذه الثنائية فى عناصر هذه الوحدات تقتضى حتما ثنائية تقابلها فى العلم الذى اختص بدراستها . ومن ثم كان من الضرورى تفريع كل من علم الكلمات وعلم النحو فرعين اثنين . فعلم الكلمات يتفرع إلى علمى الصرف المعجمى ، والمعنى المعجمى ، أما علم النحو فيندرج تحته علم الصرف النحوى وعلم المعنى النحوى .

ولكن هذا التقسيم الثنائى لعناصر وحدات اللغة لا يطبق ـ عند أولمان ـ على الوحدات الصوتية أو الفونيمات ، وذلك لأنها ـ فى نظره ـ خالية من عنصر المعنى . وليس لها من وظيفة إلا مجرد التفريق بين الكلمات . فهى إذن وحدات ذات عنصر واحد ، ولا تحتمل التشقيق والتنويع ، ومن ثم لا تقتضى تفريعا فى العلم الذى يقوم بدراستها ، وهو علم الأصوات التنظيمى .

والنتيجة التى وصل إليها أولمان من هذا كله هى أن النظر فى وحدات اللغة من الناحيتين السابقتين معاً ـ وهما ناحية الوظيفة وناحية التركيب ـ يؤدى حتما إلى تفريع علم اللغة على الوجه التالى :

(ا) علم الأصوات التنظيمى .

(ب) علم الكلمات :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١ - علم الصرف المعجمى
lexical morphology
٢ - علم المعنى المعجمى
lexical semantics

(ج) علم النحو :

١ - علم الصرف النحوى
syntactic morphology
٢ - علم المعنى النحوى
syntactic semantics

ويرى أولمان أن هذا التفريع من أقرب التفريعات إلى المثالية والكمال ، وأن منطق الأشياء يشير إلى ضرورة الأخذ به ؛ لأن فيه — على حسب ما يفهم من كلام هذا الباحث — ما يقابل حاجة اللغة وما يشبع رغبة الدارس المدقق فى الحصول على مناهج علمية واضحة الحدود والمعالم : مناهج تيسر له سبيل البحث فى الظواهر اللغوية المختلفة بحثاً لا خلط فيه ولا اضطراب .

ومهما يكن الرأى فى مثالية هذا التقسيم أو عدم مثاليته ، ومهما تكن نظرتنا إلى الأسس والمبادئ التى بنى عليها ، فإنا نستشف منه أن صاحبه قد عنى بعلم المعنى عناية فائقة ، وأنه لم يأل جهداً فى إبراز هذه الأهمية وتأكيدها . فهو — وإن لم يجعل هذا العلم قسيماً للفروع الرئيسية ومقابلا لها — قد أوجب على الدارسين تناوله والتعرض له فى مرحلتين اثنتين : المرحلة الأولى عند ما يكون البحث فى المعنى على مستوى الكلمة المفردة ، وهذه المرحلة من اختصاص « علم المعنى المعجمى » وهو ذلك العلم الذى عينه أولمان لدراسة معانى الكلمات دراسة عامة ، على نحو ما هو معروف ومألوف فى صناعة المعجمات . ومن الواضح أن علم المعنى المعجمى إنما يعنى بناحية المعنى أو المضمون أو المدلول فقط ، أما الناحية اللفظية المحضة فيتولى شأنها قسيمه الآخر فى التفريع السابق وهو « علم الصرف المعجمى » . فهذا العلم الأخير إنما يركز كل اهتمامه على البحث فى أصول الكلمات وفى طرق تركيبها واشتقاقها وما إلى ذلك من قضايا خاصة باللفظ أو الدال signifiant ، كما يحلو لبعض الباحثين أن يسموه .

أما المرحلة الثانية التى تتعرض فيها لعلم المعنى فتتمثل فى دراسة المعنى على مستوى العبارة والجملة . وهذه المرحلة هى مجال البحث فيما سماه أولمان « علم المعنى النحوى » ويعنى به ذلك العلم الذى يتولى الكشف « عن وظائف الوسائل النحوية المختلفة التى تستعملها اللغة للإفصاح عن العلاقات بين الأجزاء أو الوحدات المكونة للجملة أو العبارة . ومن هذه الوسائل التنغيم أو موسيقى الكلام ، وطرائق نظم هذا الكلام ، والسوابق واللواحق التى تغير المعنى الأساسى للكلمة ، وكذلك الأدوات على اختلاف أنواعها ، كحروف الجر

وحروف العطف إلخ . ومن وظائف علم النحو أيضا « بيان المعانى النحوية لأنواع الكلمة » ، كالأسماء والأفعال والأدوات ، وبيان « الدلالات التى تنبئ عنها أجزاء الجملة »[1] ، كالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وكذلك يدخل فى نطاق هذا العلم البحث فى الوحدات العليا للغة ، كالنظر فى أنواع الجمل ، من استفهامية وإثباتية مثلا . وكالنظر فى هذه الجمل من حيث استقلالها أو اعتمادها على غيرها وارتباطها به . ومن البديهى أن وظيفة هذا العلم مقصورة على بيان جانب المعنى النحوى أو الوظيفة النحوية للوسائل أو الوحدات التى تتألف منها العبارات والجمل . أما جانبها اللفظى فهو من اختصاص « علم الصرف النحوى » ، وهو ذلك العلم الذى تنحصر وظيفته فى بيان نوع هذه الوسائل والوحدات ، والكشف عن خصائصها المميزة لها من الناحية اللفظية أو الصرفية المحضة .

من هذا يتبين لنا أن أولمان قد وزع مباحث المعنى اللغوى على فرعين اثنين من فروع علم اللغة ، ولم يقصرها على فرع واحد ، كما فعل غيره من الدارسين . والفرع الأول منهما — وهو علم المعنى المعجمى — هو فى الواقع ما تعنيه بعض المدارس الأخرى بالمصطلح المشهور : علم المعنى أو السيمانتيك Semantics ، فهذه المدارس حين تستعمل هذا المصطلح لا تعنى به إلا ذلك العلم الذى يعنى بدراسة معانى الكلمات على مستوى المعجم ، سواء أكانت هذه المعانى معانى أساسية أو أولية أم معانى فرعية أو ثانوية .

أما ذلك الفرع الآخر الذى سماه أولمان « علم المعنى النحوى » ، والذى قرر أن وظيفته هى بيان العلاقات بين عناصر الجملة وبيان المعانى النحوية لهذه العناصر — أما ذلك الفرع فلا يدخل فى مفهوم المصطلح « سيمانتيك » عند أصحاب هذه المدارس : إن هذا الفرع يقابل ما يعرف عندهم « بعلم النحو » بمعناه الفنى المعروف لدى أغلبية اللغويين . على أن الناظر المدقق فى وظيفة علم النحو عند هؤلاء ووظيفة علم المعنى النحوى عند أولمان سوف لا يجد فروقا جوهرية بين هذين العلمين ، وإنما تتمثل الفروق فى بعض القضايا الجزئية التى ترجع فى أساسها إلى ثلاثة عوامل رئيسية هى :

(١) اختلاف الدارسين فى المبادئ التى ينبنى عليها تقسيم علم اللغة إلى فروعه المختلفة كمبدأ التفريق أو الفصل بين جانب اللفظ وجانب المعنى للكلام الإنسانى ، أو عدم الفصل بينهما ووجوب النظر إلى الحدث اللغوى على أنه وحدة متكاملة .

---

[١] انظر أولمان : المرجع السابق ص ٣٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(٢) اختلاف وجهات نظرهم فى مكانة علم المعنى فى الدراسات اللغوية، وفى وظيفة هذا العلم.

(٣) اختلاف الرأى فى تحديد معنى « المعنى » نفسه.

والحق أن أولمان نفسه قد صرح أكثر من مرة بأن المصطلح « سيمانتيك » حين يستعمل استعمالا عاما أى بدون ذكر صفة تحدد المقصود منه وتعينه، يجب أن يؤخذ على أن المراد به إنما هو الفرع الأول فقط وهو علم المعنى المعجمى. أما إذا كانت الدراسة تعنى ببيان العلاقات بين أجزاء الجملة، وببيان المعانى النحوية لهذه الأجزاء، فعلى الدارس حينئذ أن ينص صراحة على أن المقصود هو علم المعنى النحوى أو السيمانتيك النحوى. وكل ما يعنيه أولمان بهذا التفسير هو مجرد وجوب تحديد المراد بالمصطلح « سيمانتيك » حين استعماله، لا وجوب قصره على فرع واحد من الدراسات اللغوية كما فعل أتباع المدارس الأخرى.

وهذا الإيضاح الأخير يقودنا إلى القول بأن نظرة أولمان إلى علم المعنى وإلى مكانته فى الدراسات اللغوية تلتقى - أو تكاد تلتقى - مع نظرة بلومفيلد إلى الموضوع نفسه. ويظهر هذا الالتقاء أو التشابه بين النظرتين فيما لو قارنا بين مسلكى هذين العالمين تجاه الميادين اللغوية التى يرى كل منهما أنها تنضوى تحت لواء علم المعنى. يرى بلومفيلد - كما سبق بيانه فى موضعه[1] - أن هذا العلم يتفرع ثلاثة فروع هى ما سماها: المعجم، الصرف، النحو، ويذهب أولمان إلى تقسيمه قسمين اثنين هما: علم المعنى المعجمى وعلم المعنى النحوى. فالمعجم عند بلومفيلد يقابل علم المعنى المعجمى عند أولمان، والنحو عند الأول يقابل علم المعنى النحوى عند الثانى. وجدير بالذكر أن كلا من الفرعين المتقابلين يتفق مع الآخر فى وظيفته ومجال اختصاصه، وليس بينهما من فرق إلا فى التسمية، وإلا فى بعض القضايا الجزئية التى يرجع الخلاف فيها إلى بعض المبادئ الخاصة بمناهج البحث اللغوى عند كل منهما. وهذه المبادئ نفسها هى التى دفعت بلومفيلد إلى أن يجعل « الصرف » - بالمفهوم الذى ارتضاه هو - فرعا من فروع علم المعنى. ومهما يكن الأمر فمن الواضح أن كلا من هذين اللغويين قد اهتم بعلم المعنى اهتماما فائقا. وحاول جاهدا توسيع دائرته ومجالاته بحيث يشمل جوانب لغوية هى فى الواقع من اختصاص علوم أخرى مستقلة عن علم المعنى. فعلم النحو مثلا، أو ما سماه أولمان علم المعنى النحوى لا يدخل فى نطاق السيمانتيك بالمعنى الذى يرتضيه من يعتد بآرائهم من اللغويين

---

[1] انظر العدد السابق من هذه المجلة: ص ١٣٨٢، ١٣٨٣.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المعاصرين ، وكذلك الصرف ليس من السيمانتيك فى شىء عندهؤلاء اللغويين وغيرهم.

وكذلك يظهر الاتفاق بين أولمان وبلومفيلد فى قضية أخرى لا تتصل بعلم المعنى وحده ، وإنما تتعلق بجميع فروع الدراسات اللغوية كما تتعلق بالمبادئ التى ينبنى عليها تفريع هذه الدراسات إلى تلك الفروع . هذه القضية تتمثل فى نظرتهما إلى الحدث اللغوى (كلة كان أو جملة أو عبارة) كما لو كان مكوناً من جانبين أو عنصرين متميزين ومنفصلين : أحدهما عنصر اللفظ أو الدال أو القالب والثانى عنصر المعنى أو المدلول أو المضمون . ويشهد على إيمانهما بهذه النظرة ذلك المسلك الذى سلكاه فى تقسيم علوم اللغة . فقد حرص كل منهما على تقسيم هذه العلوم بطريقة تضمن ـ بل تؤكد ـ تخصيص بعضها لدراسة الجانب الأول وهو جانب اللفظ ومرادفاته ، وبعضها الآخر للبحث فى الجانب الثانى وهو جانب المعنى أو المدلول أو المضمون . ولسنا نظن أن هناك سببا آخر دفع بيلومفيد إلى تقسيم علم اللغة قسمين رئيسيين هما : علم الأصوات وعلم المعنى[1]، حتى يكون هناك تقابل تام بين هذين العلمين وبين الجانبين المذكورين . أما بالنسبة لأولمان فالأمر أوضح من هذا وأصرح . لقد قرر هذا العالم منذ البداية أنه سيبنى تفريعه لعلم اللغة على مجموعة من الأسس ، منها الاعتماد على طبيعة « التركيب الداخلى » للوحدات أو الأحداث اللغوية . وعلى النظر إلى هذه الوحدات أو الأحداث على أنها مكونة من جانبين متميزين ، هما جانب اللفظ وجانب المعنى ، ومن ثم جاء تفريعه النهائى لهذا العلم مطابقا تمام المطابقة لهذا الأساس الذى ذكره . وهذا الأساس نفسه يتمشى بدوره مع مبدأ آخر يؤمن به أولمان : ذلك هو مبدأ تقسيم الكلام الإنسانى قسمين ، الأول ما سماه « اللغة » language والآخر ما سماه « الكلام » speech ، قاصدا باللغة تلك القضايا والقوانين اللغوية المخزونة فى ذهن الجماعة ، وبالكلام تلك الأحداث الفعلية الصادرة من المتكلم الفرد أثناء الكلام الحقيقى[2] .

وليس يخاف أن هذه النظرة إلى الحدث اللغوى وإلى الكلام الإنسانى تتضمن فكرة « الثنائية » فيهما ، تلك الثنائية التى سبق أن رفضناها بكل أنواعها ، والتى أنكرنا على الدارسين الأخذ بها فى الدراسات اللغوية[3]، ومن ثم كان لابد لنا من رفض ما بنى عليها من قضايا ومشكلات . ومن هذه القضايا

[١] انظر العدد السابق من هذه المجلة ص ١٣٨١ .

[١] انظر ص ٨٧ ـ ٦٠ .

[٢] انظر العدد السابق من هذه المجلة ص ١٣٨٠ ـ ١٣٨١ ، ١٣٨٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذلك التقسيم الذى أتى به أولمان هنا خاصا بعلوم اللغـــة ، وتلك الوظيفة التى عينها لعلم المعنى .

أما رأينا فى هذه المشكلات وفى مشكلة علم المعنى ومكانته فى الدراسات اللغوية فيعتمد فى أساسه على منهج أستاذنا فيرث ، ذلك المنهج الذى شكله صاحبه بعد خبرة طويلة فى البحث اللغوى ، دامت ما يقرب من الثلاثين عاما . وقد استطاع فيرث فى هذه الفترة أن يكون نظرية لغوية جديرة أن تنسب إليه وحده فهو صانعها ومبتكر أصولها وواضع الخطوط العامة والخاصة التى ينبغى على الباحث اللغوى أن يتبعها فى كل مراحل الدراسة . وكان أول ما وجه إليه الاهتمام فى عمله هذا هو التخلص من كل أوجه القصور والنقص التى اتسمت بها النظريات والمناهج الأخرى ، والتى تتمثل فى اعتماد أصحاب هذه النظريات والمناهج على المبادئ أو الأفكار الفلسفية والنفسية والمنطقية فى بحوثهم . لقد قرر هذا اللغوى الكبير منذ البداية أن يجعل نظريته هذه نظرية لغوية صرفة ، تستمد مبادئها وأسسها من الواقع اللغوى نفسه . وترمى إلى بيان الحقائق اللغوية كما هى ، بدون إقحام عامل الذاتية أو الافتراض والتخمين فيها . وكان ينكر على غيره من اللغويين التجاءهم إلى بعض العلوم الأخرى يستمدون منها العون فى معالجة قضاياهم اللغوية وتفسيرها ، ويشتد هذا الإنكار ويقوى حين يحاول هؤلاء اللغويون أن يجمعوا أو يخلطوا بين مبادئ هذه العلوم ـ كلها أو بعضها ـ وبين مبادئ الدراسات اللغوية . فهذا المسلك ـ عنده ـ إنما يؤدى فى النهاية إلى تكوين منهج واه ضعيف ، تنقصه وحدة العناصر وتكاملها ، والنتيجة الحتمية لتطبيق هذا المنهج هى الخلط فى الدراسة والاضطراب والزيف فيما يصل إليه الدارس من نتائج .

دكتور كمال بشر
مدرس علم اللغة العام
بكلية دار العلوم

(البقية فى العدد القادم)

من ذخيرة لغتنا عراعر بمعنى سادة .

قال شرحبيل بن مالك يمدح معد يكرب بن عكب :

خلع الملوك وسار تحت لوائه شجر العرى وعراعر الأقوام

(عن كتاب الأمالى لأبى على القالى)

الإمام الأعظم أبو حنيفه

دراسات ذاتية في مذهبه

للأستاذ عباس طه

من تجديد أبي حنيفة استنباط الفقه التقديري :

لما لم يكن بدون معرفة حكم الله تعالى في الوقائع ، ولما كانت الحوادث في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر ، وكان من المقطوع به أنه لم يرد في كل حادثة نص ، كان هذا من الدواعي إلى وجوب اعتبار الاجتهاد ليكون بصدد كل حادثة لم ينص على حكمها ، وكان من الدواعي التي دعت الإمام الأعظم إلى إحداثه الفقه المستنبط أي التقديري ، فوضع المسائل التي لم تقع وفرض نزول الحوادث التي لم تحدث . وقدر وقوع الواقعات ، واستنبط لها الأحكام من أصول الشرع ، حتى إذا وقعت كان الإفتاء عنها قائماً ؛ إذ ليس من المتيسر دائماً وجود المفتي الذي يفتي الناس في حوادثهم التي تقع وتحدث لهم في كل يوم وفي كل مكان ، وكان بعض السلف لا يجيب عن مسألة إلا إذا وقعت بالفعل ولا يفتي في أمر لم يحدث ، روى الحافظ ابن عبد البر أن قتادة قدم إلى الكوفة فجلس في مجلس له وقال : سلوني عن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجيبكم ، فقال جماعة لأبي حنيفة قم فاسأله : فقام إليه وقال له ماتقول يا أبا الخطاب في رجل غاب عن أهله فظنت امرأته فقده فتزوجت ثم قدم زوجها الأول فدخل عليها وقال لها : يا زانية تزوجت وأنا حي ، ثم دخل زوجها الثاني فقال لها تزوجت يا زانية ولك زوج . كيف يكون اللعان فقال قتادة وهل وقعت هذه المسألة فقال أبو حنيفة وإن لم تقع فإننا نستعد لها حتى إذا وقعت كان جوابها حاضراً ، وعلى هذا المنوال أحدث أبو حنيفة الفقه التقديري فكان بهذا وأمثاله مجدداً في الإسلام غير مدافع .

ولقد ارتضى جمهور العلماء هذه الطريقة فاقتدى بأبي حنيفة في هذا فقهاء الأمصار إلا أقلهم فقدروا المسائل وفرضوا وقوعها ثم استنبطوا أحكامها من أصول الشرع نسجاً على منوال أبي حنيفة وبذلك نما الفقه الإسلامي واتسع حتى صار بحراً زاخراً لا ساحل له وثروة غنية للمجتمع في التشريع والنظم الصالحة مع أنه كان قبل أبي حنيفة مقصوراً على الحوادث التي وقعت في ذلك العهد الأول .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهل يجوز فى شرع الله فرض المسائل واستنباط أحكامها قبل وقوعها كما فعل أبو حنيفة ؟ هذه مسألة مختلف فيها ولكن جماهير علماء الإسلام أجازوا ذلك مستدلين بأدلة كثيرة صحيحة . منها ما روى فى صحيح مسلم (ج ٢ ص ٩٨) عن المقداد بن الأسود أنه قال : يا رسول الله : أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فقاتلنى فضرب إحدى يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة فقال : أسلمت لله . أفأقتله ، يا رسول الله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتله . قال . فقلت : يا رسول الله إنه قطع يدى ثم قال ذلك بعد أن قطعها أفأقتله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال . فنى هذا الحديث الشريف لم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد عن فرض مسألة لم تقع بل أجابه عنها وبين حكمها فدل ذلك على جواز فرض المسائل واستنباط أحكامها قبل وقوعها ، وكان إحداث أبى حنيفة لهذا الفقه المستنبط أو التقديرى موافقاً للسنة النبوية بل هو تطبيق عليها ونسج على منوالها واقتداء بعمل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فمن عاب أبا حنيفة على ذلك فإنه لم يحط بالسنة خبراً ولم يعرفها معرفة أبى حنيفة بها ، بل لم يعرف مذهب أبى حنيفة ولا مداركه الدقيقة .

شىء من تبريز أبى حنيفة فى علم القضاء والاستنباط :

من بديع استنباط أبى حنيفة ومقدرته الفقهية وتوقد ذكائه وسرعة خاطره وتبريزه فى علم القضاء ، وعلم القضاء غير معرفة الأحكام والبصر بالحلال والحرام . فقد يكون الرجل بصيراً بأحكام الأفعال عارفا بالحلال والحرام ولكنه لا يستطيع أن يلزم بفصل القضاء .

أقول : من ذلك ما ذكره الإمام الحافظ ابن العربى فى كتابه أحكام القرآن قال : مما يروى فى معرفة أبى حنيفة بالقضاء أن رجلا جاءه وقال له : إن ابن أبى ليلى قاضى الكوفة جلد امرأة مجنونة قالت لرجل يابن الزانيين فحدها حدين فى المسجد .

فقال أبو حنيفة على الفور : لقد أخطأ ابن أبى ليلى من ستة أوجه : الأول : أن المجنونة لا حد عليها لأن الجنون يسقط التكليف ، هذا إذا كان القذف فى حال الجنون فأما إذا كان يجن مرة ويفيق أخرى فإنه يحد بالقذف فى حال إفاقته إذا قذف فى حال إفاقته أيضا .

الثانى : قولها يابن الزانيين جلدها من أجله حدين لكل أب حد وهو خطأ لأن حد القذف يتداخل ولا يتعدد بتعدد المقذوف لأنه حق الله تعالى كحد الخمر والزنا . ولو أن رجلا قذف قوما ما كان عليه إلا حد واحد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الثالث : أنه حد بدون مطالبة المقذوف ولا يجوز إقامة حد بإجماع الأمة إلا بعد المطالبة بإقامته .

الرابع : أنه والى بين الحدين ومن وجب عليه حدان لم يوال بينهما بل يحد لأحدهما ثم يترك حتى يندمل الضرب ويستقبل المضروب ثم يقام عليه الحد الآخر .

الخامس : أنه حدها قائمة ولا تحد المرأة إلا في حالة مستورة .

السادس : أنه أقام الحد في المسجد والحدود لا تقام في المساجد إجماعا .

ثم قال ابن العربي : إن هذا الذي قاله أبو حنيفة على البديهة لا يدركه أحد بالروية إلا العلماء الماهرون الراسخون في العلم وهو يدل على معرفته بعلم القضاء .

لما بلغ ابن أبي ليلى هذا النقد شكا أبا حنيفة للوالي وقال له : إن بالكوفة شابا يعارضني في الأحكام ويشنع علي بالخطأ فمنعه الوالي من الفتوى ولزم بيته . ثم وردت مسائل لعيسى بن موسى فاستفتى أبا حنيفة فيها فأفتى بما استحسنه عيسى وأذن له بالفتوى فجلس في مجلسه كما كان . وفي رواية أخرى أن امرأة استفتته يوما بأنه خرج من أسنانها دم وهي صائمة فبصقته حتى عاد الريق أبيض فهل تفطر إذا بلعت الريق فأمر أبو حنيفة ولده حمادا أن يفتيها وقال لها : إن الوالي منعني من الإفتاء ،

وهذه من مناقب أبي حنيفة في حسن تمسكه بالطاعة لأولي الأمر .

ومن ذلك ما رواه الحسن بن أبي مالك أحد أصحاب أبي يوسف أن أبا حنيفة دخل إلى قاضي الكوفة ابن أبي ليلى ومعه أبو يوسف ليقضي حقه فلما جلس أبو حنيفة عنده قال ابن أبي ليلى لحاجبه . ائذن لمن حضر من الخصوم بالدخول كأنه أراد أن يرى أبا حنيفة كيفية الإجراءات التي يتخذها مع الخصوم وكيفية أعماله في القضاء وإمضائه الحكم فدخل عليه الخصوم وتقدم إليه جماعة فحكم بينهم ثم تقدم إليه رجلان فقال أحدهما : أعزك الله إن هذا الرجل قذف أمي بالزنا وقال لي يا ابن الزانية وأنا أسأل القاضي أن يأخذ لي بحقي منه ، فقال ابن أبي ليلى للمدعى عليه : ما تقول في هذا ؟

فقال له أبو حنيفة أتسأله عن دعواه وليس هو له بخصم ؟ إنه رمى بالزنا أمه فهل ثبتت وكالته عن أمه عندك ؟ قال لا فقال : أقبل على المدعي واسأله أحية أمه أم ميتة ؟ فإن كانت حية فلا وجه لدعواه إلا بوكالة منها في المطالبة بحقها وإن كانت ميتة كان قولا آخر فسأل ابن أبي ليلى المدعي فقال له أمك حية أم ميتة ؟ قال : بل ميتة ، قال له أقم عندي البينة بوفاتها حتى أعلم ذلك فأقام عنده البينة بوفاتها . فسأل ابن أبي ليلى المدعى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عليه عن دعوى المدعى فقال له أبو حنيفة سل المدعى هل لأمه وارث غيره ؟ فإن كان له إخوة كانت المطالبة له ولهم وإن كان هو وحده كان قولا آخر . فقال ابن أبي ليلى للمدعى هل لأمك وارث غيرك ؟ قال لا قال فأقم عندى البينة بذلك فأقام البينة بأنه وارث أمه ولا وارث لها سواه فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه عن دعوى المدعى فقال أبو حنيفة : سله عن أمه أحرة هى أم أمة ؟ فقال ابن أبي ليلى للرجل أمك حرة أم أمة ؟ قال بل حرة : قال فأقم عندى البينة فأقام بينة بذلك ، فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه فقال أبو حنيفة : اسأله أمسلمة هى أم معاهدة ؟ قال : هى حرة مسلمة من بنات آل فلان سراة بالكوفة قال فأقم عندى البينة بأنها مسلمة فأقام البينة عنده بأنها مسلمة ، ثم أقام البينة على أن أمه عفيفة عن وطء نحديه ، وأن ذلك الرجل لم يقذفها فى حياتها وأنها سامحته من حد القذف لأنه إذا قذفها وهى حية وسامحته من الحد لم يحد بقذفها . ثم قال أبو حنيفة لابن أبي ليلى بعد ذلك شأنك الآن فسل المدعى عليه عن دعوى المدعى فسأله فأنكر فقال للمدعى ألك بينة قال : نعم جماعة من وجوه أهل الكوفة قال فأحضرهم مع خصمك حتى أسمع شهادتهم عليه ثم نهض أبو حنيفة وانصرف . فمن هذه الوقائع يتبين تبريز أبى حنيفة فى علم القضاء واستنباطه وسرعة خاطره وتوقد ذكائه ومقدرته الفقهية التى بلغت فى التجديد فى الدين أعلى الدرجات .

نقول لو صح هذا كله لكان ابن أبي ليلى غير جدير بتولى القضاء . فإن ما لاحظه أبو حنيفة عليه من الإجراءات الأولية فنحن نشك فى صحته وإنما أوردناه لما فيه من الطرافة ودلالة على اعتراف الجماهير بصدق نظر أبى حنيفة فى إدارة شئون التقاضى مع أنه لما دعى لتولى القضاء أبى أن يقبله تورعا ، وشدد عليه فى القبول فأصر على الإباء وهكذا يتحفظ العالم فى إجابته أمانة فى أداء الفتوى وخروجا من العهد أمام الله والناس حتى يظل العالم خليقا بحمل أمانة ما يفتى فيه ؟

عباس ط

قال الشاعر :

فإياك أن تغتر يا صاح بالهوى فإن الردى خلف الهوى وعقيده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

المسلمون السود في أمريكا

للأستاذ عباس محمود العقاد

The Black Muslims In America

في هذا الكتاب بيان واف عن حركة جدية في مقدمة الحركات الإسلامية المعاصرة بالقارة الشمالية من بلاد العالم الجديد، منذ سنة (١٩٣٠ م) إلى اليوم.

ومؤلف الكتاب قس من الأمريكيين السود يسمى أريك لنكولن ينتمي إلى الطائفة المسيحية التي تعرف باسم المنهجيين أو الميثوديين Methodists ويدرس الفلسفة الاجتماعية بإحدى كليات «أتلانتا» ويكاد يتخصص للدراسات التي تتعلق بمذاهب السود في القارتين الأمريكيتين.

وقد دلت طريقته في وصف حركة الدعوة الإسلامية بين السود الأمريكيين على عناية بالصدق في تحري الوقائع والبحث عن مصادر الأخبار، فهو - فيما عدا بعض العقائد التي ينسبها إلى السود المسلمين ونستبعد أن يدين بها أحد ينتسب إلى الإسلام - لم يذكر خبرا من الأخبار التاريخية يثير الريبة في نية التحقيق عنده أو يكلف القارئ تصديق مالا يقبل التصديق من دخائل تلك الحركة.

ولا غرابة في حرص الدكتور أريك لنكولن على تحقيق أخباره عن حركة كبيرة من حركات أبناء قومه في بلاده. لأنه لا يستطيع أن يتنكر لشعوره بالقرابة الحميمة بينه وبين من يكتب عنهم وإن نشأ على عقيدة غير عقيدتهم. وربما كان انتسابه إلى طائفة مسيحية كالطائفة «الميثودية» سببا آخر من أسباب الصدق في وصف عيوب المجتمع الغربي وتسويغ الشكاية التي يشكوها الناقمون على تلك العيوب ومنهم السود الأمريكيون، فإن الطائفة الميثودية إنما نشأت وانتشرت بعض الانتشار في القرن الماضي لأنها دعوة صارمة إلى إصلاح تلك العيوب وتبديل العادات والتقاليد التي من أجلها تبرمت طائفة السود بالحياة الاجتماعية بين البيض في القارة الأمريكية، وقد يكون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى بيان تلك العيوب، على حقيقتها شيء من الاعتذار عن إخفاق الدكتور أريك لنكولن وزملائه السود فى تبشير أبناء قومه بمذهبهم المسيحى . لأنه يقول ويستشهد على قوله بكلام المؤرخ الكبير « توينبى » إن السود شعروا بخيبة الرجاء حين دانوا بمذهب من المذاهب المسيحية ثم وجدوا أن وحدة الدين لم تغن عنهم شيئا لدفع المهانة عنهم ولا لحمايتهم من ظلم التفرقة بينهم وبين البيض فى معاملاتهم وعلاقاتهم الشخصية أو الاجتماعية

ويتراءى من بين السطور اعتذار آخر عن إخفاق المبشرين السود فى ضم أبناء قومهم إلى زمرتهم . فإن مؤلف الكتاب يلاحظ أن رؤساء الكنائس يترفعون عن قبول الشذاذ والوضعاء وذوى الشبهات بين أتباع كنائسهم ، فى حين إن الدعوة الإسلامية قد أسفرت عن نجاحها التام فى إصلاح هؤلاء المنبوذين بعد امتزاجهم بأبناء البيئة الإسلامية . وقد يكون توكيد هذا النجاح عذرا للدكتور أريك لنكولن وزملائه من ذلك الإخفاق الذى يمنون به كلما حاولوا أن يضيعوا صنيع الدعاة المسلمين الذين يرحبون بمن يستجيبون لدعوتهم ويبشونهم نشأة أخرى كما يقول المؤلف بغير مواربة فى شهادته لمؤسسى الدعوة الإسلامية الأولين ولمن خلفهم على هداية أتباعهم المؤمنين ، فلا يخفى المؤلف إعجابه باقتدار أولئك الدعاة على تعويد أتباعهم ، بعد فترة وجيزة ، أن يستقيموا على حياة العفة والورع وإن كانوا قبل ذلك من مدمنى السكر ومقارفى الشهوات وملتمسى الكسب من أنواع المحرمات والموبقات .

ويشهد المؤلف لمؤسس الدعوة (فراج محمد) أو فراج محمد على بحسن تدبيره لأمر الدعوة وتنظيم برنامجها واتباع الخطة التى تجدى فى التوجيه وصيانة الحركة على سواتها ما ليست تجديه خطة أخرى فى مكانها ، ومن آثار هذه الخطة المنتظمة أن أتباعه بلغوا بعد سنوات نحو مائة ألف (وقد يزيدون) وأنهم أقاموا لهم بين الولايات الشمالية نحو سبعين مسجدا وزاوية للعبادة عدا المدارس والمكاتب وأندية الاجتماع والمحاضرة . ومن دلائل تدبيره أنه كان يخفى عدد أتباعه ويتجنب الخوض بهم فى غمار الانتخابات ويوصى أتباعه بمثل ذلك إلى أن يحين الوقت لاستخدام أصواتهم على الوجه المقدور فى ترجيح فريق على فريق من الخصوم السياسيين .

ويحيط المؤلف إمام الدعوة بجو من الغرابة يلائم جو « الغيب » الذى يأتى من قبله رسل الدعوات ، فقد حضر إلى « ديترويت » حوالى سنة (١٩٢٠ م) ولم يحفل بحضوره أحد قبل بضعة شهور ، لأنه كان يحترف بيع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الملابس والمنسوجات ولم يلفت إليه الأنظار إلا بعد افتتاحه البيت الأول للوعظ والصلاة فلما التفت إليه ولاة الأمر ومستطلعو الأخبار بحثوا عن أصله والمكان الذى أقبل منه فلم يهتدوا من أمره قط إلى يقين ، وبلغ من اضطراب الظنون حول حقيقته أن بعضهم ينميه إلى مكة وبعضهم ينميه إلى فلسطين ، ويقول أناس إنه من الإفريقيين التابعين للدولة التركية ويقول غيرهم إنه من رسل النازيين إلى أمريكا لإثارة رعاياها المتمردين عليها ، بل زعم بعضهم أنه من دعاة السياسة اليابانية كما زعم آخرون أنه من دعاة السياسة الروسية ، ولولا أن تنظيم الحركة كان أقوى وأثبت من أن تستمال إلى خدمة الدعايات لحقت فيه شبهات القائلين إنه داعية من أولئك الدعاة الدوليين مستتر عن الأنظار بستار القومية والدين ، ولكن الرأى المحقق الذى انتهى إليه الباحثون عنه أنه « مبشر مسلم » شديد العصبية لدينه ، مع مغالاة تنسب إليه فى مزج الدعوة الدينية بالدعوة العنصرية إلى تغليب الرجل الأسود على سلطان « الرجل الأبيض » خلافا للعنصرية النازية التى حاول بعضهم أن يحسبه من أذنابها .

ولما احتجب عن مقر الدعوة بمدينة ديترويت وما حولها كان احتجابه أغرب من ظهوره وأدعى إلى إثارة الظنون واضطراب الأقاويل ، فإنه أناب عنه أكبر مريديه السيد « محمد إيليا » ثم انزوى عن الأنظار ولم يرجع من غيبته تلك إلى هذه الساعة ، وقيل عن أسباب احتجابه إنه ينتظر ساعته الموعودة ، وقال كثيرون إنه ذهب ضحية لمكائد أعدائه الدينيين أو السياسيين ، ولم يستبعد فريق من أبناء الإقليم أنه اغتيل وأن اغتياله كان على يد ناس من أتباعه المنشقين عليه ، لأنه كان يجرد حملته السياسية لعداوة الرجل الأبيض ولا يوصى أتباعه بالولاء للدولة القائمة فى البلاد . وانشقت عليه فئة من أتباعه أشفقوا من تعريض الحركة كلها لبطش الدولة باسم القانون فخالفوه وجهروا بولائهم للسلطة الدنيوية مع احتفاظهم برسالتهم الدينية والثقافية ، وإلى بعض هؤلاء المنشقين يعزى اغتياله على قول أناس من شيعته وأناس من مخالفيه .

وكل ما ينسبه مؤلف الكتاب إلى هذه الدعوة يدخل فى باب الاحتمال المقبول إلا ما يرويه عن شيعة قليلة اعتقدت فيه أنه إله تجسد لينقذ خلائقه المظلومين ، وأنه ظهر بالجسد على صورة إنسان من السود لأنه أراد أن يطهر الأرض من فساد الرجل الأبيض ويسلمها لأيدى السود من ضحايا ذلك الفساد .

فنحن نستبعد أن يشيع هذا الاعتقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين أناس يقرءون القرآن ويعرفون طرفا من سيرة النبي عليه السلام ، ولكننا لا نستبعد الغلو فى الحملة على الرجل الأبيض وما يتبعه من الغلو فى تقدير رسالة الرجل الأسود الذى يضطلع بإصلاح فساده وإزالة سلطانه . فإن مؤسس الدعوة بمدينة « ديترويت » قد عول على النخوة القومية ولم يكن له مناص من التعويل عليها للارتفاع بنفوس أتباعه إلى مقام الكرامة التى تأبى الخنوع لأصحاب السلطان وتطمح إلى الوقوف منهم موقف المصلحين المعلمين ، فليس قصاراه من الإقناع أن يقنع سامعيه بمشابهة السادة فى بلادهم وبين مظاهر سلطانهم واعتزازهم ، بل هو يناديهم ليصلحوا حيث فسد أولئك السادة ويملكوا زمام الولاية حيث كانوا من قبل مملوكين مسخرين .

ووافقت هذه الدعوة « المحلية » دعوة أخرى عالمية من قبل الآسيويين والإفريقيين ، لم يكن لها شعار منذ قيامها مع حركات الاستقلال غير الثورة على دعوى الرجل الأبيض فى حق السيادة على الأمم الصفراء والسمراء أو الأمم غير البيضاء على الإجمال ، ولم ينس إمام الدعوة أن الإسلام لا يقوم على كراهة جنس من الأجناس ولا على التفرقة بين الشعوب والألوان ، ولكنه كان يقول : إنها « كراهية تولدت من الكراهية » وإن عداوة السود للبيض فرع من أصل عريق فيما حوله . وهو عداوة البيض للسود .

فإذا تقدم الزمن بدعوة « ديترويت » إلى ما وراء هذه البواعث « المحلية » أو الموقوتة لم يكن عسيراً على المؤمنين بها أن يصوغوا لها تلك الغيرة التى استمدتها من النخوة القومية ليستقيموا بها على النهج القويم من الغيرة « الإسلامية » أو الغيرة الإلهية .

ولهذا الموضوع عودة نعرض فيها لجوانب البحث التى شملتها فصول الكتاب ولم يتسع لها هذا المقال ؟

عباس محمود العقاد

من قصيدة لسلمة بن يزيد يرثى أخاه قيس بن سلمة :

فتى كان يعطى السيف فى الروع حقه ... إذا ثوب الداعى وتشق به الجزر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

فتى لا يعد المال ربا ولا يُرى ... له جفوة إن نال مالا ولا كبر

فنعم مُناخ الضيف كان إذا سرت ... شمال وأمست لا يعرجها ستر

ومأوى اليتامى المحلين إذا انتهوا ... إلى بابه سغبى وقد قحط القطر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مختار من الشعر القديم والحديث

عابد الشمس

للأستاذ العوضي الوكيل

« على شاطئ نهر الكنج في الهند قوم يعبدون الشمس ، ولهم زعم ظل ينظر إلى إلهه حتى كف بصره ، ولكنه مع ذلك استمر يتجه إلى الشمس منذ مشرقها إلى أن تغرب كل يوم متعبدا خاشعا » .

أيها العابد قد جاء الصباح ... وتبدى من إسناه في وشاح
وصحا الكون على ترنيمة ... لك سارت في الروابي والبطاح
ترمق الشمس لدى غدوتها ... وتحييها إذا حان الرواح
قبلة أنت إليها ناظر ... دأبا ، لم ينصرف منك القماح !

* * *

لم تزل ترنو إليها خاشعا ... خافض القلب لديها والجناح
رحت تدعوها دعاء خافتا ... خافي اللفظ وإن معناه صاح
ونجاء أنت في لجته ... غارق ، نشوان منه غير صاح
قد تخذت الكون طرا معبدا ... ورحيب الأفق للعبد ساح

* * *

أيها العابد نح الغمض وادن ... لاح منها حاجب ، أو ذر قرن
ناجها بالصمت حينا والغنى ... وكلا ذين به سحر وفن
وتوسل في خشوع شاعر ... وانهل الأضواء فالآفاق دن
وائن خانك طرف ناظر ... فلك القلب له أذن وعين

* * *

أيها العابد للشمس التي ... لم تزل تسخو علينا بالسنا
نحن عشاق لها ، لكننا ... ما اتخذناها إلاها بيننا
إنما نعبد من أبدعها ... ولديه وحده نبغي المنى
ولنا شعر وترنيم له ... وتهاليل تسامت في الدنى

(البقية على صفحة)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قضيت زمانا بهذا المكان ومر كحلم فريد الرواء
رأيت الحياة على صفحتيه ربيعا يبوح بسر النماء
ولما صحوت تولى الربيع وجاء الخريف ، وجاء الشتاء
وألفيتنى هائما فى التراب أسير كمن تاه بين العراء
أجاهد وحدى ظلام الحياة بروح تضىء كنجم أضاء
وأمشى أجر قيود الوهاد لأبلغ يوما قباب العلاء
وقد يغلق اليأس باب النجاة فأفتح فى القلب باب الرجاء
إذا كان جسمى يخوض الثرى فروحى تحلق بين الفضاء
وإن حجب النور عنى غطاء فعما قريب أزيح الغطاء
وعما قريب ستلبس روحى رداء من النور جم البهاء
وتنزع عنها الرداء الذى أعد لها من تراب وماء

* * *

فيارب يا نور هذا الوجود ويا خير من يستجيب الدعاء
مزيداً من النور يهدى خطاى إلى حيث نبع الهدى والصفاء
مزيداً من النور علنى أصعد إلى عالمى فى رحاب السماء
إذا كان دائى ظلام الحياة فنورك يارب خير الدواء

ابراهيم محمد نجا

(بقية المنشور صفحة ١٠٣)

أيها العابد فى شط النهر انظر الشمس ، جميعا ، والقمر
وانظر الروضات فيها فتنة من ظلال وغصون وزهر
وانظر الأنجم تبدو زينة وهدايات بداة وحضر
وانظر الإنسان أمسى خلقه عجب الكون ، ومرتاد الفكر
ربنا الرحمن ، والكون له أثر ، ياحبذا هذا الأثر

العوضى الوكيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من رحاب الله

مزيداً من النور

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

(يا إلهى . . يا نور النور ، سأظل طول أيامى أدعوك : مزيداً من النور . . مزيداً من النور ، تتحول به ظلمتى إلى نور ، يعيدنى إلى رحابك فى عالم النور) .

مزيداً من النور يا خالقى ... فقد جن ليلى بفجر الضياء
مزيداً من النور يهدى خطاى ... إلى حيث نبعُ الهدى والصفاء
مزيداً من النور فى ظلمتى ... ليمحو فجرى ظلام المساء
مزيداً من النور يسعد قلبى ... بما يسعد النبعُ ركبَ الظماء
ظمئت إليه بروحى التى ... ترى النور نبعا سخى العطاء
مزيداً من النور ، فالنور حب ... وبالحب يشرق ليل الخفاء
وبالحب ألقى البعيد القريب ... وما أروع الوصل يوم اللقاء !
وبالحب أشعر أنى فنيت ... فنلت الخلود بهذا الفناء
أنا عاشق النور مثل الفراش ... وفى النور ألقى خلود البقاء

* * *

مزيداً من النور حتى أعود ... إلى عالمى فى رحاب السماء
فأحيا كما كنت أحيا هناك ... حياة الصفاء ، حياة النقاء
أغنى ، وأسمع غيرى يغنى ... فيمتد عمرى بسحر الغناء
وأرنو إلى الله فى باطنى ... فتأخذنى هزة وانتشاء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قضيت زمانا بهذا المكان وبي كحلم فريد الرواء
رأيت الحياة على صفحتيه زبيعا يبوح بسر النماء
ولما صحوت تولى الربيع وجاء الخريف وجاء الشتاء
وألفيتني هاهنا في التراب أسير كمن تاه بين العراء
أجاهد وحدى ظلام الحياة بروح تضيء كنجم أضاء
وأمشي أجر قيود الوهاد لأبلغ يوما قباب العلاء
وقد يغلق اليأس باب النجاة فأفتح في القلب باب الرجاء
إذا كان جسمي يخوض الثرى فروحي تحلق بين الفضاء
وإن حجب النور عني غطاء فما قريب أزيح الغطاء
وعما قريب ستلبس روحي رداء من النور جم البهاء
وننزع عنها الرداء الذي أعد لها من تراب وماء

* * *

فيارب يا نور هذا الوجود ويا خير من يستجيب الدعاء
مزيداً من النور يهدى خطاى إلى حيث نبع الهدى والصفاء
مزيداً من النور علني أصود إلى عالمي في رحاب السماء
إذا كان دائي ظلام الحياة فنورك يارب خير الدواء

ابراهيم محمد نجا

(بقية المنشور صفحة ١٠٣)

أيها العابد في شط النهر انظر الشمس ، جميعا ، والقمر
وانظر الروضات فيها فتنة من ظلال وغصون وزهر
وانظر الأنجم تبدو زينة وهدايات بداة وحضر
وانظر الانسان أمسى خلقه عجب الكون ، ومرتاد الفكر
ربنا الرحمن ، والكون له أثر ، ياحبذا هذا الأثر

العوضي الوكيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ — محمد رسول الحرية :

للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى

هذا الكتاب الجديد للكاتب المعروف الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى، والذى نشرته مكتبة عالم الكتب بالقاهرة، جدير بالعرض والمناقشة لسببين رئيسيين :

أولهما : أن المؤلف — وهو كاتب له شهرته ، لا فى داخل محيطنا العربى وحسب ، بل خارجه أيضا — يكتب لأول مرة عن عن الرسول — صلوات الله عليه — دراسته استغرقت بضع سنوات ، وهذه الدراسة لم تتأثر كثيرا بالسطحيات التى عنى بها كثير من كتب السيرة ، وتأثر بها عدد غير قليل من عامة المسلمين .

وثانيهما : أن المؤلف — كما ذكر فى المقدمة — لا يقدم كتابا جديدا فى السيرة يضيف حقيقة جديدة فيها ، وإنما يصور قصة إنسان اتسع لآلام البشر ومشكلاتهم وأحلامهم ، وكونت تعاليمه حضارة زاهرة خصبة أغنت وجدان العالم كله لقرون طوال ، إنه يقدم صورة الرجل . . لا النبى ، وقصة الإنسان الرائع البطولة الذى ناضل — على الرغم من كل الظروف ضد القوى الغاشمة المفترسة من أجل الإخاء البشرى .

إذن ، فالمؤلف يضع حدودا لدراسته ، فهو يريد أن يعرض تعاليم ومبادئ محمد الإنسان . لا النبى ويقيم منهجه على التصوير والسرد القصصى ، ويبعد به عن إطار الدراسة والبحث . وهذه محاولة ليست جديدة فى الجانب المنهجى ، وإن كانت جديدة فى تحديد الهدف من عرض شخصية الرسول من الجانب الإنسانى والبشرى ، دون ما ارتباط بالجانب الدينى .

يبدأ الأستاذ الشرقاوى فى أسلوب قصصى بقصة والد الرسول عبد الله ، الذى كادت دماؤه تسيل تحت أقدام تماثيل الآلهة الرهيبة ، لولا المصادفة التى تدخلت لتنفيذ حياته ، ثم يصور الحياة فى مكة قبيل الرسالة المحمدية حيث : المال والآلهة والكعبة والمتاع للسادة ، والرمضاء والمرارة والألم والحرمان للمستضعفين ، الذين سقطوا تحت ضربات الحاجة ليتحولوا إلى عبيد عند دائنيهم ، كما يصور فترة القلق الذى ساور عقليات بعض

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المستنيرين من أمثال ورقة بن نوفل وزيد ابن عمرو ، إزاء هذه الآلهة المسيطرة وإزاء تلك الأوضاع الفاسدة التي تباركها الآلهة نفسها.

ثم يعرض المؤلف محمدا في طفولته وفي صباه ، وحينما أصبح رجلا يدير بيتا ، وعاقلا ناضج العقل يتأفف من آلهة مكة وأوضاعها المليئة بالخدع والأكاذيب ، وبعد ذلك حين أصبح رسولا مسئولا عن التطويح بآلهة مكة وأوضاعها الزائفة ، وحينما اضطر إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ليقيم فيها دينا ودولة ، وينشر في الآفاق إخاء ومساواة ، وينشر حرية وعدلا ، وحينما اضطرته أعصب الظروف إلى أن يرفع سيفا في وجوه الطغاة المعتدين بين أرجاء مكة وما حولها ، وفي وجوه الخونة المارقين من اليهود المقيمين معه بالمدينة ، وحينما اضطرته الظروف أيضا أن يفتح عينيه لدسائس المنافقين ومؤامرات الحاقدين ، والرسول صلوات الله عليه إزاء هذه الظروف جميعها يناضل دون يأس ، ويسير دون توقف ، يحمل قلب رجل وإنسان معا.

هذا مجرد عرض موجز سريع ، ولنا بعد ذلك أن نقول :

إن المؤلف حيث التزم في منهج الكتاب الإطار القصصي كان موفقا ، وموفقا للغاية حين التقط نماذج حية ناطقة عن عظمة محمد ذي القلب الكبير والعقلية الواعية والأفق الواسع البعيد النظر - أما الذي نقف فيه طويلا معه ، فهو محاولة فصل محمد الإنسان عن محمد النبي والرسول ، إذ الجانب الإنساني أو الجانب العبقري لا يمكن استغناؤه عن الجانب الديني متمثلا في النبوة والرسالة معا ، واللتين ليس لهما مصدر سوى الوحي السماوي والمؤلف حاول عبثا هذا الفصل ولكنه لم يقو عليه ، والصور الرفيعة التي قدمها لشخصية محمد كانت وثيقة الصلة بتوجيه القرآن له ، ولو قوي على تحقيق هدفه وهو أن يقدم محمدا الرجل والإنسان لا النبي والرسول ، للجأ - حسب - إلى أحاديث الرسول وأعماله التي لا تمت إلى الوحي بسبب . ولا يصلح عذرا للمؤلف قوله دفاعا عن نفسه : إنه يكتب لغير المسلمين ممن يناقشون الرجل والتعاليم ، فلا يجب أن يواجههم بالنبي ، فهذا شيء حققه من قبله غير المسلمين من كتاب الغرب والشرق المنصفين ، وإذا كان هؤلاء كتبوا عن محمد العبقري لشغفهم بالكتابة عن العباقرة ، فإن مهمة أمثال الأستاذ الشرقاوي في كفاءته ومقدرته على البحث والدراسة والتحليل ، أن يقدم إلى غير المسلمين محمد الرسول العبقري دون ما فصل بين الرسالة والعبقرية ، وهو الذي دعا إلى المبادئ الرفيعة والمثل العليا باسم الإسلام لا باسمه الشخصي كرجل وإنسان وعبقري .. ونحن مضطرون إلى أن نقف مع المؤلف وقفة أخرى أكثر طولا :

فهو في أسلوبه الحواري يثير إبهاما وغموضا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يوهمان القارىء أنه إنما يحاول إبراز القرآن في إطار بشرى ، دون أن يتعمد التصريح - أى أنه مجرد انطباع في نفس محمد ، نشأ عن تأثره ببيئته التي نشأ فيها ، وتعبير عن الحياة نفسها التي عاش فيها . وهو في هذا لم يزد شيئا عن بعض المستشرقين وفي مقدمتهم المستشرق الانجليزي « جب » في كتابه « المذهب المحمدي » فالأستاذ الشرقاوي كثيرا ما يردد : فهذا هو الحد الذي جاء به محمد - لقد جاء بكثير من العقوبات - خرج يستقبل القرآن - ثم أخذ يتلو ، وهو في كل هذا يسوق عبارات القرآن كأنها من تفكير محمد السريع - لا من وحي السماء ، وحتى الوحي لم يقطع به المؤلف ، فقد حصره في الرؤيا ، أو بين اليقظة والنوم ، مع أنه من المسلم به والمقطوع بتواتره ، أن جبريل لقي الرسول جهارا وواجهه بالقرآن مشافهة .

هناك ملاحظات لا مجال لاستيعابها ، فقد كنا نود ألا يتأثر الكاتب ببعض السطحيات التي حشيت حشوا في بعض كتب السيرة ، بل يجعل من قلمه - وهو الناقد اللامع - فاحصا يميز الحق من الباطل ، ويفصل الغثاء عن الزبد .

إنه يذكر ، أن عدد المسلمين الأوائل بلغ أربعين منهم الأجراء والصعاليك والجواري والبغايا والأرقاء - وكلمة البغايا لا مكان لها ، فالمسلمات الأوليات منهن : خديجة وسمية أول شهيد في الإسلام . وامرأة جعفر بن أبي طالب عم الرسول ، وفاطمة بنت الخطاب أخت عمر ، وأسماء بنت عميس أخت ميمونة أم المؤمنين .

ويذكر المؤلف : أن ممن أهدر الرسول دماءهم في فتح مكة ، عبد الله بن سعد ، عهد إليه محمد بكتابة الوحي - أى القرآن - فكان يغير على هواه ثم يذهب إلى المنافقين ويتندر بما صنع . فلما كشف محمد أمره رجع إلى مكة مرتدا - والمعروف أن تدوين الوحي قام به الكثير ، وسجله أصحاب محمد في صدورهم وعبد الله هذا ارتد كما ارتد غيره ، ثم عفا عنه الرسول كما عفا عن غيره ، وأسلم مرة أخرى وحسن إسلامه ، وولاه كل من الخليفتين عمر وعثمان بعض أعمالها .

ويسمح المؤلف لنفسه أن يذكر عن حمزة سيد الشهداء أنه بعد عودته من رحلة على شاطىء البحر رجع إلى عهد اللهو ، وظل ليلة كاملة يعب الخمر مع قائنتين إسرائيليتين ، ثم غدا على المسجد ، ورائحة الخمر تفوح من فمه ، ورائحة العطر تفوح من بين أصابعه ، والرحلة التي ذكرها المؤلف ، هي سرية « سيف البحر » ولو سلمنا بأن حمزة قد شرب الخمر - وهي لم تحرم بعد - فكيف نسلم بقصة القائنتين من بنات إسرائيل . وهي أكثر من فرية . لاسيما حينما تنسب إلى سيد الشهداء ومن أعز الله الإسلام باثنين هو أولهما .. ؟

وبعد - فالأفق الواسع يرحب بالأفكار الجريئة مهما كان خطرها . والذين تضيق عقولهم بكل رأى حر عليهم أن يشهروا أقلامهم ليردوا وينتقدوا ، أما حين نحاول أن نتعقب الآراء الجريئة ونستعدى عليها لمصادرتها ، فإننا نقنع بمنطق النعام حين يرى من الأسلم له أن يدفن رءوسه فى الرمال . . !

٢ — دموع الأمير :

الدكتور نجيب الكيلانى .

هذه مجموعة قصص نشرتها مكتبة وهبة بعابدين فى كتاب للمؤلف ، وهذه القصص من واقع تاريخ الإسلام والمسلمين ، والأديب المؤلف ، وهو من المتأثرين بالدراسات الإسلامية استطاع أن يقدم فى هذه القصص صوراً حية للمبادئ الإسلامية نستشف منها عظات وعبراً تصل إلى أعماق نفوسنا من واقع تاريخنا البعيد . .

القصة الأولى وأطول القصص هى دموع الأمير ، تعرض جانبا من تاريخ حكم بنى أمية فى مرحلته الأولى ، حيث كان هشام بن اسماعيل المخزومى واليا على المدينة من قبل الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان ، وسيفا مصلتا على رقاب المعارضة من آل البيت وغيرهم ، ويشاء القدر أن يموت الخليفة ويتولى ابنه الوليد . فتتغير سياسة الحكم إلى نوع من تخفيف حدة العنف والبطش والانتقام ، ولا يكتفى الخليفة الجديد بعزل والى المدينة الذى استغل أداة للبطش ، بل تصدر الأوامر إلى أن يقف الوالى المعزول أمام دار مروان ليقتص منه كل من آذاه . شتمة بشتمة ، ولعنة بلعنة ، ولطمة بلطمة . وتنفذ الرعية أمر الخليفة للتشفى ، ويأتى دور زين العابدين بن الحسين الذى ذاق ما ذاق من بطش الوالى ، فتتملكه أخلاق النبوة ويقف أمام الوالى الأعزل ويلقى السلام عليه ويقول له : « إن كانت لك حاجة فإنا نقضيها لك . وإن كان عليك دين من ولايتك فإنا نسدد دينك . . . » ، وانهمرت دموع الأمير . وزين العابدين ينصرف وهو يتمتم إنه معزول . فليست له قوة ، ونحن نسلو ونستكبر عن إيذاء الضعفاء ، وهكذا توقف الناس عن إيذائه . .

اثنتا عشرة قصة من تاريخنا تجلى فيها دروس وعبر ، منها قصة القلب الكبير . قلب التابعى الجليل عبد الله بن المبارك ، والإمام الأعظم أبو حنيفة فى اعتزازه بعلمه وإيمانه وتمسكه بالحق أينما كان ، وأبو معزى أحد المكافحين الجزائريين فى زنزانته المظلمة ، حيث استطاع إيمانه أن يصمد أمام التعذيب والحرمان وطغيان فرنسا ، ثم صانع الرجال القائد المظفر سعد بن أبى وقاص . البطل الذى قهر إيمانه إصرار أمه على الإضراب عن الأكل والشراب حتى يرتد سعد عن الإسلام ، ثم العرش المحطم عرش عبد الحميد السلطان

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الطائفية ، ثم قصة أبي خيثمة الذي تخلف في بادئ الأمر عن الرحيل مع الرسول إلى تبوك ، ثم جذبه إيمانه إلى اللحوق بجيش الإيمان ، ثم قصة سلطان العلماء العز بن عبد السلام الذي كان يهز بإيمانه عروش السلاطين ، ثم خاتمة القصص «رجل في المنفى» أما الرجال فهو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري الذي نفي لله ولرسوله ولصدعه بالحق ضد ترف بني أمية . .

الدكتور نجيب الكيلاني يقدم لونا جديدا من القصة ، يخفل عنه معظم كتاب القصة عندنا . فهم يهرعون إلى موضوعات عاطفية مكررة ، مع أن في تاريخنا الإسلامي مادة دسمة لكل مفكر . ولكن يظهر أن كتابنا يؤثرون السطحيات التي لا تكلف جهداً ولا تستغرق وقتا وكفى . .

٣ — التربية الأساسية في الخطب المنبرية :

لفضيلة الأستاذ الشيخ علي رفاعي

كتاب جديد نشرته مكتبة صبيح بالأزهر للأستاذ الشيخ علي رفاعي المفتش العام للوعظ بالأزهر الشريف ، قدم له فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

فضيلة المؤلف له عدة كتب في هذا المجال — مجال الخطب المنبرية وهي ذات أثر فعال في قلوب المسلمين ، كما يقول الأستاذ الأكبر ، والكتاب استوعب بين دفتيه أربعا وستين خطبة منبرية في الوحدة الإسلامية ومقاومة المبادئ الهدامة ، ومكافحة الاستعمار ، وتعقب التبشير والمبشرين وفي فرائض الإسلام وأخلاق المؤمنين ، وفي كثير من المعاني الإسلامية . وفي التكافل الاجتماعي ، وأدوار المجتمع وغير ذلك . .

فضيلة أستاذنا الشيخ علي رفاعي يتناول موضوعاته بأسلوب عصري جيد ، فيه كثير من نضوج الفكر وسعة الأفق ، والتجاوب مع الأحداث الاجتماعية والسياسية في بلادنا الإسلامية . إلا أن عنوان كتابه في هذه المرة (التربية الأساسية في الخطب المنبرية) يوحي بأن الكتاب دراسة عن الخطب المنبرية وأثرها في التوجيه والتربية ، ولكن الكتاب جاء مجموعة قيمة من الخطب فيها تطور وتجديد ، وكنا نود على الأقل أن يقدم الكتاب بتمهيد مسهب يكون وثيق الصلة بعنوان الكتاب الجليل في موضوعاته .

٤ — المرجع في التربية الإسلامية :

لفضيلة الشيخ علي المنصوري

نشرت هذا الكتاب دار القومية العربية للطباعة والنشر بالقاهرة ، وفضيلة المؤلف ممن قطعوا أمدا بعيدا مجاهدا في سبيل الإسلام . فهو رئيس جماعة التربية الإسلامية بشبرا ، والكتاب مجموعة من البحوث عن القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، في ثلاثة أبواب : الباب الأول يتناول العقائد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والإيمان ، التوحيد ، الملائكة ، القرآن ، الرسل ، اليوم الآخر ، والباب الثاني يتناول الإسلام وأركانه الخمسة ، والباب الثالث يتناول المأثورات . كالاستخارة والدعاء ..

عنوان الكتاب ، الموجز في التربية الإسلامية ، لا يفهم منه إلا أن يكون تربويا خالصا ، ولكن فضيلة الشيخ جعل منه دائرة معارف صغيرة ، للفقه والتوحيد والتفسير والحديث وعظات السلف وما إلى ذلك ، وإن كان ما استوعبه الكتاب كله إسلاميات معتمدة على الكتاب والسنة . إلا أن الواجب أن يكون الموضوع مرتبطا كل الارتباط بعنوانه ، وكنا نود أن يربط فضيلة المؤلف على الأقل بين الموضوعات التي تطرقها وبين التربية . إلا أن جانب الفقه غلب على الطابع التربوي ، ونحن لا ننكر بعد ذلك أن فضيلته عرف بالإخلاص فيما يكتب والغيرة على الإسلام وقيمه في كل نشاطه .

٥ — المدينة المنورة في التاريخ :

للأديب الأستاذ عبد السلام هاشم

هذا الكتاب نشرته دار الجهاد بعابدين ، والمؤلف أديب وشاعر حجازي هاجر من المدينة إلى القاهرة واعتبرها وطنه الثاني .

موضوع الكتاب له أهميته من حيث موضوعه ، فهو دراسة تاريخية مركزة ، تبحث عن بداية تكوين المدينة منذ عهد ما بعد الطوفان ، ثم عن أسمائها التي بلغت خمسة وتسعين اسما ، كان آخرها ، المدينة المنورة ، كما سماها الرسول ، وقبله يثرب نسبة إلى اسم أول ساكنيها ، وتبحث الدراسة عن معالمها ومآثرها ، وتعرض قبسا من السيرة الشريفة ، وبيوت الله فيها ، وتلقي أضواء من التاريخ القديم والحديث على أحداثها ، ثم تقدم الدراسة عددا من أعلام المدينة الأقدمين والمعاصرين ، كما تقدم هذه المدينة الخالدة في العصر الحديث ، والمؤلفات التي كتبت عنها قديما منذ القرن الثاني الهجري مثل كتاب الأوس والخزرج لأبي عبيدة المثنى البصري وفضائل المدينة لابن الجوزي ، والإمارة في الزيارة لابن حجر ، وفضائل المدينة مرة أخرى لابن عساكر ، وغير هذه كثير ..

لموضوع الكتاب أهميته كما قلت إلا أن المؤلف عمد إلى خلط لا مبرر له ، حيث لا ارتباط له بالكتاب . كموضوع من بناة النهضة في الحجاز ، قدم منهم فقط فضيلة الشيخ محمد سرور الصبان ، وأياديه على الفكر والأدب والدراسات الإسلامية . وهذا حق لا نكران عليه . لولا أن فقدان الصلة قائم بين هذا الباب وموضوع الكتاب ، والمؤلف يترجم لنفسه مع التراجم للأعلام وهذا اتجاه غير منطقي إذ غيره يترجم له . ولو أنه وضع الترجمة مستقلة في أول الكتاب أو آخره كتعريف بالمؤلف لكان هذا أسلم ..

والكتاب بعد ذلك جدير بتقديرنا ..

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بريد المجلة

برقية الإمام إلى الرئيس :

من محمود شلتوت شيخ الأزهر :

إلى ابن العروبة والإسلام الرئيس جمال عبد الناصر .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ـ وبعد :

فقد شرحتم صدورنا بما أعلنتم من تخطيط يعلي كلمة الحق ويحفظ ميزان العدل . ويرسي قواعد الحرية والكرامة ...

ولقد أرضيتم أرواح الشهداء بما حققتم من آمال . وما وصلتم إليه من نصر ...

فمن أجل الحق الذي ضعف عنه أنصاره كانت ثورة الشعب بقيادتكم ...

ومن أجل العدل الذي اختلت موازينه كانت تضحيتكم وفدائيتكم ..

ومن أجل الحرية السليمة والكرامة المهدرة كان كفاح السنين العشر في حرب أعداء الحرية وخصوم الكرامة ...

ومن أجل هذه المعاني الإنسانية الكريمة كانت الرسالات الإلهية التي تضمنت النظم الصحيحة لحياة الجماعة الإنسانية ...

ومن هذه المعاني الإنسانية الكريمة كذلك اتخذ الله لرسالاته المواثيق أساسا ومتكأ ، أخذها على عباده . أخذها على الأنبياء والمرسلين . أخذها على العلماء ، أخذها على الحكام ، أخذها على الأفراد والجماعات كذلك.

وإني باسم الإسلام وباسم الأزهر ، وباسم الملايين المتطلعة إلى انبثاق الفجر الصادق في جوانب حياتها . أهنئكم بتوفيق الله لكم ، وأهنئ الأمة المصرية والوطن العربي بما تضمنته مشروع الميثاق الوطني من مصابيح هادية على طريق الحق والعمل والخير من أجل رفاهية الكادحين والعاملين في سبيل الله

نفع الله بكم أمته ودينه ، وسدد على الهدى خطاكم ، ونصركم بالحق ، ونصر الحق بكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

شيخ الأزهر

عود إلى التسمية في بدء القراءة

كان الأستاذ محمد محمد الشرقاوي من علماء الإسكندرية مصراً على إنكار التسمية في أول القراءة ـ سواء : أكانت القراءة من أوائل السور ، أو من أثنائها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان اعتماده على قوله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ويرى الأستاذ فى مقاله الأول أن التسمية فى أى موضع تعتبر زيادة على النص بالاستعاذة . وهذه الزيادة تكون ناسخة للنص دون مسوغ للنسخ .

وقد نشرنا تعليقا على هذا بأن الزيادة غير موجودة ، إذ أن الاستعاذة والتسمية مأخوذان من نصوص القرآن نفسه ، والجمع بين النصين فى موضع كل منهما لا يسمى نسخا .

وكذلك نشر الأستاذ الحسينى هاشم من علماء الزقازيق بحثا واسعا قويا يفند فيه بحث الأستاذ الشرقاوى ويثبت مشروعية التسمية على الوجه الذى رآه العلماء . وينبغى الاختصار .

ولكن الأستاذ الشرقاوى عاد إلى الكلام فى هذا بشىء من التعديل فى كلامه .

إذ قصر إنكاره على التسمية فى أواسط السور ، وسكت عن التسمية فى أوائلها . فكأنه سلم به وهذا جانب من الإنصاف نحمده له .

غير أن الأستاذ يتشبث بالإنكار فى أواسط السور ، وكل اعتماده فى هذا على ما ذكره من إجماع القراء على أنه لا تسمية فى أواسط السور .

وظن الأستاذ أن إجماع القراء وحدهم يقوم حجة مطلقة على جميع المفسرين والمحدثين والفقهاء . مع أنه ليس كذلك ، بدليل ما نقل عنهم .

إذ هؤلاء يقولون بالتسمية ، وظاهر الأدلة معهم .

وإذا كان الأستاذ يقول : إن أقوال هؤلاء معارضة بأقوال القراء ، فكذلك نقول له : وإن أقوال القراء - وهم قلة - معارضة بأقوال هذه الكثرة من الأئمة ومن الخير أن يقتصد الأستاذ فى هذا الجدل فى شأن موسع ، ولا حرج مطلقا فى القول به - بل هو أوفق لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أعماله .

فقد كان يذكر التسمية فى كل شىء ، حتى فى دخوله الخلاء ونحو ذلك .

وهناك أشياء جديرة بالبحث والعناية ، وهى أولى بالتفاهم فيها فضلا عن أن القراء يجيزون للقارئ أن يختار التسمية فى الأثناء - وكفى .

عبد اللطيف السبكى

وضع الزهور على القبور :

دارت مناقشات فى بعض الأندية حول هذه العادة وكيف نشأت . فمن قائل إنها غربية ، ومن قائل إنها شرقية إسلامية . والرأى الثانى هو الصحيح ، فقد جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : مر النبى عليه السلام بقبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة، قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا، والحكمة في ذلك أن كل حي ونام يسبح الله دون الميت واليابس، وفي الحديث الشريف إشارة إلى أنهما يسبحان ما دامتا رطبتين دون ما إذا يبستا، وهذا الإشراق الروحي للرسول عليه السلام حيث يشاهد تسبيح النبات والجماد من خصوصياته، وقد يكشف الحجاب لبعض الأطهار من أمته حتى يسمع تسبيح الكائنات كما حصل ذلك لبعض الخواص من أهل الطريق، ولا زالت هذه العادة عند العامة في جميع البلاد متأسية بالرسول الطاهر، ثم أبدلت بالزهور عند الخاصة، والتسبيح من كليهما واقع، والتخفيف - على النرجي - بيد الله سبحانه وتعالى وهو الرحمن الرحيم.

عبد السلام الخضيري

رأي آخر:

قرأت في إحدى المجلات كلاما لبعض رجال اللغة يخطئ فيه كاتبا كبيرا في إدخاله أن على الفعل المضارع الواقع في خبر كاد ويقول: إن ذلك هو القياس المطرد إلى آخره، وهذا القول غير صحيح من عدة أوجه: إذ أن الرأي المتفق عليه عند النحاة أن (كاد) يترجح تجرد خبرها من أن كقوله تعالى: «يكاد زيتها يضيء»، «وما كادوا يفعلون» فيكون الكثير في خبرها أن يتجرد. كما أنه يجوز اقتران خبرها بأن مع القلة، وهذا بخلاف ما نص عليه الأندلسيون من أن اقتران خبرها بأن مخصوص بالشعر.

وقد جاء مقترنا بأن في غير الشعر كقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (وما كدت أن أصلي العصر حتى كادت الشمس أن تغيب) والحديث الشريف متفق مع القرآن في أن القرآن لا يأتي باللغات الشاذة وإلا لما كان معجزا وكذلك الحديث لا يأتي باللغات الشاذة، والله تعالى يقول: «وما ينطق عن الهوى» وقول الشاعر:

كادت الشمس أن تفيض عليه
منذ ثوى حشو ربطة وبرود

والشعر العربي إذا تعددت فيه الأمثلة لا يكون ذلك ضرورة ولا شاذا وإنما هو قاعدة مسلم بها.

فاروق أحمد سلام

التقليد بمعنى المحاكاة:

أنكر أحد المدرسين على تلاميذه استعمال التقليد بمعنى الاقتداء والمحاكاة لأنه لم يرد في كتب اللغة، وهذا ليس بصحيح، فقد جاء في لسان العرب وشرح القاموس ومعيار اللغة وأساس البلاغة وغيرها ما نصه:

قلدتها قلادة جعلتها فى عنقها . ومنه التقليد فى الدين ، وتقليد الولاة الأعمال ، وهو مجاز كأنه جعل قلادة فى عنقه ...

وجاء فى كتاب التعريفات للجرجانى : التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقدا للحقيقة من غير نظر وتأمل فى الدليل ، كأن هذا المتبع (وهو المقلد) جعل قول الغير أو فعله قلادة فى عنقه ، والتقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل . اه

ومن هذه النصوص يظهر لك أن المعنى الأصلى للتقليد واحد وهو وضع القلادة فى العنق ، ثم استعمل فى غيره على سبيل التجوز والتشبيه والاستعارة ، وقد ألفت كتب ووضعت بحوث فى التقليد ولم يطعن فيه أحد لأنه يرجع إلى معنى عربى صحيح .

عبد الله معروف

معنى النكتة حقيقة ومجازا :

جاء فى شرح القاموس : النكتة النقطة ، ونقل شيخنا عن الفنارى فى حاشية التلويح هى اللطيفة المؤثرة فى القلب من النكت كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل الحاصلة بالنقل المؤثرة فى القلب التى يقارنها نكت الأرض غالبا بنحو الإصبع .

وفى التعريفات : النكتة هى مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر ، من نكت الأرض برمحه : أثر فيها ، وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر فى استنباطها . اه

وفى الكليات : النكتة هى المسألة الحاصلة بالتفكير المؤثرة فى القلب التى يقارنها نكت الأرض بنحو الإصبع غالبا .

والبيضاوى أطلق النكتة على نفس الكلام إذ قال : هى طائفة من الكلام منقحة مشتملة على لطيفة مؤثرة فى القلوب .

وقال بعضهم : هى طائفة من الكلام يؤثر فى النفس نوعا من التأثير قبضا أو بسطا ، وفى بعض الحواشى : هى ما يستخرج من الكلام . وفى حاشية الكشاف ، نكت الكلام أسراره ولطائفه لحصولها بالتفكر ، ولا يخلو صاحبها غالبا من نكت للأرض بنحو الإصبع .

وجمعها نكت ونكات وفى أساس البلاغة ومن المجاز جاء بنكتة ، ونكت فى كلامه تنكيتا . ورجل منكت ونكات ، وقد ألفت كتب باسم (التنكيت والتبكيت) .

ومن هنا يظهر لك تطور الكلمة وصحة استعمالها فى الفكاهة ونحوها .

محمد أحمد عمر

وسم الكبش ودواء الكلب :

قرأت فى مجلة سعودية لأديب فاتنى اسمه كلمة يقول فيها : « وكان المرضى فى الجاهلية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأولى يتداوون بدم (الكبش) فى شفائهم من داء الكلب ... إلخ» .

وقد اختلط على الأديب الطريق وفهم ما قرأ على لفظه الوارد دون المقصود منه . فالكبش فى لغة العرب معناه السيد أو الرئيس. وفلان كبش القوم أى سيدهم ورئيسهم . قال عمرو بن معد يكرب :

نازلت كبشهم ولم
أر من نزال الكبش بدا

وبعض الأعراب فى الجاهلية الأولى كانوا يعتقدون أن دم الرئيس يشفى من داء الكلب وفى ذلك يقول شاعرهم :

بنساة مكارم وأساة جرح
دماؤهم من الكلب الشفاء

ويقول غيره :

أحلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم تشفى من الكلب

ولست أدرى ما فضل دم الرئيس على دم المرءوس فى شفاء الكلب إن كان ثم شفاء ؟

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر فإنى أذكر أن العرب كان من عاداتهم الفاشية إلى يومنا هذا أنهم إذا رحل عنهم الضيف الثقيل وكرهوا عودته كسروا فى أثره شيئا من الأوانى . وفى ذلك يقول شاعرهم :

كسرنا القدر بعد أبى سراح
فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا

ويقول غيره :

ولا نكسر الكيزان فى إثر ضيفنا
ولكننا نكفيه زادا ليرجعا

وبعد فمعتقدات القوم فى الجاهلية كانت جلها أباطيل ، والله الهادى إلى سواء السبيل.

محمد نعمان

ملاحظات على بعض الأوهام

فى الكتاب العربى المخطوط :

للدكتور صلاح الدين المنجد

نشر الدكتور صلاح الدين المنجد وهو مشهور معروف بكثرة النشر والتأليف — (الكتاب العربى المخطوط) محتوياً على نماذج المخطوطات إلى القرن العاشر . ومع حرص الدكتور على أن يكون الكتاب كاملا فقد وقع فى بعض الأوهام التى كنت أود لو تنبه لها . وهذا بعضها : —

١ — فى اللوح رقم ٧٤ نشر صورة خاتم على كتاب عيون الأنباء يفيد أن الكتاب نسخ للسلطان سليمان بن غازى بن محمد الأيوبى . ثم ذكر تحت الصورة أن هذه النسخة نسخت سنة ٨٢١ برسم خزانة السلطان سليمان العثمانى . فأخطأ ثلاثة أخطاء : —

(أ) لا يوجد فى الخاتم أى لفظ يشير إلى السلطان العثمانى سواء فى اسم أبيه أو جده أو نسبته .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(ب) السلطان سليمان العثمانى ولد سنة ٩٠٠ فلا يعقل أن تكون له خزانة تنسخ برسمها الكتب سنة ٨٢١ أى قبل مولد السلطان بتسع وسبعين سنة .

(ج) اسم الأيوبى واضح فى الخاتم المصور . وقليل من التروى يدل على أن المراد هو السلطان سليمان بن غازى الأيوبى صاحب « حصن كيفا » المتوفى سنة ٨٢٧ بعد ملك دام نحو خمسين سنة .

(٢) نشر اللوح رقم ٦١ ضمن مخطوطات القرن العاشر مع أنه مخطوط سنة ٩٠٠ فكان يجب وضعه ضمن نماذج القرن التاسع الذى انتهى بهذه السنة .

(٣) ذكر أسفل اللوح رقم ٣٨ أن القاضى عياض توفى سنة ٥٩٤ والصواب قبل ذلك بخمسين سنة أى سنة ٥٤٤ .

(٤) ذكر فى اللوح رقم ٢٢ أن وفاة الطبرى سنة ٣١١ والصواب سنة ٣١٠ .

وهناك بعض المآخذ التى كنت أود للدكتور ألا يجعل لها إليه سبيلا مثل : —

(١) نشر الكتاب خلوا من تاريخ العرب بل تاريخ الإسلام . ولست أفهم كيف تنشر جامعة الدول العربية كتابا عن المخطوطات العربية ثم يهدر فيه التاريخ العربى — إن هذا البلاء الذى ورثناه عن الغرب والذى أخذ يستشرى يجب أن يكون له حد .

(٢) نشر فى اللوح رقم ١٠ صفحتين من مصحف يدل شكل الصورة على أنهما متواليتان ولكن التى بها الآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل والتى بها الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من نفس السورة مما يؤكد أن هذه الصورة لورقتين من أوراق غير مرتبة من مصحف (دشت) وكان يجب عليه الإشارة إلى ذلك لأن قراءة الصفحتين تحدث تشويشا لغير الحافظ .

(٣) غفل الدكتور المنجد عن تصوير مؤلفات بخطوط مؤلفيها — وهم من أعلام الإسلام أو عليها خطوطهم وهما أهل ما هو أولى بالنشر مما صور مثل : —

١ — رسالة الإمام الشافعى رضى الله عنه وعليها خط « الربيع » المتوفى سنة ٢٧٠ وتاريخ الخط فى ذى القعدة سنة ٢٦٥ .

٢ — أخبار سيبويه (وهو غير النحوى المشهور) تأليف ابن زولاق المصرى بخط المؤلف سنة ٣٨٦ .

٣ — مقامات الحريرى منقولة من خط مصنفها وعليها خط الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ .

٤ — التحرير فى شرح الجامع الكبير بخط مؤلفه سنة ٦١٦ — وهو الإمام جمال الدين محمود الحصيرى المتوفى سنة ٦٣٦ .

٥ — التيسير فى التفسير لعبد العزيز بن أحمد الديرينى بخط المؤلف سنة ٦٧٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٦ — جزء من الطبقات الكبرى لابن السبكى المتوفى سنة ٧٧١ بخطه .

٧ — المصباح المنير بخط مؤلفه الفيومى سنة ٧٣٤ .

٨ — مختصر البداية والنهاية والمنتقى من مغازى الواقدى وتعليق من تاريخ ابن عساكر كل ذلك بخط ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ .

٩ — شرح القصيدة التائية لعز الدين الكنانى والشرح للفيروزبادى صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٦ وبخطه .

وهذه الكتب جميعها موجودة فى معرض دار الكتب المصرية أى أنها سهلة المنال وأهمية مؤلفيها كانت تستوجب تصوير خطوطهم .

٤ — اللوح ٥٣ عبارة عن الصفحة الأولى من مشيخة المراغى المتوفى سنة ٨١٦ واللوح ٥٤ الصفحة الأخيرة من نفس الكتاب وكانت تكفى فى التصوير لأن المراد النماذج وكان يجب تصوير كتاب آخر من المخطوطات المهمة فى اللوح ٥٣ .

٥ — بدأ الدكتور بنماذج القرن الثالث فهل نفهم من هذا أنه لا يوجد اليوم مخطوطات من القرنين الأول والثانى وإلا فما هى الحكمة فى أن الدكتور أغفل تصوير نماذج القرنين المذكورين ؟ .

هذه هى المآخذ والملاحظات التى لاحظتها على الكتاب المذكور ولا يسعنى فى الختام سوى إسداء الشكر للدكتور على الجهد القيم الذى بذله فى الكتاب المذكور والله سبحانه وتعالى الموفق والهادى للصواب وإليه المرجع والمآب .

عبد السلام محمد النجار
روضة خيرى باشا — دسونس بحيرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أضابير لجنة الفتوى

باب يشرف عليه : إبراهيم محمد الأصيل

تحت هذا الباب ستنشر المجلة ابتداء من هذا العدد مختارا مما أصدرته لجنة الفتوى بالأزهر فى شئون مختلفة تعميما للفائدة المرجوة وإجابة للرغبات المتجددة التى تدعو أصحابها إلى الاستفسار عن موضوعات سبق اللجنة للوقوف الإفتاء فيها .

حكم تمثيل الشخصيات الإسلامية ، ومن لم يثبت إسلامهم ولهم عون أكيد للنبى الكريم فى دعوته .

السؤال :

١ — ما حكم الشريعة الإسلامية فيمن يمثل الشخصيات الآتية على شاشة التليفزيون :

١ — الصحابة ، وهل منهم من يجوز ظهور من يمثله علنا بأن بلالا قد ظهر من يمثله فى فيلم ظهور الإسلام وخالد بن الوليد فى فيلم « خالد بن الوليد » ؟

٢ — بنات النبى صلى الله عليه وسلم ؟

٣ — أبا طالب ممن لم يثبت إسلامهم وكان لهم عون أكيد للنبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته وكذلك التابعين وتابع التابعين ؟

٤ — مسلمين ومسلمات لم تثبت صحبتهم للرسول وعلى الأخص طالب بن أبى طالب ؟

الجواب :

إن التمثيل فى ذاته وسيلة ثقافية سواء كان على المسارح أو الشاشة أو التليفزيون فإن كثيراً من وقائع التاريخ ، وأحداث السياسة ومواقف الأبطال فى ساحات الجهاد ، والدفاع عن الأوطان ينبغى أن يتجدد ذكرها وينادى بها لتكون فيها القدوة الحسنة للأجيال الحديثة . وخير وسيلة لإحياء تلك الذكريات أن يكون القصص عنها بتمثيلها تمثيلا واقعيا ، غير أن التمثيل قد يتجاوز الأهداف الجدية ، ويتخذ وسيلة للترفيه الممنوع ، وبث الدعاية نحو أغراض غير كريمة ، وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ حول شخصيات من السابقين ، والتاريخ يكون مشوبا بما يحتاج إلى تمحيص من العصبيات .

وبما أن السابقين من الصحابة رضى الله عنهم لهم مقام كريم ، وشأن خاص بين جماعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المسلمين ، وبما أن تمثيلهم على المسارح أو الشاشة قد ينحرف بهم إلى ما يمس بشخصياتهم أو عن تاريخهم الحق — لما يتعرضون له أحيانا من أكاذيب القصاصين أو أهواء المتعصبين لبعض ضد البعض الآخر من جراء الفتن والخلافات التي قامت حولهم في أزمانهم وانقسام الناس في تبعيتهم إلى طوائف وأشياع بسبب الدسائس بينهم — فإن اللجنة إزاء هذه الاعتبارات تفتي بما يأتي :

أولا — عدم جواز ظهور من يمثل كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين ومعاوية وأبنائهم رضي الله عنهم جميعا لفضائلهم ولما لهم من المواقف التي نشأت حولها الخلافات ، وانقسام الناس إلى طوائف مؤيدين ومعارضين .

أما من لم ينقسم الناس في شأنهم كبلال وأنس وأمثالهما فيجوز ظهور من يمثل شخصياتهم بشرط أن يكون الممثل غير متلبس بما يمس شخصية من يمثله .

ثانيا : عدم جواز ظهور من يمثل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته ، لأن حرمتهن من حرمته عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الله في شأن نسائه « يانساء النبي لستن كأحد من النساء » وبناته بذلك أولى .

ثالثا : من لم تثبت صحبته من الرجال المسلمين وكذلك التابعون وأتباعهم لا مانع من ظهور من يمثل شخصياتهم متى روعي في التمثيل ما من شأنه ألا يخل بكرامة المسلم .

وأما النساء المسلمات فيجب الاحتياط في تمثيلهن أكثر مما يحتاط في تمثيل الرجال المسلمين الذين لم تثبت صحبتهم ، وعلى المرأة التي تقوم بالتمثيل ألا يوجد مع تمثيلها اختلاط بأجنبي عنها من الرجال ، ولا يصحبه كشف ما يحرم كشفه من جسمها ، ولا يكون معه تكسر في صوتها ، ولا حركات مثيرة للغرائز ولو مع ستر الجسم ، إذا كان الأمر كذلك فلا حرمة في التمثيل خصوصا إذا كان التمثيل لغرض علمي يعود على الأفراد والأمة بالفائدة .

وأما إن صحبه اختلاط بالرجال الأجانب أو كشف ما لا يحل كشفه من جسمها أو وجد معه تكسر في صوتها أو حركات مثيرة للغرائز بجسمها ولو مع ستره أو كان لباسها يحدد مفاتن جسمها فإن التمثيل حينئذ يكون محرما على من تقوم بهذا التمثيل .

رابعا : من لم يثبت إسلامه كأبي طالب وغيره ممن له عون أكيد في دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونصرته لا مانع من ظهور من يمثله إذا روعيت صلة مودته للنبي عليه الصلاة والسلام بحيث لا يكون في تمثيله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مايخدش مقامه تقديرا لما كان منه نحو الرسول عليه السلام من مناصرة وعون أكيد .

وردت الأسئلة من :

السيد / عبد الرحيم محمد سرور
الإدارة العامة للتليفزيون

حكم النفقة من زكاة الأموال على جهات النفع العام .

السؤال :

هل يجوز شرعا الصرف من زكاة الأموال فى النفقة على إنشاء وتجهيز المستوصفات الخيرية المخصصة لعلاج مرضى الفقراء بالمجان أو بأجر يسير وكذلك على منشئات دور الحضانة والكفالة التى تخصص لتربية الأطفال الفقراء والأيتام ؟

الجواب :

صرف الزكاة إلى الملاجئ والمستشفيات وغيرها من المصالح العامة جائز شرعا لقوله تعالى فى مصارف الصدقات : « وفى سبيل الله » وقد فسر بعض العلماء سبيل الله بأنه كل جهة خيرية فيدخل فيها تعمير المساجد وإنشاء الملاجئ والمستشفيات وإصلاحها ، وغيرها من المصالح العامة .

ورد السؤال من :

السيد / منير عامر رئيس الجمعية الشرعية لإحياء السنة المحمدية بالإسكندرية

حكم زواج مختلفى الأديان .

السؤال :

ما حكم الشريعة الإسلامية فى المسائل التى تتصل بزواج مختلفى الأديان ؟

الجواب :

الرجل المسلم يحل له أن يتزوج بغير المسلمة إذا كانت من أهل الكتاب بأن كانت يهودية أو نصرانية ولو بقيت على دينها . قال تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » . « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » .

وأما المرأة المسلمة فلا يحل لها أن تتزوج بغير المسلم مطلقا سواء أكان كتابيا أو مجوسيا أو مشركا لأن الرجال قوامون على النساء وقال تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

ورد السؤال من : ا . ا . وادا بهادى
(جنوب إفريقيا ـ جوهانسبرج)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حكم عقد القران فى شهر المحرم .

السؤال :

هل يوجد فى الشرع ما يحرم عقد القران فى شهر المحرم أم أن ذلك عرف جرى عليه الناس ؟

الجواب :

لا يوجد فى الشرع ما يحرم عقد القران فى شهر المحرم وما تعورف عليه عند بعض الناس فعرف فاسد لا أصل له .

ورد السؤال من : السيد / سيد حسين

حكم الذبائح فى النحر الواجب .

السؤال :

فى موسم الحج وفى النحر الواجب تكثر الذبائح كثرة عظيمة حتى إنه ليفسد كثير من اللحوم لعدم وجود محتاجين إليها فهل تجزئ القيمة ؟ وفى أى زمان ومكان ؟

الجواب :

إن إراقة الدم مقصود للشارع فلا يجزئ عنه إخراج القيمة . وأما فساد اللحم فيمكن تداركه بواسطة تجفيفه والانتفاع به ولو بأن يقوم بذلك المسئولون فى البلاد الإسلامية .

ورد السؤال من: السيد / فهمى الطلباوى

حكم استعمال دواء يزيل آلام الوضع .

السؤال :

ما هو موقف الدين الإسلامى من قضية استعمال علاج يزيل آلام الولادة أثناء عملية الوضع ، وصلت إلى استنباطه بتجاربى واختباراتى الخاصة ، وشرعت باستعماله بنجاح تام ؟

الجواب :

إن استطاع الطبيب بعلمه وتجاربه أن يخترع دواء لإزالة آلام الولادة فذلك عمل إنسانى يبيحه الدين ، ففيه معونة للمريض ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه . كما أن فى هذا إزالة للحرج والمشقة وذلك مما يدعو إليه الدين ويقره ، والله تعالى يقول : « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » ، ويقول « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الدين يسر) .

ولا مانع من استعمال هذا العلاج إذا لم يكن من مادة محرمة ممنوعة شرعا ولم يصحب ذلك محظور شرعا كنظر أجنبى أو مباشرة عملية الوضع من غير ضرورة ، فإن صحب استعماله شىء من هذا كان محظورا شرعا ، وإن كان الاختراع فى حد ذاته عملا إنسانيا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع ملاحظة أنه عند العلاج يقدم الطبيبات فإن لم يكن فالطبيب الحاذق المعروف بحسن الخلق والعدالة .

ورد السؤال من : السيد الطبيب سامي فؤاد طراد - ببيروت

حكم إقلاق راحة الجار بالزار .

السؤال :

بجوارى جار دأب على عمل الزار في أوقات كثيرة مما أدى إلى إقلاق راحة السكان المجاورين لبيته كما يصاحب الزار كثير من الأشياء المخلة بالشرف والآداب العامة فما الحكم ؟

الجواب :

إن إيذاء الجار بمثل ما تذكر من حفلات الزار وغيرها ممنوع شرعا يجب العمل على إزالته تنظيفا للمجتمع من مثل هذه العادات المرزولة وعلى المتسبب فى هذه المنكرات أن يكف وإلا فللحاكم تأديبه حتى يمتنع .

ورد السؤال من :

أحمد محمود على - باب الشعرية

حكم التوسل بالأولياء وما يصحبه .

السؤال :

ما حكم التوسل بأولياء الله الصالحين والتقرب إليهم بالقرابين كذبح الذبائح والسجود لهم حينما يدخل الناس مقابرهم ؟

الجواب :

إن التوسل إلى الله بأولياته الصالحين باعتبار أنهم أعظم عند الله شأنا وأقرب إليه من غيرهم بعملهم الصالح أمر لا شيء فيه ما دام ذلك لم يؤد إلى ارتكاب محرم ، وأما ذبح الذبائح لهم فإن قصد الفاعل النذر لنفس الأولياء فالنذر باطل والوفاء به حرام . وإن قصد بذلك انتفاع الفقراء فهو جائز لا شيء فيه لأنه نوع من الصدقة ، ولا يلزم بنقل الذبائح إلى محال الأولياء بل له أن يذبحها بمكانه هو ويوزعها على فقراء بلده إلا إذا قصد الفقراء الذين يوجدون بحى الأولياء فيجب عليه الوفاء بما نذره .

وأما السجود فلا يجوز لغير الله تعالى فيحرم السجود للبشر تعظيما لهم لا فرق بين الأولياء وغيرهم .

ورد السؤال من :

عمران محمود عمران

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق عبد الرحيم فودة

مع هلال المحرم :

جرت عادة المسلمين أن يذكروا مع هلال شهر المحرم من كل عام هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وما كان لها من أثر بالغ في انتصار دعوته ، وانتشار رسالته وإظهار دينه .

والحديث عن الهجرة طالما تردد وتجدد ، وانطلقت به الألسنة ، وجرت به الأقلام ، واهتزت له الأفئدة ، ومع ذلك ظل عذبا رطبا قويا أخاذا فتاذا ، وسيظل كذلك ما بقي هذا الدين القويم يعمر قلوب مئات الملايين من المسلمين

وإذا كان الحديث يمل بالتكرار وكثرة التذكار ، فإن حديث الهجرة تتلقاه القلوب دائما بإحساس وليد ، وشعور جديد ، لأنه ينطوي على معان ومثل ومبادئ خالدة لا تبلى جدتها ، ومن ثم كان لهذه الذكرى مالها من جلال وجمال .

وأي جلال أروع من تمثل منظر محمد صلى الله عليه وسلم مع صديقه أبي بكر رضي الله عنه وهما في غار أحدق به الكفار وأطبقوا عليه بخيلهم ورجلهم ، يقول له أبو بكر وهو خائف واجف : لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا . فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم في ثقة بالله وإيمان به واطمئنان إليه : لا تحزن إن الله معنا .

وأي جمال أجمل من تخيل منظر هؤلاء وقد احتشدوا للفتك بمحمد وصاحبه ثم وقفوا حول الغار يتلفتون يمنة ويسرة ، ويسائلون الأرض والسماء والفضاء والصحراء عن محمد ومكان محمد . فلا تجيبهم السماء ، ولا ترد عليهم الصحراء ولا يتحرك لهم الفضاء إلا بأصداء النداء .. ثم يرتدون بخيبة المسعى ، لأن يد الله أقوى منهم ، وتقديره فوق تقديرهم ، وتدبيره فوق تدبيرهم .

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأى مثل للتضحية فى سبيل العقيدة . والفناء فى سبيل المبدأ ، والشجاعة فى الجهر بالحق أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم وقد ترك أهله ، ووطنه ، واستهان بكل ما فى الدنيا من مغريات ، وسخر من كل ما سمع من وعد ووعيد ، وتحدى كل قوى الإرهاب والتهديد ، ثم مضى بدعوته يلتمس لها أفقا أرحب تشرق منه ، وأرضا أخصب تنمو فيها ، ووجوا أطهر تتنفس فيه ، وعونا أكبر تعتمد عليه ، حتى إذا أظهر الله دينه ، وأتم نعمته ، وأظفر المؤمنين على الكافرين ، ومكن لنبيه صلى الله عليه وسلم من رقاب أعدائه ، لم يشف منهم حقده عليهم ، لأن نفسه كانت أعلى من أن تحقد ولم تمتد يده إلى أحد منهم بسوء لأن يده كانت أطهر من أن تنتقم ، وإنما مديد الصفح عنهم ، وأظهر لهم ما عرف به دائما من سماحة نقية ، وعفو جميل « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

إن جوانب الجمال والجلال فى ذكرى الهجرة أرفع من أن ترقى إليها الأقلام بالتصوير ، وأوسع من أن تستوعبها الأفهام بالتأمل . ومن ثم كانت حقيقة بأن يحتفل لها المسلمون مع هلال شهر المحرم من كل عام ، جديرة بأن تحظى من الناس أجمعين بآيات التجلى والتقدير ، لأنها قصة مثالية واقعية ، تحمل إلى البشر مالا تحمله قصة أخرى من العبر .

(ع . ف)

[من جريدة الزمان عام ١٩٥١]

بشارة من التوراة والإنجيل :

جاء فى التوراة فى السفر الخامس تثنية « ٣٣ » « ٢ » .

« أقبل الله من سينا ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران ومعه ربوات الأطهار عن يمينه » قال ابن القيم فى كتابه « هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى » : وهذه بشارة متضمنة للنبوات الثلاث ، نبوة موسى ونبوة عيسى ، ونبوة محمد . فمجيئه من سينا وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ونبأه عليه أخبار نبوته ، وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس . وساعير قرية معروفة هناك إلى اليوم ، وهذه بشارة بنبوة المسيح ، وفاران هى مكة التى ظهر فيها النبى محمد صلى الله عليه وسلم » .

ولقد جاء فى قرآننا العظيم نص مشابه حيث يقول الله عز وجل : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » .

ودليلنا على أن فاران هى مكة أن التوراة ذكرت عن اسماعيل أنه فارق أباه وسكن

فى برية فاران ... وأن نبوة من ذريته تظهر وتملأ السهل والجبل .

وكانت هذه الكلمات تحدد معالم النبوة المحمدية وتبشر بها وتمهد لها كما ذكر القرآن الكريم « الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » .

من كتاب المستقبل للإسلام :
للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

صباح المتألق :

شاق الوجود صباحه المتألق
يوم بمولد نور طه يشرق
مر حوته من السماء سريرة
نشوى بأنوار النبوة تحقق

للشاعر (حسن جاد)

هذا هو التصوف :

قال أبو الفتح البستى رضى الله عنه :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا
وظنه البعض مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الوصف غير فتى
صفا فصوفى حتى سمى الصوفى

وأنا لا أريد أن أشغل بالحديث عن خلافات المتقدمين والمتأخرين فى أصل اشتقاق هذا اللفظ ، وهل هو من الصفاء أو الصوافة أو الصفة ، أو أن مرده إلى غير ذلك من علل التسمية ، فذلك أمر لا طائل تحته ، وما يرجى من البحث وراءه لا يستحق أى عناء .

وإنما الذى يجب أن يفهم منه أنه اسم دال على صدق التوجه إلى الله تعالى ، والمتصوف من كان له نصيب من ذلك يدخله فى مقام الإحسان الذى فسره الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، وهذا هو تمام المراقبة ، وهو الأصل الذى يرجع إليه صدق التوجه ويمتد منه حبل الاتصال .

ولا بد للمتصوف من الإيمان ولزوم العمل بالإسلام ، فلا تصوف إلا بفقه تعرف منه أحكام الله الظاهرة ، كما أن العمل بالفقه يقوم على تصوف ؛ لأن العمل على مقتضى ظاهر الشرع يلزم له صدق التوجه على ضوء ما جاء فى القرآن الكريم « يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » ، كما يلزم له سبق النية على ضوء ما جاء فى الحديث الشريف (إنما الأعمال بالنيات) .

ولا وزن للفقه والتصوف إلا بالإيمان ، وتلازم الفقه والتصوف كتلازم الروح والجسد ، ولا حياة إلا بهما معا ، فهما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

متكافئان وقد قال الإمام مالك رضى الله عنه فأصاب كبد الحقيقة: « من تصوف ولم يتفقه فهو زنديق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق » .

فالمتصوف على هذا مسلم مؤمن عرف ربه فخشيه عن علم ، واتبع أمره على فقه ، كما تقرر ذلك فى القرآن بصريح قول الله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

الأستاذ « أحمد حنفى نصار القوصى »

[من مقال بجريدة المغرب عام ١٩٤٨]

يا رسول الله :

المصلحون أصابع جمعت يداك
هى أنت ... بل أنت اليد البيضاء
أدعوك عن قومى الضعاف لأزمة
فى مثلها يلقى عليك رجاء
أدرى رسول الله أن نفوسهم
ركبت هواها ، والقلوب هواء
متفككون فما تضم نفوسهم
ثقة ، ولا جمع القلوب صفاء
رقدوا وغرهمو نعيم باطل
ونعيم قوم فى القيود بلاء

من ديوان الشوقيات « شوقى »

فى كل مكان :

سأل أحد الصحفيين الرائد الكونى الأمريكى « جون جلين » هل يعتقد أن الله موجود فى الفضاء ؟ فأجاب « جلين » أن الله موجود فى كل مكان ، وليس من العبادة أن يحاول المرء أن يحصر وجود الله فى مكان ما من الكون دون سواه ، ذلك لأن الله أعظم من الكون . وحيثما توجهنا فهو هناك .

وكان جون « جلين » قد صرح فى الخطاب الذى ألقاه أمام « الكونجرس » بعدما عاد سالما من رحلته الكونية التى دار أثناءها حول الأرض فى فبراير الماضى بما يلى :

كلما تقدمت خبرة يزداد إعجابى بمدى ما نعلم من أسرار الكون ، بل بالمجالات الهائلة التى لم نتمكن بعد من استكشافها ، أما الآن وقد أخذت معلوماتنا عن الكون تتسع شيئا فشيئا ، فإنى أرجو أن ينعم الله علينا بأن نستفيد من هذه المعلومات بحكمة ودراية وتبصر .

[من مجلة الحسنى بالرباط]

تعليق :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

قرآن كريم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الطبيعة الفنية :

إن مزايا الشعر كثيرة تتفرق بين الشعراء ويتفرق الإعجاب بها بين القراء ، وقد يحرم الشاعر إحداها أو أكثرها وهو يعد شاعرا لا غبار عليه ، لأنه يحسن نمطا من الشعر تصح به الشاعرية ، كالجمال فى الحسان . ورونقا فى كل وجه بلون وسمة وهو فى جميع الوجوه رائق جميل ، وكاللمحة الواحدة من ملاح الجمال . تحلو فى هذا الوجه وتحلو فى ذاك ولا تشابه بينهما فى غير الحلاوة ، ففى العيون ألف عين جميلة . لا تشبه الواحدة أختها ولا تتفق اثنتان منها فى معانى النظرات ومحاسن الصفات . وليس هناك إلا جمال واحد عند المتكلم على جوهر الجمال .

وكذلك الشعر . يعجبنا فى كل شاعر بطراز مختلف ، وهو شعر سائغ مستملح فى كل طراز ، فالذى يعجبنا من المتنبي غير الذى يعجبنا من البحترى ، والذى يعجبنا من هذين غير الذى يعجبنا من الشريف الرضى أو من أبى العلاء أو من أبى نواس أو من ابن زيدون ، والذى يستحق به كل واحد منهم صفة الشاعرية غير الذى يستحقها به البقية ، فقد تفرقت مزايا الشعر كما قلنا أيما تفرق ، وامتنع الإعجاب بهن جميعا على الحصر والتعريف غير أن المزية التى لا غنى عنها والتى لا يكون الشاعر شاعراً إلا بنصيب منها هى مزية واحدة ، أو هى مزية نستطيع أن نسميها باسم واحد . وتلك هى الطبيعة الفنية.

نتعمد أن نقول : إنها تسمى باسم واحد ، لأنها فى الحقيقة أشياء شتى تدخل فى عموم هذه التسمية .

فالطبيعة الفنية هى الطبيعة التى بها يقظة بينة للإحساس بجوانب الحياة المختلفة ، وهنا ينتهى بنا الإجمال إلى كلمة كأنها كلمات أو كأنها معجم كامل من المصطلحات ...

الأستاذ عباس محمود العقاد

من كتاب « ابن الرومى »

الشعر :

والشعر إن لم يكن ذكرى وعاطفة
أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

(شوقى)

نثر :

نثر تركت به الأشعار حاسدة
فكأن تقطيعها من شدة الحسد

(أحمد الزين)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the moral but also for the physical welfare of society.

Prostitution, the great evil of civilization, which is a real cancer, with its concommitant increase of bastardy, is practically unknown to countries where plurality of wives is allowed as a remedial measure.

IT IS WRONG to suppose that any of the Islamic institutions can ever do wrong to mankind, for Islam aims at the welfare of humanity. If we carefully and with an unprejudiced mind study the law of divorce, we shall find that: it is sanctioned for no other reason but good of Society. Occasions do arise when the separation of a married couple becomes indispensable. The Qur'an sanctions divorce only in cases when all attempts to bring about conciliation between husband and wife fails. It may be added here that, though divorce is allowed by Islam if sufficient cause exists, yet the right is to be exercised under exceptional circumstances. The Prophet Mohammed said: " Of all the things which have been permitted to men, divorce is the most hated by God ".

Thus, it is clear that Islam has not allowed divorce as a general rule, it is only to be exercised in cases when nothing but divorce can help the society.

The Holy Qur'an says: " Your wives have rights against you as you have rights against them ".

Islam is the only religion that imposes itself as a universal religion of all humanity in all times and as such it appears as a natural religion which man embraces, guided by his moral and intellectual faculties without being in need of preiminary apprenticeship.

It offers itself as the first religion revealed to all those who are sent by God, whom people in a state of ignorance wronged by unirue and false commentations with a view to satiate their ambitions and subdue the peoples.

It recommends to its adepts to put faith in all those who are sent by God whether known by their names or remain unheeded.

It uplifts the mind so as to make in the only master in all the disputes that arise concerning faith and the private and social behaviour, thus conferring the mind all the power which belong to it.

It condemns imitation and claims from the believer to establish the truth of his faith.

It claims absolute equality between all, and condemns any sense of nationality.

That is Islam, the Religion of God; open your heart to its light, and try to study and practise the teachings in the Holy Qur'an, leave every fanaticism out of your mind, be just and true.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

There is none like God, from Him all has come and to Him all return. He is the light of the heavens and earth, the Glorious, the Magnificent, the Beautiful, the Eternal, the Infinite, the First and the Last.

ISLAM TEACHS US to respect all the prophets of God, and to believe in them, Mohammad was the last and not the only prophet of Islam. From the begining of the world "Islam" has existed inspired by God, but the people wrongly named it after the prophets of every period. This incorrect step was the root of misunderstanding and fanaticism between various elements of humanity.

God has sent prophets to all mankind, to tell them to fulfil His will and to lead a sound life, and to believe in the resurrection after death, and in the day of judgement.

Erroneously one speaks of fatalism and predestination in Islam : the Muslim believes in direct separation of good and evil, all that is created by God is good, and being used after its true direction will lead to happiness, but if it be abused will lead to evil and sorrow.

Every Muslim believes in the responsibility of his own deeds, and carries his own burdens, and none can take the responsibility of other's sins.

Difference of nations and colours as well as varieties of beliefs are unknown in Islam. In Islam the whole of humanity forms one family, combining the black and white into one unity of brethren.

Many bad ideas are spread by fanatics about polygamy and divorce in Islam.

Islam does not enjoin polygamy nor even permit it unconditionally. It permits polygamy under certain circumstances, and its chief aim is to give protection to the gentle sex. The Holy Qur'an has sanctioned polygamy as an exception to the general rule, and has laid down justic and equaliiy between wives as a necessary condition for it. Polygamy helps the society.

It will be admitted on all hands that men are breadwinners; they take part in strife, struggle and hard out-door duties. They also have to go to the battlefields and face the bullets of the enemy, therefore, their death-rate must be higher than that of the female population; and consequently there must be a huge disparity between the number of men and women as actually happened after the great wars. Polygamy in such cases will be a blessing for those women who cannot easily find husbands to protect them. It is not only the preponderance of females over males that necessitates polygamy in certain cases, but there are a variety of other circumstances which require polygamy to be adopted under exceptional circumstances, not only for

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

WHAT IS RELIGON?

by

MOHAMMED TAWFIK AHMAD

Editor : " Al Bareed Al-Islami "

Religion is the great school, in which God (Allah) has put His law and commandments, to teach all mankind how to live happily during this life, and after death.

But this programme differs according to the long spaces of time, and progress of thought. It is just like the programme of our schools now, beginning with elementary school, then the primary and after the secondary, to reach the high college. God sent His Prophets, every one of them taught the programme of his time. Now we are in the high college, our teacher is the prophet Mohammad, who taught the high programme of the Universal Religion (Islam); its text Book is : The Holy Quran.

Those who don't study and practice this high programme, live in bygone ancient centuries, even when they are living with us now; they are fanatics, their fanaticism that religion never changes in its foundations.

ISLAM MEANS PEACE among humanity and submission to God, every follower of the religion of God (Islam) is called a (Muslim-)-Man of peace. A Muslim learns to believe in one God, possessing all the conceivable good attributes and absolutely free from all defects. The Most Perfect Being, The Originator, The Sustainer, and Ultimate Cause of all things. God is one, there is absolute unity in the Divine nature; it admits of no participation or manifoldness. He has no partener or co-charer, He begets not' He is free from passions. and is indivisible and impersonal

The religion of Islam denies all plurality of persons in God-head, and any participation of any being in the, affairs of the world. God created us to obey His laws, and serve Him and to do good because it is goodness that God loves.

God has begotten neither sons nor daughters. He is the All-Mighty, the All-Knowing, the All-Just, the Cherisher of the worlds, the Master of the East and West, the Auther of the Heavens and the Earth, the Creator of all that exists. He is Loving and Forgiving but also just and swift in reckoning, The friend, the Guide and the Helper.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

of the verses without looking to a dictioary put after the revelation of the Qur'an to serve the principles of a certain sect, and without inclination to a certain type of explanation subjected to weak factors or the orientation of those who tries to humiliate the islamic nation as one of history and message imposed upon it to struggle for them.

This calls to a new revision of the books, thosis and treatise which speak about Islam and be produced to Muslims in their schools, institutes or their common life. As well as it calls to a new revision of the culture which is produced to the people in the mosques, in order to become an expression of the actual reality of the islamic message as a perfect system of the respectful human life. A man being strong in the whole aspects of that life, is really one element of that human life, while in the same time he is polite and self-righteous, especially in manner and treating others.

From all what we before mentioned, we come to conclude that the begining point is to restore the islamic significances to their first meanings, and to take the glorious Qur'an and the correct prophetical sayings as guides in order to define cleary that denotations and not to be influenced by the other operions which were related to Muslims and affected by the different human states which factly are away from the aims of the Islamic message.

"The recompense for an injury is an injury equal therets (indegree), but if a person forgives and makes reconciliation, his reward is due from God." [S. The consultation, V. 40].

This verse clears that man can treat the other the same as he treats him, evil to evil, but it asks believers to be of a higher human standerd and not to meet evil by evil but by forgiveness and mercy.

Forgiveness, when it turned to the meaning of tolerance — in case of the unability to meet evil by evil —, it would surely be another intruder meaning for the forgiveness virtere which Islam had made it one of the distinguished human manner. Indeed, weakness of the Islamic society was the cause of giving that new meaning which is the weakling feature of the islamic society. That feature, by turn, emanated from the untiding of the individual relations and giving no attention to the supreme examples, but they were only struggling to keep their individual life.

If we trace all the significances which represent the islamic virtues, and upon which stands the correct way of the practical behaviour of the beliver one, we shall find tid that they turned and changed to the oppossition of their first sense. And beside that, we shall find that the reason of that change is the society itself. Then if we look for the feature of the society which inspired that change of the significances from their first sense to their oppositions, we shall find also that the individual in the islamic society had changed from his former state. And that change is in no way out of that the belief which filled the first Muslim's heart became lighter in weight or turned from being high examples to worldly needs and trifle objectives in the human life.

Therefore, it is impossible that these significances can be restored to their first sense, except when the Muslim individual be brought up according to the islamic teachings, and when he feeds the islamic Values and represents them in his spirit, belief and manner. Furthermore Muslim can not be brought up on islamic education, unless these significances be turnned to their first sense and be put before him in order to understand and carry them out.

The reformation way, however, is a dual one, but it can be passed in the same time at which the first significances of the islamic understandings be restored and produced to the individuals of the society bearing that meanings.

The way to utilize that, is to carry out the instructions of the holy Qur'an according to the full meaning

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the reach of hand, as in the meantime, it did not consider the meaning of humiliation or at least accept the humbleness in any of its different phases. The glorious Qur'an clears that evidence completely in its verses, it says :

" Soon will God produce a people when He will love as they will love Him, lowly with the believers, mighty against the rejecters" [S. The Table, V. 57.]

"And out of kindness lower to them the wing of humility" [S. The children of Isreal, V. 24.] "But lower your wing (in gentleness) to the believers." [S. The Rocky tract, V. 88.] " And lower thy wing to the believers who follow thee." [S. The poets V. 215.] "Wert thou severe or harsh hearted, they would have broken away from about thee" [S. The family of Imran, V. 259.]

Actually these verses ask man to avoid urging the believers - by any means - to treat their fellows or parents arrogantly. But he should be of a good behaviour with. The Qur'anic expressions "lowly" "And lower your wing" "And lower wing to them" refer to that.

The inclination and deviation from the right significance of modesty to another meaning such as the acceptation of humiliation, keeping in humbleness or being unable to remove the means of that humiliation or humbleness. That surely will be an intruder meaning to the former sense' which the new condition of the islamic society resulted it because of its new state which is the state of weakness and humiliation that springs not from Islam, but it completely emanates from the relations of Muslims to each other or from the relations of the Muslim society with the other nations.

5—The Forgiveness :

The same way is forgiveness in its significance and its evolution from its first meaning to another one attached to it. Reading, for instance, the sayin of the Almighty God "Those who restrain anger, and pardon (all) men; for God loves those who do good" [S. The family of Imran, V. 134.], we will be sure that the significance of forgiveness which was considered one of the virtues is the abandonment of penalty inspite of the ability to perform it. This may be more evident in the following saying of God "For God loves those who do good." So, clemency here is nothing but a methodical picture of the respected humanitly which can be represented in the self-control and forgiving with the ability to take revenge. This meaning is very evident in God's saying

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

" (they are) those who persevere in patience, and put their trust on their God" [S. The Bees, V. 42.] And " Then when thou hast taken a decision, put thy trust in God. For God loves those who put their trust (in Him.)" [S. The family of Imran, V. 105], we will find that duality in which the dependence-in the islamic point of view - will be no virtue or desired by Islam, except with the joining between its two edges.

But if-in any time-the meaning of dependence become nothing but waiting for God's help without producing any effort or using human activity, surely that meaning and significance will be an intruder one on the islamic society. As it means that it changed as a result of the change of society itself.

Looking for the factors which intruded and came to the islamic society and caused that change in the society and the significance of the dependence which turned to be equal to the indolence, we will find the same thing which we already found. That is the weakness of the islamic society, the separation of the relations, being away from the examples and values, and turning to the daily needs which help man to realize his matetial duration as a living entity inclines by the duration instinct to covet it eagerly.

Going more and more in the analysis of the specific elements of weakness, separation and avoiding the supreme values, we may find that these elements emanate from the spread of the individuality and egoism which direct the individuals of the society, especially when it goes into successive difficulties and its members lose their self-relience and mutual relations.

The islamic society - like any other human society - passed with many difficulties. Its members lost their self - reliance as they left doubt towards each other. Therefore, they strived only to realize personal stability or rather to keep the individual and personal duration.

The significance of the dependence in its evolution and changing speaks about the turning of the society itself from power to weakness, and that by turn clears that it is the result of the turning of the society.

4.— *The Modesty :*

The significance of modesty is not an exception or away from the former ones. But it changed as a result of the change of the society itself. Indeed, the first sense of modesty-thetfore it was a virtue-was the self bearing in order to avoid the means of power deception and pride which may sometime be in

So, the significance of patience can represent two kinds of the Islamic society, as in the mean time, the change of the islamic society is responsible for turning the former meaning of patience to the latter one. Hence, we can say that the powrful society can add to the meaning its aim and power. Also the weak society will loze the power of the meaning or replaces it with a weak significance.

3 — The dependence :

The same as we found the clemency and the patience significances, the same we find in the other meanings and significances which firstly were of certain sense, then they turned according to the alteration factors that changed the society, its aims and feature. A clear evidence for that statute is the dependence. Reviewing the Qur'anic verses that ask man to depend upon God, we will find that they never went away from the meaning of joining the human endeavour and using all the abilities, with asking help of the almighty God " exalted be He ". In the Qur'an also there is no distinguish between the human endeavour and asking God's help. In this respect the glorious Qur'an says : "No reason have we why we should not put our trust on God. Indeed, He has guided us to the ways we (follow). We shall certainly bear with patience all the hurt you may cause us. For those who put their trust should put their trust on God." (S. Abraham, V. 12.) And says also adressing the prophet : "peace be upon him" "And obey not (the behests) of the unbelievers and the hypocrites, and heed not their annoyances, but put thy trust in God, for enough is God as a disposer of affairs." (S. The confederates, V. 48.)

Reading these verses, we will cleary observe that the glorious Qur'an has joined two facts to each other. It linked the human effort to the asking of God's help. In the first verse, it tied between the human effort in being patient towards the harm caused to them by enemies, and between the asking of God's help in order to enable them to be patient till they realize the prospective result which is to raise the values of the human life according to the teachings of Islam. The second verse also tied between the human effort in being disobedient to the unbelievers and hypocrites and bearing their harm without giving them any attention, and between asking the divine support till the realization of the believer's victory.

Like that, if we turned to other verses such as the saying of God

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

So, if we passed over the quranic verses in which patience was mentioned, we would find that sense which we already denote to, and which we considered as the first meaning of the patience. This may be clear in God's saying "But verily thy God, to those who leave their homes after trials and persecutions, and who thereafter strive and fight for the faith and patiently persevere, thy God after all this is oft-forgving' most merciful," [S. The Bees, V. 110.] and the saying of God "But if you are constant and do right, not the least harm will their cunning do to you; for God compasseth round about all that they do" [S. the family of Imran, V. 120]. "And obey God and His prophet and fall into no disputes, lest ye lose heart and your power depart, and be patient and persevering for God is with those who patiently persevere." [S. The Spoils of war, V. 46.]

" And join to-gether in the mutual teaching of truth and of patience and constancy." [S. Time through the age, V. 3.]

Saying these verses and more than them, Qur'an calls people to patience and asks them to take it as a beheviour. It does not mean more than the spiritual bearing for the sake of the belief, values and the promenent examples. This is because the good aim is the most important thing in the life of man who has a human character and supremacy in his humanity. This in fact is the distinguished aim in life. The aim of life will not be a human and a distinguished one, unless it is for belief in a certain system of life, and for the sake of realizing this system and carrying it out.

But the patience of one who can not afford his living needs, or who has no way to earn his living because of illness, and the patience of one who is hungry waiting something to satisfy him, that is another meaning and significance of patience, but it is not the patience which mentioned in the prophetical saying "patience forms half of the belief."

Therefore, when the meaning of patience turned to the latter meaning, this surely mean that it turned under the new impression of the society at which the Muslim society had turned at the beginig' But the new sphere of that society will be a materialisic one which urges people to seek their material needs, especially after the relations and unionization among the individuals became weak and after the muslims became far from seeking the human values and examples and struggling in order to realize and to keep that values.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

changing the meaning and significance of the word "clemency : Ihsan", we can say also that this change illustrates the alteration of the society itself. Therefore, the history of Islam illustrates two kinds of the human societies. The first looks for superiority, highness and it is ready to perish in that cause, while the other one looks only for the sufficient means of poverty and hunger. Surely, clemeny in its turning from a significance to another refers to the turning from a society to anotner.

The Patience :

As to the significance of patience, it had a certain meaning since the advent of the first islamic society. Then when that society turned to another one, the patience took another meaning in order to go with that society.

Patience at the begining of the islamic message was the practical representative of the powerful belief, meaing that the powerful belief was attached to man, he could not leave it, as it also could not leave him, Consequently, man bears, for the sake of belief, all the means of spiritual and the material harm. This is because as long as it is a practical expression for the powerful belief, there is no room for being impatient or fretful. God the Almighty, when He adresses the prophet "peace may be upon him" saying "Therefore patiently persever" as did all messengers of inflexible purpose and be in no haste about the unbelievers". He actually means to advise him to be patinet especially for the belief and preaching to the islamic call. This patience was not at all a cause of poverty or a psychological crisis resulting from dispair in realizing a material personal wish, but firstly and lastly it was psychological bearing and patience for the sake of the call and to face the hindrances and obstacles which his opponents put before him. He also considered that patience will be the bridge on which he will arrive to the main purpose, that was to succeed in his call. In other words, he aimed to turn the belief in the call to a practical result which was to build the new society wanted by the heavenly message.

This sense may be assured by the saying of God "But they never lost heart if they met with disaster in God's way; nor did they weaken (in will) nor give in. And God loves those who are firm and stead fast." [S. the Family of Imran, V. 146.]

This verse clearly denotes that patience in its first meaning and significance was spiritual bearing-for the sake of belief and call to the divine message-before being a material one, especially because poverty and hunger.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

first islamic significances alone-which is the distinguished human one. Therefore, when the Qur'an says "But do good, for God loveth those who do good" "We have enjoined on men kindness to his parents", it does not mean more than to utilize a human treatment, manner and behaviour. Furthermore, when it says "whoever submits his whole self to God and is a doer of good, has grasped indeed the most trustworthy hand-hold" [S. Luqman, V. 22.] "Behold! he that is righteous and patient, never will God suffer the reward to be lost, of those who do right" "And those who strive in our (cause), We will certainly guide them to our paths: For verily God is with those who do right", it surely means alone the character of piousness, patience and struggling in the cause of the high principles and the human values. It is the human character which raised to the high standard of humanity defined by the significance of clemency.

All what the holy Qur'an mentioned, whether related to goodness or adapted from it such as clemency and good doer, does not bear any more meaning than what we refered to. That is the standard which causes spiritual stability and streng relations between man and other.

When the meaning of clemency after that changed or deviated to the meaning of material giving or charity, that realy came as a result of turning of the society and its objectives from struggling the cause of the high standard of humanity, its principles and examples, to the means of earning living and struggling for it alone. In other words, this change came as a result of the alteration of the society's objectives from being methodical to materialistic ones.

As a matter of fact, the islamic society turned to that material objective only when it became weak and when there was a long distance between the conception of the actuality of the human values and the mobilization through belief in order to realize its actuality. Clemency in its turning from the meaning of the high standard of humanity to the meaning of how to earn the material living, surely illustrates the evolution of the islamic society itself, when it turned from the methodical society of the power, belief, stability, co-operation, unionization and of strong advancement in realizing its examples and aims, into a society away from all that, whether in the relations among its members or in its aims and objectives or in the way of realizing its own purposes of life.

IF we say that the alteration of that society was the cause of

reach to that standard, except the one who strives hard to become a man and to reach the standard of humanity. He is always careful to avoid egoism, all the means of lusts, sexual desires and both internal and external instigative factors which have the power to deviate him from being of promenent human standard. This sense is cleary illustrated by the Qur'an in God's saying " But do thou good, as God has been good to thee, and seek not (occasions for) mischief in the land " (S. The Narration, V. 77.).

The good things which God the Almighty has bestowed on man are as follows : Fristly, the creation of man, the holy Qur'an says " And has given you shape, and made your shapes beautiful " (S. The believer, V. 64.)

Secondly, His guidance to man which is completed by belief in God and worshipping Him, as it is illustrated in the prophetical saying "You worship God the same as if you see Him " aswering a questioner about clemency.

As a matter of fact, clemency in its first significance and meaning, since the advent of Islam, is the human distinguished and insructive sense which be expressed by saying and action. In this respect the Qur'an says : " O ye who believe ! the law of equality is prescribed to you in cases of murder : The free for the free, the slave for the slave, the woman for the woman, but if any remission is made by the brother of the slain; then grant any reasonable demand and compensate him with handsome gratitude. " (S. The cow, V. 178.) " Come not nigh to the orphan's property except to improve it " " The parties should either hold together on equitable terms, or separate with kindness. " " When a (courteous) greeting is offered you, meet it with a greating still more courteous or (at last) of equal courtesy" "Speak fair to the people" "Say to My servants that they should (only) say those things that are best. "

"Invite (all) to the way of thy God with wisdom and beautiful preaching; and argue with them in ways that are best and most gracious".

The above mentioned verses have demonstrated the different aspects of the honourable human picture which gives the quality of clemency to its owner, and which makes any thing springs from him good, whether it is deed, words, action, behaviour, call or neighbourhood.

The other verses in which the holy Qur'an asked man to be clement, give the meaning of clemency in its

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Remaining not too long to this theoretical aspect in order to interpret the changes of these significances from their former position, we have to indicate to some of them, as we also have to indicate to the changes of aims and purposes of life. To reach easily to the link which we mentioned before, it may be better to explain the relation between the objectives of the islamic message, when it was revealed to the Prophet Mohammad " peace may be upon him ", and the meanings and significances which the message had embodied at that time. This link was that the change of the aim led to the change of the former difination of the significances and meanings. Verily, the islamic Message — as we aggregately before said — put the lines of the high standard of the human beings which Muslim — by means of his religion — should reach and keep it during all his life time as long as he believes in Islam and its values. These lines also forms significances and meanings which are, in the same time, commendments and which muslims can turn them into actions.

Shortly, these significances and meanings are called " Virtues " by the ethic scholars. Every body should be practised in them till they become some of his habits and a second nature for him. It may also be said that the formation of these significances and meanings in the human being is a picture for the supposed rectifying of the good person, a picture for the good manner in the good mannered person, and a picture of education in the educated one.

1 — The Clemency :

The islamic message when it calls people and induce them to clemency, it surely aims at creating such a man of clemency, or in other words the attributes which lead him to be of humanity, as humanity in its actual meaning is the goodness in all sides and aspects. The glorious verses in this respect obviously denote to that meaning. The holy Qur'an says in the chapter of Cave : " As to those who believe and work righteousness, Verily We shall not suffer to perish the reward of any who do a (single) righteous deed. " (V. 30). The clemency and goodness which mentioned in that verse, and which God promised a good recompense for it, is the same one which is represented in belief and good deeds. Undoubtedly, belief is an elevated picture for humanity, and the good deeds — which have their effect in leading to co-operation and unionization — are also an elevated picture for humanity. No one can

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE ISLAMIC CALL REVIVAL SHOUID BEGIN FROM THE ESSENCE

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

chancellor of Al-Azhar University

The islamic message has embodied - since it was revealed - the meanings and significances which denote the way of life and the beqaviour of the human being, whether towards his God, his family, or towards the other individuals of his society. These meanings and significances were the source of urging and motive of life. The Muslim people, during the message era and not long after it, represented all these meanings and significances, as they clearly took them in. This was before they had any touch of obliquity in their understanding.

The individuals of the islamic society were so strong as they had correct orientations and motives in life. The islamic society itself, according to that, was a powerful, united and more supportable one, whenever these meanings and significances were sincerely practised as a rule of behaviour and a monde of life. Surely, the aims of the society were emanating from these significances and meanings, that are not more than a defination for the human standard to which the human beings should raise, if they became lower in behaviour or away in direction, and to which they should stand at and keep when they reach it.

But after that, it was remarked that these meanings and significances started to be away from its former position, and accordingly had another view of life and other way of behaviour that differs from that which they denoted to during their former time of the message and not long after it till that change happened.

This change may be happened because of the other objectives which differ from that of the message that embodied and defined as to be pratctically utilized in the life. In other words, the cause of turning these significances from its former position-which was to raise people to the human standard and to keep standing at it-may be the abandonment of the true objectives of the message itself.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

The charge of the orphaned Mohamed was undertaken by Abd Al Mutalib his grandfather A. D. 576.

Ibn Hisham in his book "Assira" narrated how his grandfather has preserved traditions of fondness, and how the old man of fourscore years has treated the child spreading a rug for him under the shadow of the kaaba protecting him from the rudeness of his own sons etc.

God adds in the same Surah " And found thee erring and guided thee " This verse refers also to the puzzle which Mohamed was enduring, and the loss in which Mohamed was staggering without comfort.

Up to his 40th year, Mohamed followed the religion of Ebraham the prophet. Tabari says that when he first entered on his office of prophet, even his wife khadiga had read the scriptures, and was acquainted with the history of the prophets, but his comfirmity can only have been partial.

God rescued Mohamed from erring and wandering. His puzzle reached its zenith when he became forty years old. He isolated himself in the cave of "Heraa" to worship his almighty Lord. All of a sudden he found his way to confort and bliss.

Some interpreters say that Mohamed was once lost in the desert of Mecca, and somebody led him to his uncle Abu Taleb. Others say that he lost his way across the way leading to Syria.

On the other hand some interpreters say that Mohamed sustained loss after his nurse " Halima " has taken him when he was a baby.

According to me his puzzle was due to the impatience, and idolatry with which he was living. He was anxious to leave the foul air to a pure one.

God adresses his messenger not to wrong the orphan, and not to chide away one who asks him, and to tell abroad the favours of his Lord.

God gave him these orders because he was an orphan, and underwent heavily the burdens of orphanage. Every person is exposed to have an orphan, or to be himself the orphan.

The prophet was in searsh of guidance, and asking for confort. It is not meant by " one who asks " a beggar, but it is meant generaly one who seeks your aid, guide, or consult.

One should confess with the favours of God. The rich who does not spend his money in the respects of good deos not tell about the favours of his great Lord.

The savant who does not spread knowledge, and teach one who seeks cognisance does not tell abroad the invaluable favours of the bounteous God.

It is stated that if God bestows upon a slave a favour, He loves to see its traces on him.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

hate thee, and verily the latter portion will be better for thee than the former. And verily thy Lord will give unto thee so that thou wilt be content. Did He not find thee an orphan and protect thee. Did He not find thee wandering and direct thee? Did He not find thee destitute and enrich thee? Therefore the orphan oppress not. Therefore One who asks, drive not away, therefore Of the bounty of thy Lord be thy discourse."

This Surah is called "Ad'Duha" or the morning hours. It took its name from the first verse. Ad'Duha is the light of the sun during the youth of the day. God swears by the lightness of the day explaining the first meaning " By the sun and his noonday lightness " (S. the sun, V. 1.) On the other hand He swears explaining the secondmeaning "On the feast day be your meeting, and in broad daylight let the people be assembled" (S. Taha. V. 59.)

Consequently the word " Ad "Duha" has two meaning, but in both cases it is worthy of swearing.

God swears after that by the night when it is still. In this way God swears by two contrasts : movement, and stillness. The hours of the morning refer to the revelation, and the night symbolizes its suspense. Movement is alway followed by stillness.

God adds that surely the future should be better for him than the past. It is not neccessary to focus the meaning of the future on the day of judgement, but one may understand that the consequences of affairs would be better than the previousattitudes.

God reassures his pledge, and swears that his Lord will be bounteous to him in the end. and the Prophet will be satisfied.

God fulfilled his promise, and Mohamed emerged triumphant from all these calamities. God revealed him at the pilgrimage of farewell "This day have I perfected your religion for you, and completed my favour unto you, and have chosen for you as religion "Al Islam", [Surah the table spread V. 3.]

God adds in the Surah of Ad'Duha "Did he not find thee an orphan, and gave thee home" This verse refers to the early life of Mohamed.

Mohamed grew up orphaned because as soon as his father got married with his mother "Amina" He made for Syria with the view to carrying on commerce. On his arrialv at Madina he sent his last breath, and was burried there. His son Mohamed was not yet born.

Abu Taleb took care of him and he was the person who called him "Mohamed". His love exceeded when his mother died and the child was still six years old.

His mother was accustomed to visit his father's tomb at Madina every year. In the course of the last visit she fall ill. Then she faced smiling her doomed fate.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Elbokhari related that Aisha had said : " the divine inspriation appeared at first to the messenger of God as a righteous dream while he was asleep. Every dream which he had dreamt appeared as the breaking of the morning. He became sticked to the empty places to forget the world. He isolated himself in the cave of " Heraa " where he worshipped God several nights before returning to his family.

He was accustomed to return at times to Khadiga to supply himself with food. Afterwards he hastened to the cave to continue his task to worship his Lord. All of a sudden God revealed the loss which had befallen him. Gabriel, the angel descended, and addressed him " Recite " Mohamed replied " I am not a reciter ! " Then he embrassed, and covered him, and directed the speech to him again " Recite ". The prophet answered " I am not a reciter ". The angel took him once more, then he said " Recite " The prophet reanswered " I am not a reciter " .

Gabriel did not despair, and took the prophet and covered him. When he releazed him he told him abruptly " Recite thou in the name of thy Lord who created man from clots of blood. Recp thou ! for thy Lord is the most beneficent, who hath taught the use of pen, hath taught man that which he knoweth not ".

The prophet returned back trembling out of fear. As soon as he caught a glimpse of his wife Khadiga bent Khowayled he cried out " wrad me ! wrap me ! ".

They wrapped him till the images of fears, and the portraits of terror forsook him.

Notwithstanding Mohamed was afraid, and filled with fright yet he was convinced that the right which had espied was the light which he had been eager to fill his eyes with it. It was the guidance which he was anxious to appear to enlighten the dark hearts, the bliss, and the blessing for the confused souls.

When the divine inspiration forwent him, and the prophet received no revelation he became downcasted, and seemed in low spirits. Many appeals were raised to God to reveal his sorrow, sadness, fear, and inpatience. The idolators mocked him saying Allah of whom we used to hear so much, had forsaken poor Mohamed and now hates him. God animated his dead hopes, and vitalised his lost prospects " In the name of Allah, the beneficent, the merciful. By the morning hours and by the night when it is stillest, the Lord hath not forsaken thee, nor doth God

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

A PERIOD OF PUZZLE

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

Mohamed, the prophet, was born in the 10th of Rabee Alawal 571 A. D. which was called the elephand year. When he grew up, and reached the age of consideration, discernment,and choice, he felt that he was foriegn to the environment in which he lived. He felt loathoomeness, and disgust towards the customs, and habits of the Arab society.

He refused to drink wine, and gamble. He rejected to eat what was slaughtered on the posts. He declined to attend the feasts of their idols, and image worshipping.

He hold strong aversion, deep detestation, and profound repugnance towards the pre-Islamic custom of burying daughters alive, injuring the rights of the weak, and appropriating the wealth of the others without the atom of right.

As well as he grew up he became more disgustive with idolatry and oppression. He felt great pain, and aching spiritual torture. All of a sudden he made up his mind to wipe out these evils, abolish these ills, and get rid of these mischiefs. He asked God to sustain him in his bitter trial.

Some people noticed his noble manners, and mildness, and was attracted with his good conduct. They called him " the honest ".

No wonder he holds this name because he was a typical ideal of fidelity and candidness. No one found a way to injure his behaviour.

When he reached the age of forty he got to the climax of distress, and annoyance. He became puzzled and confused, on occasion of finding no way to guide his people or to be satisfied with the environments.

He seeked a method to secure him from this bitter impasse, and critical predicament.

He made for the empty place, relinquished all people and waited for the mercy of our Lord.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

by Moslem jurists as all other aspects of Moslem legislation until they became of so wide a scope as to regulate all relations in a way that would realise social benefit, and general peace.

These bases were laid by Islam, and expounded by Moslem jurists and legislators at a time when former civilised countries were the victimes of obsolete traditions that gave little or no consideration to justice and peace. These countries' example and outdated tradition were followed by the countries of modern civilisation until the modern international law in the 17th century laid down by a Dutch jurist, and based on the principles of natural law now rejeced by all jurists as a reliable law worthy of the consideration accorded to all other laws.

The world has in our modern times tried to ensure peace through the establishment of international organisations, but the human holocausts taking pleace all over the globe, are conclusive evidence of the utter failure of these triales to achieve their desired ends.

Compare these with Islam's just and frank rules, and its guarantee of the realisation of its laws and dictates, since it is incumbent on all moslems in accordance with their religion to observe and obey these dictates whether as concerns themselves or others.

Quotation may be made in this connection of certain God's sayings as a commentary on some of these internatonal rules, "This is God's judgments, God would judge among you for He is wise and knowing."

"Should you do it, there will be on earth great discord and corruption."

"Judge amongst them in accordance with God's revelation, and do not follow their whims, and beware lest they should draw you away from some of God's revelation. Should they refuse to you, know, therefore, that it is God's desire that should be the victims of their own sins, for many people are impious. Do they want the rule of ignoranoce? But surely God's rule is best for those who are judicious and wise."

Interpreted by Pilot Ali Effat

Director Photogrphic & Ciné. Dept. Military Factories

(Ex. Secretary Youngmen Moslems Association)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

party is more numerous than another party." "Therefore take not your oaths between you deceitfully, lest your foot slips, after it hath been steadfastly fixed, and ye taste evil in this life, for that you have turned aside from the way of God; and ye suffer a grievous punishment in the life to come."

Islam laid such strong emphasis on the principle of strict compliance with covenants. That it considered a covenant as constituting a bar to the necessity of religious protection, in that if a community in a foreign country between which and Moslems a covenant is concluded, are persecuted beeause of their embracing Islam, Moslems may not go to their support or protection out of respect of their Moslems covenant with that country. In this sense the Koran says, "But they whom have believed, but have not fled their country, shall have no right of kindred at all with you, until they also fly. Yet if they ask assistance of you on account of religion, it belongeth to you to give the assistance, except against a people between whom and yourselves there shall be a league subsisting."

The above are briefly the most important rules by which Islam regulated the relations between Moslems and other countries, and the treatment accorded by Moslems to non-moslem residents of their own countries.

Islam has further regulated general international relations on the basis explained before; and laid a sound foundation for the organisation of the treatment of the non-Muslem population of moslem countries; based on the following :—

1) Participation with Moslems in general rights and obligatons.

2) Allowability of non-moslem ruler; and that a moslem ruler may deal with such affairs in accordance with their own religions.

3) Fair treatment to non-moslems. Various commandments were given by the Prophet to treat non-moslems fairly and equitably.

4) Religious tolerance provided non-moslems, religious practices are not of a nature to impair Moslems, faith in their religion. Islam has, thus, and since 14 centuries ago, ensured freedom of faith which was responsible for much aggression and persecution in Europe, until it was at long last ensured in modern times.

These are the basis on which international general and private relations were regulated by Islam. They were laid down by the Koran, expounded by Moslem legislation, explained by the Prophet's and his followers' actions, and then subjected to exhaustive discussion and study

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

tribute that has been collected from them, and inform them that you return their money on account of the news received of the considerable forces levied against Moslems who being incapable to check them in accordance with a previous condition, should return the collected tribute until such time as they emerged victorious by God's will, when the said condition and the agreements between them and non-moslems would again be given effect."

In this Islam does not ignore the necessity of exercising mercy and clemency, through the unpermissibility of any tribute being imposed on women, minors, those of weak constitution, or unable to earn their living, or on monks who follow a secluded life.

Convents in the view of Islam :

Islam makes it incumbent on Moslems that their policy regarding convenants in general should be based on relaxation with a view to the establishment of peace and jusctice. It abhors all covenants that are founded on force, aggression, or repression, and detests hypocracy; and treason. It describes violators of treaties as worse in God's view than beasts, and recommends severe treatment for traitors who respect no obligations and do not fear God. Islam permits, however, revocation of covenants only in case this is justified by any emergency or expediency between Moslems and their enemies, but necessitates that the enemy should be enabled to communicate the notice of revocation to all parts of their country. A relevantstatement by El-Kamal Ibn El-Hammam, the Hanafi Jurist, in expounding God's saying, "Should you fear treason from a people, revoks your covenant with them, for God dislikes traitors," is to the following effect, "Mere notice of revocation is insufficient, for the enemy should be allowed enough time for their king to communicate the new all over his kingdom. During such delay it is forbidden for Moslems to take any aggressive action."

In this connection it might be approdriate to quote the following koranic verses which rightly provide a clear illustration of Islam's general rule regarding the respect of promises, "Perform your covenant with God, when you enter into covenant with him, and violate not your oaths, after the ratification thereof, since ye have made God a witness over you. Verily God knoweth that which ye do. And be not like her who undoeth that which she hath spun, untwisting it after she hath twisted it strongly; taking your oaths between you deceitfully, because one

example of this is provided by the treatment meted out by Moawieh to Armenians to whom full liberty was given to appoint their own rulers, judges, and chiefs, and to retain their own religious and military traditions.

Islam leaves to Moslems the appreciation at their discretion of the value to them of each kind of these treaties, with one single restriction, namely that the treaty should be consistent with basic islamic rules, and the general legislation of Islam.

This is derived from the Prophet's saying, " All conditions that are not found in God's book are null and void," and is similar with the practice of modern countries to consider all treaties that are not consistent with the Constitution as invalid.

The above principle is not, however, enclusively used in the interests of Moslems, as it is also applied to non-moslems. In this sense certain jurists say : " If a ruler saks freedom of faith against a tribute provided he is given freedom to rule his people in an arbitrary manner, killing men, and managing their affairs corruptly and injustice while being able to stamp it out is ungodly."

Islam permits Moslems to forego in necessity certain of their rights; or to conclude peace treaties with others, or to advance them with money in expectation of some future good, or as protection of foreseen evil. A good example of this is afforded by the Hodaybieh Pease Treaty which is indicative of Islam's tolerance, and flexibility for the attainment of a state of peace and tranquility.

Closely related to the peace treaties is Islam's establishment of the principle of tribute payment. Tribute is not as imagined by certain people an exemption from embracing Islam, or a security from aggression, for it only serves as a symbol of the loyalty of tribute prayers, and their abstention from causing distrubances, or hindering the Islamic movemen. It also represents a financial contribution which enables them to take part in the active administration of their country's affairs, and be afforded with full security as regards their families and wealth.

It was related in the " Bock of Tribute " by Imam Abou Youssef that Abou-Abda, having concluded a peace with the people of Syria and collected taxes from them, learnt that the Greeks had levied strong armies agaist the Moslems, and subsequently wrote to the rulers of moslem cities in the following terms.

" Return to non-moslems the

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

is an expect of true faith. God says in appreciating the qualities of true believers.

"They give food to the poor, and the orphan, and the bondman, for his sake, saying. We feed you for God's sake only, we desier no recompense from you, nor any thanks."

Moslem rulers were given full liberty to release their prisoners at their discretion either with or without ransom, in the light of public interest. The Prophet himself has given money ransom to release prisoners and to that same end arranged for the instruction of Moslem children in writing. As to the Prophet's giving authority for slavery in was necessitated by the social conditions prrevailin at the time, thoug inconsistent with the general legislation words," and either give them a free dismissal afterwards or exact a ransom."

The legislation embodied in the above verse together with the Prophet's own actions are clearly indicative of the fact that Moslem rulers are entitled in certain circumstances to such rights as would enable them to deal with problems without their rights constituting general legislation for all times.

Just as Islam has advocated generous and merciful treatment to war prisoners, it has also made legislation for the distribution of the spoils of war justly and equitably, giving the right of their acquisition to those who obtained them without distinction being drawn in this respect between Moslems and others.

Islam is most observant of the realisation of peace and security for the world, and therefore calls on all Moslems to be peaceful, and not to follow the footsteps of Satan. In this sense God revealed to his Prophet, "If they incline to peace, do you also incline thereto, and put thy confidence in God "

Islam seeks to achieve this end through negotiations in accordance with usual practice, accepting messangers and envoys' mediation, without formalities that might lead to competition or confusion. On these bases Islam concludes treaties either for the temporary cessation of hostilities or in other words armistice, the Hodaybieh Treaty, or final termination of war as occurred in the Negran wars when the enemy was required to place themselves under Moslem protection on certain agreed conditions.

There is another sort of treaties whereby the country forming party to a treaty is assured of self-government under moslem sovereignty. An

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

other benefits in the fields of industry, culture, and other aspects of social activity. A striking example of Moslem tolerance is provided by the great attention given by Moslem doctors to their wounded enemies as in the wars of Salah-el-Dino against the crusaders.

No restriction is placed on Moslems in this connection except to take such precautionary measures as to protect themselves, their country, and their religion. They are thus prohibited to sell their arms, munitions, equidment or horses to their enemies.

The system of "security" further serves to provide an opportunity for those to whom it is graned to be acquainted with the realities of Islam, and to closely study its aims and objects, and this served in turn to propagate islamic principles, and to communicate God's words and commandments to distant countries without war.

Certain Moslem jurists are of the opinion that " Moslem rulers should on the expiry of the period of security offerred to a preson, allow him a further period of time which may be sufficiently long as to obviate any possible embarrassement to him especially if he has such dealings as might require a lengthy time."

6) Of the traditions of Islam in wartime is the protection of messengers charged with the communication of information between Moslems and their enemies, the extreme care exercised for their safety until they return of their bases, and the refusal to retain them even if they disown their people. Evidence of this tradition is provided by many actions of the Prophet, a distinguished example of which was reported by Abu-Rafei. He said, "Quoraish sent me to the Prophet on whom be God's peace and blessings. When I came to him; I experienced an ardent desire to embrace Islam, and therefore consiedred not to return back to Quoraish. So I said to the Prophet, " O ! Messenger of God; I shall not return to them", whereupon he replied, "I never break a promise or a pledge. So return to them, and if you still feel the same desire, come back to us."

7) Treatment of war prisoners consititutes an important section of Moslem Legislation recommending that they should be treated with kindness and generosity.

Regarding such treatment, the Prophet once said, "Thou must treat thy prisoners fairly, and "Gather" thy food and send it to them ". On the other hand the Koran urges that war prisoners be treated with clemency and considers this as charity which

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

conformity with the principle of the unpermissibility of fighting the non-combattant women, children, the old; the incapacitated and civilians that fighting nations should on no account be starved, and the necessary provisions prevented from reaching them, although this may be permitted as regards fighting forces.

5) One of Islam's principles during wartime which is indicative of tolerance is the permissibility for fighting individuals and nations to get in touch with Moslems, enter their country where they may stay for a certain period during which they are entitled to transact commercial and other business underthe protection of certain tradition known in Moslem Legislation as " Security " whereby they are assured of every protection both as regards their lives and wealth so long as they ramain in Moslem territories. They are granted further facilities, privileges, and immunities which are not even enjoyed by Moslems and are called to account only for crimes which endanged the safety and security of the State, or involve aggression against Moslems.

Islam has gone a further step forward in this respect by entitling all moslems of all social classes, to give refuge and security, provided that the safety of moslems be assured by ascertaining that the persons to whom security is granted have no such power at their disposal, and are not disposed insuch a way as to threaten Moslems to act as spies on them, or to cause distrubances.

This does not; however, mean that the rights of Moslem rulers to exercise their authority in the management of their people's affairs is either overlooked or ignored, for on the contrary, they are entitled in virtue of their general jurisdiction, and discretionary management of affairs in the best interests of their people to invalidate any " security " offerred by a Moslem which has not fulfilled the necessary requirements. They ar further authorised to restrict or to prevent altogether the practice of individuals to grant security.

This principle of security which as already referred to is clearly illustrative one of islamic tolerance in a degree that has never been attained even by modern civilised nations, has its origin in God's saying, " Should an unbeliever seek thy protection, grant him protection until he hears the words of God, and then assure him of his security. "

By the grace of this "security" Islam allows commercial exchanges between Moslems and their fighting enemies; as well as the exchange of

thy enemy, invite him to accept one of three alternatives."

In this connection a noted religious jurist said, " Through this invitation we make our intention clear to our enemy that we do not aim at extorting their wealth or taking their families captives, for this might lead to their submission without due invitation is a great sin deserving of God's displeasure."

B. *In the course of War.*

Islam's aim from war is not oppressive or destruction; neither does it favour that people should in wars forget the dictates of humanity to treat people with kindness and mercy, in a spirit of observing justice, and fearing God.

It places on Moslems certain obligations in wartime which if observed by modern people would have greatly alleviated humanity's distressess and heeled its wounds.

It is only too appropriate to refer in this connection, at a time when the world is sunk deeply in the horrors of war created by man or his own destruction, in which he wasted his effort, blood and wealth, to certain aspects of islamic principles regarding wars, so that people may learn that Islam is the religion of mercy, kindness, justice and reform.

1) Islam prohibits the killing of women, the young, the old, the crippled, the blind, and the mad. It also forbids the killing of monastry inmates, farmers, and non-combattant workmen.

2) Islam disapproves of arson, trees cutting, and demolition unless the enemy has taken the first step in that direction in which case these measures are permitted on the strength of the principle of retaliation; " The evil should be met by a similar evil. "

3) It also forbids finishing the wounded off and prohibits burning.

One of the Prophet's counsels to a leader which serve to illustrate these principles was, " Do not kill a woman, or a boy, or an old person, neither out a yielding tree, or demolish a populated place, or kill a cattle unless for eating, or sink or burn plam trees. " Another counsel being: Only God should punish by fire. "

A further famous saying of the Prophet was to the effect that, " Don't kill children in wars, and the people enquired, " O Prophet, but are not they the children of infidels ? " whereupon the Prophet answered, " but are not the best of you the children of infidels ? "

4) Islam further establishes in

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

for invasion and colonisation, nor has it consented to wars of oppression, and persection urged by covetousness, or a desire to impose authority on the weak to extort their resouresc and reduce their standards of life. It considered all such wars as wars of aggressiveness and oppression that should not be prosecuted by any nation that held any respect for humane principles, and therefore restricted the scops of war being a necessity within a narrow circle; limiting it to its reasonable causes and justifications such as :—

A. The redress of wrongs and injustices.

B. The establishment of the freedom of faith.

C. The degence of the mother country.

Guidance to these aims is given in various parts of the Koran, e.g. "Fright for the sake of God's religion those who fight you, but do not transgressors." "Fight against unbelievers collectively, as they fight against you, and know that God supports the pious." "He permitted those who were wronged to fight, and God capable of bringing them victory, and commanded those who were injustly cemplled to leave their dwellings to say God is our Lord."

The general basis of the justification of war is amply provided in God's saying, "As to those who have borne arms against you on account of religion, and have dispossessed you of your habitations and have assisted in dispossessing you, God forbiddeth you to enter into friendship with them, and whosever of you entereth into friendship with them, those are unjust doers.

Islam later laid down for war itself a detailed legislative ruling based on justice, mercy, respect of rights and defence of humanity. This ruling applies to all stages of war, either before, or in its course.

A. *Before the War (refer in this connection to the chapters of struggle and biography in the books of the "Hadith" (Prophets, sayings) and Moslem Legislation.*

Islam establishes that on no account should war be started until the enemy's feelings of antagonism towards Moslems has been ascertained, and when this has been ascertained it is incumbent upon Moslems to notify their enemies of their intentions. This is similar to the final warnings in the modern international practice and is clearly illustrated in the Prophet's saying to one of his leaders, "should those meet

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

who have not aggressed against them because of their religion or dwellings, and goes further in this direction to the extent of dealing kindly and generously with them. This constitutes the first state — the conditions of peace and friendly relations.

The State of War:

As to the second state — of war and antagonism, it was viewed by Islam from various standpoints.

Islam's recognition of war:

Islam viewed war in itself as an unavoidable exigency necessitated by the nature of the human society. slam has not, therefore, attempted Ito deny it, or to repute its consistency with the true requirements of human nature, but recognised it as a necessary means of meeting aggression, resisting oppression, and controlling revolutionary Moslems.

War was recognised by Islam on the strength of the fact that human nature and social relations frequently engender disputes, antagonisms, and aggressions against liberties, and violation of religious principles.

Had Islam which is essentially a practical and reformatory legislation that appreciates the strength of actual facts and not recognised war as a mean of resistance in face of aggression, and for removing such obstacles as were placed in the way of its appeal for the general good; the elements of corruption and evil supported by the power of aggression and obstinacy would have destroyed all possibilities for the success of the Islamic Moeement in its early stages, thereby depriving humanity from gleaning the healthy fruits of this movement?

This sense is clearly illustrated by the Koran in God's saying, "Had it not been for God's urging people against each other, the world would have been a place of corruption, but God is indulgent towards people." "Had it not been for God's urging people against each other, monastries and mosques wherein God's name is repeatedly celebrated would have been destroyed."

The above is an illustration of Islam recognition of the legitimacy of war.

Islam has, furthermore, considered the justifications and the reasons of war in a way that conformed with its aim at general righteousness; equality among people, and upholding the dictates of justice and mercy. It has not, therefore, permitted wars which were motivated by a desire

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

and exchange benefits with each other, and to co-operate together without restriction except in so far as was necessitated by the prohibition under Moslem legislation of certain dealings and relations as usury, marriages between Jews and Christians and Moslem women, or between Moslems and the unbelievers in any heavenly religion.

No restriction is placed no Moslems by their religion to institute such relations or to conclude such treaties as are in their discretion beneficial to them in the fields of commerce, industry, politics, education or culture. They were at liberty to organise such relations on the basis which they found suitable, and which while being consistant with the normal rules of society, was not contradictory with their own mode of life.

Islam further lays down certain kinds of benefits whose appreciation is left to the discretion of the community of Moslems.

It is on this basis that Islam calls for the conclusion of treaties for the maintenance and preservation of the natural state of peace. An example of this being the treaty made by the Prophet, peace be upon him, with the non-Moslems in the ear y period of his stay at Medina. This treaty constituted the foundation stone in the structure of Islamic Rule, as well as the first political relation established by Islam, whereby the freedom of creed and thought was recognised, and the security, sanctity and civiiisation of Moslems assuree.

Islam also called for the conclusion of treaties of military alliance with non-Moslems as indicated by the Prophet's words, "Thou will make a peace with the Greek with whome thou will then fight a common enemy behind thee."

Various treaties of this nature were concluded by the Moslems of the distant past, while the Prophet himself had fought the tribe of Quraish in fulfilment of the "Khozaa" promise as provided under the "Hodaybeyah" peace treaty.

The Koran has laid the foundation of this peaceful relation in God's saying, "As to those who have not borne arms against you on account of religion, nor turned you out of your dwellings, God forbiddeth you not to deal kindly with them, and to behave justly towards them; for God loveth those who act justly."

This divine verse obviously authorises Moslems to establish such relations as they desired, with those

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

moslems, or between them and other nations.

Our intention from this essay is to discuss the rules laid down by Islam for the organisation of international relations, by regulating :

(1) Treatment accorded by one Islamic country to another.

(2) Treatment meted out by an Islamic country to non - moslems residid within its territory.

An Islamic Country's Relations with other Countries :

Relations between moslems and other nations may only be governed by two situations : a situation of peace and cordiality, or a situation of war and dispute.

The Peace Situation :

It is obvious, in the light of the above, that Islam views the first situation — that of peace — as the natural state of affairs in which non - moslems are only required not to hinder its appeal for the embracement of its principles, without placing any obstacles, in its way. This is because the Islamic Mouement being one of truth, justice, and reform, minds will, if left free, be inclined to adopt its priciples through persuasion, and not by force and repression. " Appeal for God's religion with wisdom, and good counsel, and argue with people kindly. " " There is no repression in religion, thus impiety has been distinguished from righteousness. " " For thou shall not comple people to be true belivers. "

The Koran thus declares that the appeal for righteousness should be through plausible arguments and sound proofs and not by force and repression has therefor, no hinderance been placed between the Koran's persuasive arguments and proofs and the minds of people, no drop of human blood would have been shed for the sake of God's religion for its appeal would have naturally penetrated into the minds and souls of people.

In its peaceful and persuasive appeal, Islam adopts all such methods as have been followed by people in the propagation, defence and appraisal of their principles. These methods include public speeches, messages to kings and rulers, and the hospitable receiving of delegations to whom Islamic principles are explained and expounded.

In this state of complete peace and tranquility, peopel were allowed full freedom in the managements of their affairs in their own preferable ways. They were at liberty to deal

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Elements of the Islamic Movement :

The Islamic Movement, however numerous i's aspects may be, can be summed up in one principle, namely "The Appeal for Good" which may for the sake of detail, be divided into three fundamental aims : (1) God's Unity. (2) Equality, and. (3) Justice.

(1) Islam has, through the principle of God's Unity, dissipated the corruption of faith. It called upon people to respect their reasons, and to abandon idolatry, declaring that the Universe has an omnipotent and wise God who is alone worthy of their prayer.

"He whom human eyes cannot behold but He beholds them for He is indulgent and omniscient."

This appeal to huwan reason did not, however, constitute any departure from the nature of humanity, nor did it contradict any previous religion. It is the nature of God in which man was created. "He has of religion made legislation for your similar to our counsels to Noah, our revelations to you, and our commandments to Moses and Jesus to establish religion and not to differ concerning it."

(2) Through the principle of equality, Islam established the unity of all humanity which does not admit of any form of racial discrimination. " O Men, verily we have created you of a mal and a femal, and we have distributed you into nations and tribes, that you might know one another; verily the most honourable of you, in the sight of God, is the most pious of you."

" O Men fear your Lord, who hath created you out of one man and out of him created his wife, and from the two hath multiplied many men and women; and fear God by whom ye beseach one another, and respect women."

(3) By justice Islam stamped out despotism and arbitrariness, establishing peace, tranquility and satisfaction without differentiation between friends and enemies, faithful and idol worshippers. " We have formerly sent our messengers with evident miracles and arguments; and balance, that men might observe justice."

O you who have believed, support God's commandments, and be truthful witnesses and not be discouraged into injustice by other people's infidelity, for justice is nearer to piety."

On these bases, Islam formulated its policy of reform among

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ISLAM AND THE REGULATION OF INTERNATIONAL RELATIONS

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar

The World before Islam.

The world, before the Islamic Movement came into being, was deeply sunk in politheism and idolatry, ignorance and fanaticism; despotism and injustice.

The general phenomena of human society at that time was corruption in all aspects of life : corruption of faith, social relations, systems of governments, and politics, while immorality was the rule. People were victims of fancies, misconceptions, suspicions, and erroneous beliefs, and their characters and behaviour dominated by carnal instincts, and savage disposition. Humane qualities were almost absent from the society of that time.

Relation between individuals, or nations were based upon power. The strong man aggressed against the weak one, and extorted his legitimate rights, while the victor subdued and humiliated the vanquished.

In politics, the ambitions and worldly desires of rulers, and those in authority were the rule governing the relations between them and their peoples. They manage the peoples affairs in a despotic manner, wasting human life, tinting honours, and extorting wealth at their free will.

It was, therefore, God's wisdom that ordained to save the world from the prevalent corruption, and to heel it from these social evils that spread everywhere like epidemics, threatening its whole being.

Islam dawned, dispelling the darkness of evil and corruption, "Light and a perspicuous book of revelations come to you from God. Thereby will God direct him who shall follow his good pleasure, into the paths of peace; and shall lead them out of darkness into light, by his will, and shall direct them in the right way. [Verses 15 and 16 of the Chapter of the Table.]